تاريخ نجد

المسمى

روضة الأفكار والأفهام

لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضله دار كرامته

ومشائخه والمسلمين آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

على نفقة

الشيخ عبد المحسن بن عثمان أبابطين

صاحب المكتبة الأهلية — بالرياض نجد

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق من الماء بشرا وجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا ، وتبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفى من القلب رينا وحورا وأشهد أن محمدا عبـــده ورسوله الذى ببعثته نال الشرك رجوما ودحورا ، ونصلى ونسلم على محمد الذى خصصته بأسمى المفاخر والرتب وحبوته بأسنى المآثر والفضل والحسب واصطفيته بالقرب والرسالة دون سائر العرب وكان مشهورا ، بعثته متمما لمكارم الأخلاق وأزلت به عن هذه الأمة الإصر والاغلاق فأشرقت به شمس الهدى فى جميع الآفاق وصار داعيا إلى توحيدك وسراجا منيرا . وأنزلت عليه فى محكم كتابك صريح أمرك وخطابك وما يرتجى به عظيم ثوابك (يا أيها النبى جاهد الـكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم) وكفى بها سعيرا ، فبادر نبى هـــذه الأمة المـكشوف به عنهم الغمة إلى فعل هذه المهمة وشمر عن ساعد الجد فيها تشميرا ، فأسرع فى الامتثال ونصب راية الجهاد والقتال حتى أباد ذوى الشرك والضلال وجاهدهم به جهادا كبيرا ، وعلى أزواجه وأصحابه وجميع أنصاره وأحزابه وتابعى نهجه وأحبابه وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

أما بعد، فإن الله تعالى بعث نبيه الـكريم بالشرع الواضح القويم والمنهاج اللائح المستقيم ملة أبينا إبراهيم وكان إذ ذاك ظلام الشرك مستطيرا ، وقد عكف جميع الأنام على عبادة الأوثان والأصنام واندرست حنيفية الخليل عليه السلام وجدّوا فى عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فقام عليه الصلاة والسلام بأعباء الرسالة وأزاح حنادس الجهالة وأتاح الهلاك أولى الضلالة فدعوا عند ذلك ويلا وثبورا ورفع قواعد التوحيد وشاد وخفض منار الـكفر وأباد وجزم أهل الغى والفساد وأعلى كلمة الحق بين العباد ونشر فى الآفاق علم الجهاد فلم يزل ولله الحمد مرفوعا منشورا وأيده بآيات واضحات شهيرة ومعجزات باهرات منيرة وقواطع لأعدائه مبيرة وأعظمها القرآن

الذى رجعت عن معارضة سورة منه أبصار البلغاء خسيئة حسيرة (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فأكمل الله تعالى لأمته الدين ودحض ببرهانه حجج المبطلين وأسفرت به وجوه الموحدين وازدادت قلوبهم بآياته تنويرا فوردوا من زلاله سلسبيلا ، وشربوا من سلساله كؤوسا كان مزاجها زنجبيلا ، ولم يسلكوا غير هديه سبيلا لما ألفوه منهلا نميرا (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) فلم يزل صلى الله عليه وسلم صاعدا على منيف ذلك المعراج سالكا شريف ذلك المنهاج مقتحما فيه الحزن والسهل من الفجاج حتى استقام الدين وزال منه الاعوجاج وأقبل الناس يأتونه زمرا وأفواج ، فتمت نعمة الله تعالى وعمّ السرور والابتهاج ونالوا من سعادة الدارين حظا موفورا ، ثم لما اطلع الله تعالى به بدر الهدى وسعده ورفع فى الملأ الأعلى فخره ومجده قبضه إليه واختار له ماعنده فقام بواجب الجهاد خلفاؤه بعده حتى قصموا بمرهفاتهم من كان خوانا كفورا ، فجندوا الأجناد وخفقت راياتهم فى كل بلاد ، فدان لهم كل حاضر وباد فأضحى أصل الكفر مجزوما مكسورا وفتحوا البلدان شرقا وغربا ودوخوا الجبابرة طعنا وضربا وصدقوا البيعة عليهم فعوضهم فى جناته حدائق غلبا (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) فلم يبرح بعدهم ذلك الأثر يجاهد من أشرك بالله وكفر حتى عفى رسمه ودثر بعد أن كان منهجا مأثورا وتطاولت عليه الأحوال والسنين وتكررت عليه الأعوام حينا بعد حين وهو إذ ذاك فى الرمس رهين ولم يكن محياه يستبين حتى أحياه إمام الموحدين ورأس العلماء العاملين وعزة الأئمة المحققين الشيخ محمد بن عبد الوهاب فصار بآثاره معمورا فجرد رحمة الله عليه القواضى القواضب وجاهد وعصابته كل ضال ملحد محارب حتى أنجح الله تعالى له المآرب وحقق له مارام من المطالب وراضت جزيرة العرب للتوحيد بعد أن كان كل من سكانها عنه هارب فدانوا بذلك توفيقا وتسخيرا فكانت أعلامهم فى غالب البلدان خافقة وشموس سعدهم فى الآفاق شارقة وأسنتهم بين التوحيد والشرك فارقة وجياد أبطالهم إلى الجهاد سابقة حتى محقوا جميع البدع والأهواء إزالة وتغييرا وسطروا آيات الرشد تسطيرا فافازوا بالغاية والمرام وحازوا من الفخر أعلى مقام حيث قاموا بذروة الإسلام وأصبح جندهم على جنود الأعداء منصورا .

هذا ، ولما كانت منزلة العلم أعظم المنازل والتحلى بحلاه من أفخم الفضائل لاسيما

للأفاضل والأماثل ومرتبته أرفع المراتب عند الأواخر والأوائل (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) وكان من أسناها شأنا وفخرا وأسماها رتبة وذكرا وأرفعها منصبا وقدرا وأنفعها عند الله تقربا وحضورا علم الحديث والأثر ومعرفة التواريخ والسير كما نص عليه أرباب الفن والنظر إذ فيه لمقتضيه عبرة من أجلّ العبر تزيد اللبيب تحقيقا وتبصيرا ونشره فى المجالس والمحافل ودرسه فى البكر والأصايل وسيلة من أنفع الوسائل إلى التأسى بالمجاهدين فينال مع الأجر قبولا وتوقيرا فيقتفى السامع آثارهم إذا سبر أخبارهم وعرف أنهم بذلوا — رغبة فيما عند الله — أعمارهم فبشرهم بنعمته وفضله تبشيرا، أردت أن أصنف فيما أشرق ضياؤه وانتشر وشاع فى غالب الأقطار واشتهر من الغزوات التى هى فى محيا الدهر كالغرر والفتوحات الإسلامية التى مبدؤها العقد السادس من القرن الثانى عشر فرأيت العوم فى تياره خطيرا وركوب زاخر أمواجه حظيرا كيف وقد أرسيت فى مقام الغربة ؟ وهى كما قيل كربة أىّ كربة ومفارقة الوطن على النفوس صعبة وتحققته أمرا عسيرا ولكنّ داعى النفس لذلك كثيرا والإمام أيده الله تعالى يعزم على فى ذلك ويشير حتى بدا طالع الإقبال والسعد والبشير إثر ما كنت فى ذلك الشأن أستخير فشرعت فيه حتى أتقنته تصحيحا وتحريرا وتلقنت تلك المغازى ممن حوى فى الصدق رياسة وتصديرا ولم أذكر فى هذه الغزوات المسطورة والسير المقررة المزبورة إلا الكبيرة الواضحة المشهورة وهجرت ما ليس واضحا وشهيرا وذكرت بعض حوادث السنين مما هو مستفيض من المسلمين خصوصا بلدان الموحدين وذكرت وفاة بعض الأعيان ممن كان بالدين مذكورا وتركت من ليس منهم معروفا ولا مسبورا ورتبته فى كتاب وخمسة فصول لأنه أقرب إلى التناول والوصول وأسرع إلى المراد فى المحصول واخترت أن تكون فيه الفصول صدورا .

الفصل الأول : فى بيان ماجرى فى تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان فى نجد والحسا وغيرها مما يليهما من البلدان .

الفصل الثانى : فى بيان نسب الشيخ ومبدإ أمره وما جرى عليه فى قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره وما صادمه من علماء عصره .

الفصل الثالث : فى سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان وإلى بعض خواص الإخوان .

الفصل الرابع : فى ذكر شىء من المسائل التى سئل عنها فأجاب وتركت كثيرا منها لئلا يطول الكتاب .

الفصل الخامس : فى ذكر بعض كلامه على القرآن وما فتح به عليه فى متفرق الآى من البيان وجعلت الكتاب لغزوات الأصحاب ذوى التوحيد والإسلام وجعلتها على ترتيب السنين والأعوام ليسهل تناوله على ذوى الأفهام ولكونها مترتبة وقوعا وصدورا فلما انجلى عن نور بدره غمامه وتفتحت عن نور زهره أكمامه وأشرقت بحسنه البديع أيامه وحلت عقوده منها صدورا ونحورا . وسميته :

(روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام)

لحسن ولله الحمد ختاما وظهورا فهو مثل تاريخ تصنيفه غريب كما يقضى به الألمعى الأريب ويشهد به اللوذعى الأديب ولا عبرة بمن كان حاسدا أو غيورا ثم إنى أسأل من نزه فى رياضه الأبصار وأورد معين حياضه الأفكار أن لا يبادر إلى الاعتراض والإنكار ويوارى منه هفوة وعثورا ويطالعه بعين الإنصاف والإجلال ويصلح ما رأى به من اختلاف واختلال فهذا شأن ذوى الكمال ، ولا يعجل إذا ألفى تقصيرا أو قصورا والله أرجو أن ينقيه من درن الرياء والإعجاب ويبقيه على سنن الحق والصواب وينيل به جزيل الثواب ويجعله سعيا مشكورا وعملا مبرورا ويعفو عما طغى به القلم واللسان ويقابله بالقبول والرضوان ويثيب عليه فى رفيع الجنان ولدانا وحورا .

الفصل الأول

فى بيان ماجرى فى تلك الأزمان من الشرك والضلال والطغيان فى نجد والحساء وغيرهما مما يليهما من البلدان

فنقول : كان غالب الناس فى زمانه متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا فى الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالأرماس وإطفاء نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوى الأبصار والبصيرة والألباب المضيئة المنيرة وغلبة الجهل والجهال واستعلاء ذوى الأهواء والضلال حتى نهجوا فى تلك الطرائق منهجا وعرا ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهرا وأتوا زورا وبهتانا وهجرا وزين لهم الشيطان أنهم ينالون بذلك أجرا ويحوزون به عزا وفخرا فأركبهم على مراكب الأسلاف قسرا وامتطوا كواهلهم فى ذلك السنن قهرا وحسن لهم أن الآباء بحقيقة الحق أدرى وأنهم بنهج

منهج الشريعة أحرى فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين وخلعوا ربقة التوحيد والدين فجدوا فى الاستغاثة بهم فى النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث وأقبلوا عليهم فى طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات ، وكثير يعتقد النفع والإضرار فى الجمادات كالأحجار والأشجار وينتابون ذلك فى أغلب الأزمان والأوقات .

ولم يكن لهم إلى غيرها إقبال ولا التفات فهم على تلك الأوثان عاكفون ولها فى أكثر الأحايين ملازمون (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) لعب بعقولهم الشيطان وأخذ بهم منهج الخسران حتى ألقاهم فى قعر الهوان (فلجوا فى طغيانهم يعمهون) تسنموا من الأهواء أسمى فنن وأتوا من الضلال أنمى فتن ورفضوا والله أسنى سنن (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أحدثوا من الكفر والفجور والإشراك بعبادة أهل القبور وصرف الدعاء لهم والنذور (ومن يدع مع الله إلها آخر لابرهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) شرع لهم شياطينهم (من الدين مالم يأذن به الله) وجعلوا لغيره ما لايجوز صرفه إلى سواه وزادوا على أهل الجاهلية فقد كانوا لايدعون إذا مسهم الضراء إلا إياه ، وإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون . ملئوا قلوبهم له بالوجد والمحبة وبذلوا أعمارهم وألسنتهم فى دفع من أبدى لهم مسبة ولم يشتغلوا بالله وكفى لعبده به رغبة وليتهم سووا بينهم فى المحبة والطلبة (تالله إن كنا لفى ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون) وكانت هذه المحبة فى سويداء القلب سارية وعلى صفحة الوجه واللسان بادية وأفعال الشرك فى غالب الأقطار جارية (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقد حدث الغى والإضلال والإسراف ووقع التغيير فى الدين والاختلاف من زمان قديم من غير خلاف وجاء بعدهم من اعتقد أن الدين هو ذلك الضلال والإسراف لأنهم وجدوا عليه الآباء والأسلاف (وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) وقد نص عليه كثير من العلماء الأعلام فى كتبهم المصنفة فيما حدث من البدع والحوادث من الأنام وما غير من منار الدين والإسلام (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وكان أكثر الناس على دعوة الأولياء والصالحين الأحياء منهم والميتين مجدين مجتهدين

وبالاعتقاد المحض فيهم مفتونين (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياى فارهبون) أيدعى من لا يملك لنفسه نفعا ولا يصرف عنها من السوء دفعا ويترك مدبر الخلائق إعطاء ومنعا (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) فغدوا عليها فى قضاء الحاجات وراحو وابتهلوا لديهم فى ذلك وباحوا وأحلوا ما حرم الله واستباحوا (قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) وكان فى بلدان نجد من ذلك أمر عظيم والكل على تلك الأحوال مقيم ، وفى ذلك الوادى مسيم (حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون) وقد مضوا قبل بدوّ نور الصواب يأتون من الشرك بالعجاب وينسلون إليه من كل باب ويكثر ذلك منهم عند قبر زيد ابن الخطاب فيدعونه لتفريج الكرب بفصيح الخطاب ويسألونه كشف النوب من غير ارتياب (قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وكان ذلك فى الجبيلة مشهورا وبقضاء الحوائج مذكورا وكذلك قريوه فى الدرعية يزعمون أن فيها قبورا أصبح فيها بعض الصحابة مقبورا فصار حظهم فى عبادتها موفورا فهم فى سائر الأحوال عليها يعكفون (أإفكا آلهة دون الله تريدون) وكان أهل تلك التربة أعظم فى صدورهم من الله خوفا ورهبة وأنجم عندهم رجاء ورغبة فلذلك كانوا فى طلب الحاجات فهم يبتدون ويقولون (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) وفى شعيب غبيرا يفعل من الهجر والمنكر ما لا يعهد مثله ولا يتصور ويزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور وذلك كذب محض وبهتان مزوّر مثله لهم إبليس وصور ولم يكونوا به يشعرون ، وفى بليدة الفدا ذكر النخل المعروف بالفحال يأتونه النساء والرجال ويغدون بالبكر والآصال ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبركون به ويعتقدون ، وتأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج ولم تأتها لنكاحها الأزواج فتضمه بيديها بحضور ورجاء الانفراج وتقول يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول ، هكذا صح عنهم القول (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) وشجرة الطرفية تشبث بها الشيطان واعتلق فكان ينتابها للتبرك طوائف وفرق ويعلقون فيها إذا ولدت المرأة ذكرا الخرق لعلهم من الموت يسلمون وفى أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه فى الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة يظلمها فصاحت ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلى الكبير

وكان تعالى لها عن ذلك السوء مجير فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويهدون (أتعبدون ما تنحتون ؟ والله خلقكم وما تعملون) وعندهم رجل من الأولياء يسمى تاج سلكوا فيه سبيل الطواغيت فى الانتهاج فصرفوا إليه النذور والدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر والإفراج وكانوا يأتون إليه لشأنهم أفواج ويأتى إليهم فى الدرعية من بلده الخرج لتحصيل ماله من النذور والخراج (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) وكان لجميع أهل تلك البلدان وسكان تلك الأماكن والأعطان فيه من الاعتقاد أعظم شأن فيخافه كل حاكم وظالم وشيطان ويهاب أعوانه وحاشيته كل إنسان فلا يتعرضون لهم بما يكرهون ويدعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة شنيعة ، كانت ألسنتهم لها مذيعة ولبهتانها مشيعة وهم لمينها وزورها مصدقون فيزعمون أنه أعمى ويأتى من بلده الخرج من غير قائد يقوده وغير ذلك من الحكايات التى هى محط رحال المشركين والاعتقادات التى ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم وأعرضوا بها عن إخلاص الدعاء لرب العالمين (الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، ءإله مع الله قليلا ما تذكرون) .

وأما مايفعل الآن فى الحرم المكى الشريف زاده الله رفعة وتشريفا فهو يزيد على غيره وينيف فيفعل فى تلك البقاع المطهرة المكرمة والمواضع المعظمة المحترمة مايحق أن تسفح عند رؤيته سحائب العيون والأجفان وتزاد لأجله الدموع ولاتصان وتلتهب فى القلب لواعج الأحزان إذا رأى مايصدر فى تلك الأماكن من أولئك العربان من الفسوق والضلال والعصيان وماعرى الدين فيه من الهوان ، فلقد انتهكت فيه المحرمات والحدود ، وكان لأهل الباطل فيه قيام وقعود كما هو الآن مشاهد موجود ، أين قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) ويشهد بذلك من رآه ممن كان له قلب سليم (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ولقد تظاهر بذلك فيهم جم غفير وجاهر به بين أظهرهم جمع كثير ، ولم يكن لأهل العلم إزالة ولاتغيير ، بل تألبوا على مصادمة الحق الشهير وراموا إطفاء مصباحه المنير وإخماد ضيائه المستنير ، وحاولوا تغيير محيا الصواب (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب. أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير. فذوقوا فما للظالمين من نصير) فمن ذلك مايفعل عند قبر

المحجوب وقبة أبى طالب وهم يعلمون أنه شريف حاكم متعد غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم من المال خراجا ومطالب ، فإن أعطى ما أراد انصرف وإلا أصبح لهم معاديا محارب فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ونزول النوب الكوارب وكذلك عند قبر المحجوب يطلبون الشفاعة لغفران الذنوب لأنه عندهم المقرب المحبوب ، فلهذا كانوا من سره يحذرون ، وإن دخل متعد أو سارق أو غاصب مال قبر أحدهما لم يتعرض له أحد من الرجال ولا يخشى معاقبة ولا أنكال ولايتوصل إليه بما يكره ولاينال ، وإن تعلق جان ولوأقل جناية بالكعبة سحب منها بالأذيال فهم فى تعظيمها مفرطون (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون . لايستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) ومن ذلك مايفعل عند قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها فى سرف ، وعند قبر خديجة رضى الله عنها فى المعلى مما لايسوغ لمسلم أن يطلق عليه إباحة وحلا فضلا عن كونه يراه قربة يدرك بها أجراً وفضلا من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وارتفاع الأصوات عندهم بالدعوات وحصول الفدية وشهرة الاستغاثات ، وعند قبر عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما فى الطائف من الأمور التى تشمئز منها نفس الجاهل فكيف بالعارف فيقف عند قبره متضرعا مستغيثا كل مكروب وخائف ، وينادى أكثر الباعة فى الأسواق من غير نكير ولا زجر على الإطلاق ، ويقول بلهجة قلب واحتراق كثير من أهل الشرك والإبلاس ، وذوى الفقر والإفلاس : اليوم على الله وعليك يابن عباس ويسألونه الحاجات ويسترزقون (ءأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لاتغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون) . وأما مايفعل عند قبره عليه الصلاة والسلام من الأمور المحرمة العظام من تعفير الخدود والانحناء بالخضوع والسجود واتخاذ ذلك القبر عيدا ، وقد لعن عليه الصلاة والسلام فاعله وكفى بذلك زجرا ووعيدا ، ونهى عن مايفعل عنده الآن غالب العلماء نهيا شديدا وغلظوا فى ذلك تغليظا أكيدا ، فهو مما لايخفى ولاينكر ، وأعظم من أن يذكر فهو فى الشهرة والانتشار كالشمس فى رابعة النهار ، ويكلّ اللسان عما يفعل عند قبر حمزة والبقيع وقبا من ذلك القبيل ويعجز القلم عن بيانه على التفصيل ، ولو لم يذكر منه إلا القليل:

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل

وأما مايفعل فى جدة مماعمت به البلوى فقد بلغ من الضلال والفحش الغاية القصوى ، وعندهم قبر طوله ستون ذراعا عليه قبة يزعمون أنه قبر حوى وضعه بعض الشياطين من قديم وهيئه وسوى يجبوا عنده السدنة من الأموال كل سنة ما لا يكاد يخطر على البال ، ولا يدخل يسلم على أمه كل إنسان إلا مسلما دراهم عاجلا من غير توان أيبخل أحد من اللئام فضلا عن الكرام ببذل بعض الحطام ويدع الدخول على أمه والسلام وعندهم معبد يسمى العلوى ونافوا فى تعظيمه جميع الخلائق وأربوا فى الغلو على تلك الطرائق ، فلو دخل قبره قاتل نفس أو غاصب أو سارق لم يعترض بمكروه من مؤمن ولا فاسق، ولم يجسر أحد أن يكون مخرجا له سائق أو إلى المساعدة إليه مسارع مسابق فمن استجار بتربته أجير ، ولم يعرّج عليه حاكم ولا وزير . وفى سنة عشر بعد المائتين والألف اشترى تاجر من أهل جدة شهير من أهل الهند التجار القادمين وأهل الحسا مالا كثير يزيد على سبعين ألف ريال فى التقدير فوقع عليه بعد أيام انكسار وإفلاس وتغيير ولم يكن عنده مايقابل شطر الذى عليه فهرب إليه مستجير فلم يتقدم إليه منهم شريف ولا وضيع ولا صغير ولا كبير ، وترك بيته وما فيه من مال ولم يرزأ فى قليل ولا كثير حتى اجتمع التجار ورأوا له منهج الإنظار والتيسير وجعلوا ذلك عليه نجوما فى سنين على التأخير ، وكان بعض من أهل الدين بذلك الحال مشير . وأما مافى بلدان مصر وصعيدها من الأمور التى ينزه الإنسان عن ذكرها وتعديدها خصوصا عند قبور الصلحاء والعباد من ساداتها وعبيدها كما ذكرها الثقات فى نقل الأخبار وتوكيدها ؛ فيأتون قبر أحمد البدوى وكذا قبور غيره من العباد وسائر ترب المشهورين بالخير والزهاد فيستغيثون ويندبون ويعجلونهم بالامداد ويستحثونهم على زوال المصيبة عنهم والأنكاد ويتداولون بينهم حكايات وينسبون عنهم قضيات ويحكون فى محافلهم ماجريات من أخش المنكر والضلالات فيقولون فلان استغاث بفلان فأغيث فورا فى ذلك الأوان ، وفلان شكا لصاحب ذلك القبر حاله وأمره فأغاثه وكشف عنه ضره ، وفلان شكا إليه حاجته فأزال عنه فقره ، وأمثال هذا الهذيان الذى هو زور وبهتان ، ويصدر هذا الكلام فى تلك البلدان وهى مملوءة بالعلماء من أهل الزمان وذوى التحقيق والعرفان ولا يزال ذلك المحظور ولايغار من صدور تلك الأمور ، بل ربما تنشرح منهم له الصدور. وأما مايفعل فى بلدان اليمن من الشرك والفتن قبل هذا

الوقت فى هذا الزمن فأكثر من أن يحسب أو يحصى أو يعد ويستقصى أو يدرك له أقصى ؛ فمن ذلك مايفعله أهل شرقى صنعاء بقبر عندهم يسمى الهادى ، والـكل على دعوته والاستغاثة به رائح غادى فتأتيه المرأة إذا تعسر عليها الحمل أو كانت عقيمة فتقول عنده كلمة قبيحة عظيمة فسبحان من لايعاجل بالمعاقبة على الجريمة . وأما أهل بلد برع فعندهم البرعى رجل يرحل إلى دعوته كل ناء عن محله وبلدته ويؤتى إليه من غير إشكال من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال ، ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون بالذبائح عنده كما حقق أخباره من شاهد حضرته واحتضاره .

وأما أهل الهجرية ومن حذا حذوهم فعندهم قبر يسمى ابن علوان وقد أقبل عليه العامة فى نوايب الزمان واستغاث به منهم كل لهفان فهم يلجئون به فى كل وقت وأوان ويسميه غوغاهم منجى الغارقين كما حكاه بعض السامعين وأغلب أهل البر منهم والبحر يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن لم يصلوا إلى قبره وينذر له فى البحر والبر وعند أهل بلده وتعظيمه مايزيد على الحصر ويفعلون عند قبره السماعات والموالد ويجتمع عنده أنواع من المعاصى والمفاسد فليس فى أقطار اليمن فى هذا الزمن من يساويه فى الاشتهار بل ولا فى سائر الأقطار ولهم فى حضرته أمور يفعلونها ديناويتوخونها حينا فحينا يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس وقد جعلها لهم عبادة إبليس ويقولون وهم يرقصون ومما يغنيه طربون قد ملأ الوجد منهم ألبابا وذهنا يا سادتى قلبى بكم معنى . وأما حال حضرموت والشحر ويافع وعدن فقد ثوى فيهم الغى وقطن وعندهم العيدروس يفعل عند قبره من السفه والضلال الوبيل مايغنى مجمله عن التفصيل ويقول قائلهم شىء لله ياعيدروس شىء لله يامحيى النفوس . وأما بلدان الساحل فعندهم من ذلك مسائل فعند أهل المخا على بن عمر الشاذلى أكثرهم بدعوته والاستغاثة به قد ابتلى لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعودا وقياما وينتابون تربته وحدانا وقياما . وأما أهل الحديدة فعندهم الشيخ صدّيق أقبل على تعظيمه والغلو فيه كل فريق ، وقد أدى بهم الأمر والحال وأوداهم الشيطان فى هوة الضلال إلى أنه لايمكن أحد يريد ركوب البحر أو يريد منه النزول إلى البر حتى يجىء إليه ويسلم فورا عليه ويطلب منه الإعانة والمدد فيما أراده وقصد . وأما أهل اللحية فعندهم الزيلعى من غير لبس واسمه عندهم الشمس لأن قبره ليس عليه قبة بل مكشوف ، وكان إليه جميع النذر مصروف وهم

فيه أظلم وأجهل وأطغى وفى تعظيمه ودعوته أضل وأبغى . وأهل البادية منهم تؤثر حكاية عنهم وهى أن كان رسولا فى حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس متدلية للغروب ، وكان دخول النهار له مقصود ومطلوب ، فقال للشمس قفى فوقفت وسمعت قوله وامتثلت هكذا ذكر بعض الرجال والله أعلم بحقيقة الحال . وقبر رابعة عندهم مشهور لايحلفون صدق اليمين إلا بها وغيرذلك من الأمور ، وعندهم الطامة العظيمة والمعضلة الجسيمة وهى فى أراضى نجران ومايليها من البلدان وما حولها من الأعراب والبدوان وهو الرئيس المعروف عندهم السيد المتقدم فى رياستهم وسياستهم والمطلق فيهم والمقيد، فلقد أتوا من تعظيمه وتوقيره وتقديمه فى جميع الأمور وتصديره وقبح الغلو فيه والاعتقاد ما أفضى بهم إلى طريقة الضلال والإلحاد ، فصرفوا له من أنواع العبادة سهما وجعلوا فيه للألوهية وسما حتى كادوا أن يجعلوه لله ندا وقسما وكان عندهم بذلك الحال شهيرا فتعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وأما ما فى حلب ودمشق وأقصى الشام وأدناه فهو مما لا يوقف له على حد ولم يمكن ضبط أقصاه ولا يعرف قدره ومنتهاه ولو استفرغ الإنسان فى ذلك قصاراه بحسب ما يحكيه من يشاهد ذلك أو يراه من العكوف على عبادة القبور وصرف القربان إليها والنذور والمجاهرة بالفسوق والفجور وأخذ الأمكاس والدستور ووضع الخراج على البغايا من تلك المهور وفى الموصل وبلدان الأكراد وما يليها من سائر البلاد وكذا فى العراق خصوصا المشهد وبغداد مالايحتاج إلى حصر وتعداد فيفعل عند قبر الإمام أبى حنيفة ومعروف الكرخى والشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنهم من الدعاء والاستغاثة بهم ومنهم فى سائر الأوقات والأزمان مالايعرف له صفة ولا شان وتسفح عندهم العبرات والدموع ويحصل من التعظيم والتذلل عندهم والخضوع أعظم مما يصدر بين يدى الله فى الصلاة فى الحضور والخشوع بل كثير ممن فعل ذلك مرارا وجرب ، هم لقضاء الحوائج ترياق مجرب . وأمامشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه فقد صيرته الرافضة وثنا يعبد ويدعى بخالص الدعاء دون من ذرأ الخلق وأوجد ويصلى له فى قبته ويركع ويسجد . ولس فى صدور أولئك الضلال وغيرهم من الجهال وذوى الفسق والضلال من التعظيم والهيبة والاجلال لذى الفضل والنوال معشار مافيها لعلى رضى الله عنه من غير إشكال ولا إسراف ولا إفراط فى المقال فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله

ولا يخاف أحدهم مولاه ولا يراقبه سرا وجهرا ولا يخشاه ولا يحلف بعلى كاذبا أبدا يعظم بذلك حماه فلا ينتهك ذلك ويتعداه ويجزمون أن عنده مفاتح الغيب من غير شك قبحهم الله ولا ريب ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة وكفى بما ذكرناه فى خروجهم عن الإسلام حجة وإخراجهم عن واضح السنن والمحجة ، ولقد غلوا فيه وأتوا من الشرك القبيح أعظم مما فعل النصارى بالمسيح سوى دعوى الولدية فلم تصدر من هذه البرية وساووهم أو زادوا عليهم فى غيرها من الخصائل الردية وزخرفوا على قبره الذى يدعونه قبة مذهبة وخالفوا هديه رضى الله عنه ومذهبه ، ولقد كان فى حياته حرق ممن غلا فيه أناس ، فما أغناهم عن انتهاج منهج الضلال والإبلاس ، ومثل ذلك ما يفعل من الشرك والمنكر والشين عند مشهد الكاظم ومشهد الحسين فعندهم من التعظيم لهما والعبادة والوقار والملازمة لذلك بالعشى والإبكار والإقبال على ذلك على سائر الأحوال والإكثار أجل وأكثر مما عندهم لله الواحد القهار ، ولقد شب فيهم على ذلك الكفر وقبيح ذلك المنكر والفجر الرعاع والأطفال وشاب عليه الصغار من الرجال فلا يسمع فى سائر الأحوال بين أولئك السفلة الأنذال والأرذال الضلال ذكر لرب ذى العزة والجلال وإعاديدنهم ذكر على والحسين وبقية الآل . وأما جميع قرى الشط والمجرة فقد لبسوا ثياب الشرك والضلال والمعرّة بل كانوا أهله وأصله ومقره وكذلك ما حول البصرة وما توسط فيها من تلك القبب والمشاهد التى أصبح كل إليها مقبل وقاصد لاسيما قبر الحسن البصرى والزبير رضى الله عنهما فقد طلبوا الفرج منهما وصرفوا لهما من العبادة الدعاء والاستغاثة عند الشدائد وطلبوا منهما جميع الفوائد ، وليس لهذا منكر ولا جاحد سوى ما يصدر وما يشاهد فى تلك البلدان من المنكرات والفواحش والمفاسد ولا يجحد ذلك إلا مباهت معاند . وأما ما فى القطيف البحرين من البدع الرفضية والأمور القبيحة الشركية والمشاهد المعظمة الوثنية وما يفعله أولئك الضلال والأنجاس من الضلال والغى والإبلاس وما يأتونه من الشرك والأرجاس فلا يكاد يخفى على أحد من الناس ويقف دون ساحل إحصائه الإدراك ويقصر عن مقتضاه ونظمه فى هذه الأسلاك ، وما يجحد ذلك إلا كل معتد أفاك ، وإذا رأى أفعالهم كل عارف بالإيمان وشاهده بالروية والعيان تبين له غربة الدين فى هذا الزمان وزاد بصيرة فى دينه وإيقان وجد فى طاعة سيده ومولاه وحمده

على ماخوله وأعطاه وسارع فى خدمته ورضاه ، وبادر إلى القيام بوظائف العبودية فيما أمره ونهاه وأكثر من شكره على مامنحه من فضله وحباه وجعله من حزبه الفائزين الذين هم لديه مقربون (ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون) وتحدث لدى الناس بنعمة الله وألزم بذلك جنانه ولسانه وفاه ونادى برفيع صوته وفاه (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وسأل ربه ودعاه فهو الذى أنقذه من الضلال وسلك به سبل الهداية ونجاه ، وقال فى الدعاء والمناجاة (رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين . وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون) صارت الحظوظ الدنيوية والشهوات النفسية لهم هى الغاية والمقصد والمراد وكان ذلك والعياذ بالله هو السر لهم فى الخلق والإيجاد وغفلوا عما فى ذلك من الوعد والإيعاد (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون) ويتأمل العارف الخبير ذو القلب المنور البصير افتراق الجزءين فى المآل والمصير (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون) .

﴿ فوائد : الأولى ﴾ يجب على كل كيس وهو من دان نفسه وعمل لما بعد الموت أن يهتم بما كلفه الله تعالى ويعتنى بتخليص نفسه قبل الفوت ويدأب فيما يورثها النعيم السرمدى والكرامة فى دار الخلود والمقامة وذلك بتجريد التوحيد لله تعالى والتنصل من الشرك والسلامة ويسعى مشمرا فى إصلاح شأنه وينظر ما وقع من التفرق فى الدين والاختلاف فى أهل زمانه وماجرهم إليه الشيطان باستدراجه لهم وأعوانه حتى أخذ بهم سنن ضلاله وخذلانه وطوّح بهم فى بيداء طرده وهوانه فكرعوا فى حياض الآباء والجدود ورتعوا فى رياض المحرمات والحدود وتدين الأكثر بالبدع والأهواء ورفضوا حبل الله المتين الأقوى وقالوا لا نصل إلى معناه ولا نقوى ورأوا هجره ورفضه هو الغاية القصوى فى التحلى بحلية الورع والتقوى فألقوا من الهوان فى القعر الأهوى وصار ذلك من الله تعالى حتما مقضيا وقدرا مقدورا أزليا وبرهانا لما أخبر به عليه السلام واضحا جليا ، ومصداقا لما وعد به صلى الله عليه وسلم فوعده يكون مأتيا فقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن أمته تتبع سنن من كان قبلهم كاليهود والنصارى وفارس والروم كما ثبت ذلك فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث عن أبى سعيد

الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن ؟ » وخرّج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع ، فقيل يا رسول الله فارس والروم قال : ومن الناس إلا أولئك » فأخبر الصادق المصدوق الذى لاينطق عن الهوى أن أمته تفعل كفعل اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب وفارس والروم وهم الأعاجم ، وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم عبدوا العجل والطواغيت وآمنوا بالجبت والطاغوت (واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان) من كتب السحر (وأنهم قالوا سمعنا وعصينا ـ وقلوبنا غلف) وأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعادوه وأبغضوه بعد معرفته (ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون) وأنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض ، وأنهم يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا وأنهم كفروا بدين الرسول صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا للعرب أن خصهم الله تعالى بهذه الفضيلة العظيمة والمنة الجسيمة لأنهم كانوا يستفتحون على كفار العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولون هذا أوان نبى قد أظل زمانه فنتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم كما ذكر ذلك بن إسحاق وغيره من أهل السير والمغازى، فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم من العرب وصار أتباعه من العرب كفروا به وأبغضوه بغيا وحسدا (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) فلا بد أن يوجد فى هذه الأمة من يفعل فعل اليهود والنصارى وفارس والروم ، وفى حديث الثورى وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الأفريقى عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليأتينّ على أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية كان فى أمتى من يفعل ذلك ، وإن بنى إسرائيل افترقت على ثنتين وسبعين ملة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا واحدة ، قالوا : من هى يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابى » رواه أبو عيسى الترمذى وقال هذا حديث غريب مفسر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهذا الافتراق مشهور عن النبى

صلى الله عليه وسلم من حديث أبى هريرة وسعد بن أبى وقاص ومعاوية وعمرو ابن عوف الأشجعى وغيرهم ، فعن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ؛ وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، وعن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الكتاب افترقوا فى دينهم على إثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة » يعنى أهل الأهواء « كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة » وقال « إنه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به » هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الرازى عن أبى عامر عبد الله ابن لحى عن معاوية ، وروى غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه الإمام فى سننه ، وقد روى ابن ماجه هـذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن عوف ابن مالك الأشجعى ويروى من وجوه أخر ، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة والثنتان والسبعون لاريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم قال الله تعالى (كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون) وقد ذكر أهل التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال « ما أشبه الليلة بالبارحة هؤلاء بنى إسرائيل شبهنا بهم ، والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه » وعن ابن مسعود رضى الله عنه « أنتم أشبه الأمم ببنى إسرائيل سمتا وهديا تتبعون أعمالهم حذو القذة بالقذة غير أنى لا أدرى أتعبدون العجل أم لا » وعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : المنافقون الذين منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم قلنا وكيف ؟ قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه :

﴿ الفائدة الثانية ﴾ قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية فى كتابه [اقتضاء الصراط المستقيم] هذا الاختلاف الذى أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم إما فى الدين فقط وإما فى الدين والدنيا معاً ثم قد يئول إلى سفك الدماء وقد يكون الاختلاف فى الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذى وردت به هذه الأحاديث هو مما نهى الله تعالى عنه فى قوله سبحانه وتعالى (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الآية، وقوله (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء) وقوله تعالى (وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) ومنشأ هذا الاختلاف من جهة عدم العمل بالعلم كالذى يعرف الحق من الباطل ويميز بينهما ولا يتبع ذلك فعلا ولا قولا ولا عملا. وأما من جهة العمل بلا علم فيجتهد فى أصناف العبادة بلا شريعة من الله ويقول على الله تعالى بلا علم ؛ فالأول من مشابهة اليهود الذين قال الله تعالى فيهم (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) والثانى من مشابهة النصارى الغالين فى الدين والقائلين فيه غير الحق والضالين عن سواء السبيل، وقد ابتلى الله تعالى طوائف من هذه الأمة من المنتسبين إلى العلم بما ابتلى اليهود وحب الدنيا وإيثارها وكتم الحق فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه ، وتارة اعتياضا برياسة أو مال فيخاف من إظهاره انتقاص رياسته أو ماله ، وتارة يكون قد خالف غيره فى مسألة واعتزى إلى طائفة قد خولفت فى مسألة فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدى وغيره : أهل العلم يكتبون ما لهم وعليهم وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم؛ وكان السلف رضى الله عنهم ابن عيينة وغيره يقولون إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى انتهى كلامه رحمه الله تعالى، وليس الغرض استيعاب ما وقع من الاختلاف والافتراق واستقصاء ما صدر فيه النزاع والشقاق وما وقعت فيه المشابهة والمضاهاة فهذا يحجم جواد الفهم عن درك أدناه ولا يسع استيفاؤه على الإجمال دون التفصيل لا سيما أن انضم إلى ذلك تحريف التأويل وتأويل التنزيل وإنما القصد من ذلك جلب شذرة يمعن فيها اللبيب فكره ويأخذ منه نذارته وحذره فى هذا الزمان الذى من تمسك

بدينه فيه يكون كالقابض على جمرة فيجب عليه أن يلزم نفسه على ذلك صبره حتى يعظم مولاه له أجره ويتضرع إلى الرحمن الرحيم أن يهديه الصراط المستقيم ويقيمه على السنن القويم (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) فقد والله ضخم الأمر وجسم وتفاقم الأمر وعظم وأطلت الفتن وأطلت المحن فى هذا الوقت والزمن وظوهر على الضلال والبدع والكثير إلى منهاجها نزع وقل الاكتراث والمبالاة فى الدين وكثر سواد المبطلين وحكم على غير برهان ويقين بتضليل الدعاة الموحدين وإبطال ما كانوا له متجردين من الدعوة لرب العالمين (قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين) هذه دعوة رب الأرباب التى نفت الوسايط دونه الارتياب واستبيحت عندها الأموال والرقاب وافترق الناس فيها بين حلول الجنة وحسن المآب والخلود فى الهاوية دار العذاب المعدة لأعداء الله من الجنة والناس أجمعين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ولا يبعد أن يكون زماننا هذا الموجود داخلا فى جملة الزمان الموعود فأرجو لمن استقام فيه على السنن المحمود أن يجعل الله تعالى له فى العمل أجر خمسين ، كما ورد عن سيد المرسلين (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) .

﴿الفائدة الثالثة﴾ أطبقت الأمة واتفقت المقالة أن الله تعالى لا يجمع هذه الأمة على ضلالة ولا يعمها بالسفاهة والجهالة ، فعصمتها مستمرة إلى انقضاء الأمد لا ينكر ذلك ولا يجحده أحد كما ثبت ذلك فى صحيح الأخبار ونقلته العدول الأخيار عن النبى المختار ، وأخبر أيضا أن فى أمته أناسا لا يزالون بهديه يستمسكون وفيها بل أكثرهم مخطئون وعن هديه ومنهاجه منحرفون ، وهذا الاختلاف وصدور الانحراف مما زينه الشيطان وتقاضته الطباع وصار للنفوس إلى ذلك إسراع بعد إزماع ، حتى إن ذلك يوجد من بعض العلماء المنتسبين إلى أحد المذاهب المتعصبين فلا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية إلا ما كان لأصحابهم به عمل أو دراية فيرفض السنن الذى أمر جميع الناس بالاستمساك به والاتباع ، ويؤخذ بهدى أو اختيار بعض الأتباع ولو تبين له وعرف الحق مع غير مذهبه واتضح ماعرج عليه ولا ارتضاه ولا جنح ولا صدع بذلك

ولا صدح . والواجب على كل إنسان ممن اتصف بصفة الإيمان أن يقبل على الحق ويعمل به ممن كان ، ولا تحمله الغيرة القلبية والشهوة المذهبية على العناد والعصبية كما يوجد من بعض أهل المذاهب حمله التعصب على الطعن والعياذ بالله فى الأئمة والمثالب ، وترى كثيرا ممن يدعى العلم والمعرفة وكذلك من المتعبدة والمتصوفة لا يسلم بعضهم من بعض ولا يكون لاعراضهم رفض بل لايعدهم ذلك العالم إلا ضلالا جهالا ، والعابد يرى طريقة العلم سفاهة وضلالا ويدعى أن العلماء لم يشربوا من صافى الشريعة زلالا ولم يردوا من معينها سلسالا ولم يدركوا من الحضرة وصولا واتصالا ولم يلقوا منه قبولا وإقبالا ، ولقد جاء كل من أولئك محالا وقد ضلوا والله ضلالا بعيدا ولم يقولوا قولا سديدا ، وإنما الحق والصواب ما جاءت به السنة والكتاب وما قاله وعمل به الأصحاب وما اختاره الأئمة الأربعة المقلدة فى الأحكام المتبعة فقد انعقد على صحة ما قالوه الإجماع ولا يخرج عنهم إلا من رام سنن الابتداع ، فمن اهتدى بهم بعد الكتاب والسنة فقد رشد واهتدى ومن فارق ذلك فقد ضل واعتدى ، وللإمام أبى عمر يوسف ابن عبد البر الذى شاع علمه فى الأقطار وطبق الأرض فى الشهرة والاشتهار مصنف سماه كتاب العلم أوعب الكلام فيه على السنة والقرآن وصرح بوجوب التمسك بهما على كل إنسان خصوصا ذوى الفضل والشان فى كل قطر وعصر وزمان ولم ير التقليد من المنهج السديد إلا فيما لابد منه ولا غنى للشخص عنه عند تعسر الدليل وفقده وعدم استفائه فى وجده ، ولشمس الدين ابن القيم [فى أعلام الموقعين] مايشفى صدور المجتهدين من رد حجج المقلدين . وللأمير محمد بن إسماعيل الصنعانى وكان مشهورا بالعلم والفهم وله من صناعة الشعراء وفرسهم قصائد كثيرة فى هذا المعنى نهج فيها المنهج الأسنى فأحببت أن أثبت فيها البائية فى هذا الكتاب لما حوته من فصل الخطاب وأجاد القول فيها وأصاب ونصها :

أما إن عما أنت فيه من متاب … وهل لك من بعد البعاد إياب ؟

تقضت بك الأعمار فى غير طاعة … سوى عمل ترضاه وهو سراب

إذا لم يكن فعلك لله خالصا … فكل بناء قد بنيت خراب

فللعمل الإخلاص شرط إذ أتى … وقد وافقته سنة وكتاب

وقد صين عن كل ابتداع وكيف ذا … وقد طبق الآفاق منه عباب

طغى الماء من بحر ابتداع على الورى ... فلم ينج منه مركب ولا ركاب
وطوفان نوح كان فى الفلك أهله ... فنجاهم والغارقون تباب
فأنى لنا فلك ينجى وليته ... يطير بنا عما نراه غراب
وأين إلى أين المطار وكل ما ... على ظهرها يأتيك منه عجاب
نسائل من دار الأراضى سياحة ... عسى بلدة فيها هدى وصواب
فيخبر كل عن قبائح ما رأى ... وليس لأهليها يكون متاب
لأنهم عدوا قبائح فعلهم ... محاسن يرجى عندهن ثواب
كقوم عراة فى ذرا مصر ما علا ... على عورة منهم هناك ثياب
يدورون فيها كاشفين لعورة ... تواتر هذا لايقال كذاب
يعدونهم فى مصر من فضلائهم ... دعاءهم فيما يرون مجاب
وفيها وفيها كل ما لا يعده ... لسان ولا يدنو إليه خطاب
وفى كل مصر مثل مصر وإنما ... لكل مسمى والجميع ذئاب
ترى الدين مثل الشاة قد وثبت له ... ذئاب وما عنه لهن ذهاب
لقد مزقته بعد كل ممزق ... فلم يبق منه جثة وإهاب
وليس اغتراب الدين إلا كما ترى ... فهل بعد هذا الاغتراب إياب
فيا غربة هل يرتجى منك أوبة ... فيجبر من هذا البعاد مصاب
فلم يبق للراجى سلامة دينه ... سوى عزلة فيها الجليس كتاب
كتاب حوى كل العلوم وكلما ... حواه من العلم الشريف صواب
فإن رمت تاريخا رأيت عجائباً ... ترى أدما إذ كان وهو تراب
ولاقيت هابيلا قتيل شقيقه ... يواريه لما أن أراه غراب
وتنظر نوحا وهو فى الفلك إذ طغى ... على الأرض من ماء السحاب عباب
وإن شئت كل الأنبياء وقومهم ... وما قال كل منهم وأجابوا
ترى كل ماتهوى وفى القوم مؤمن ... وأكثرهم قد كذبوه وخابوا
وجنات عدن حورها ونعيمها ... ونار بها للمسرفين عذاب
فتلك لأرباب التقى أو هذه ... لكل شقى قد حواه عقاب
وإن ترد الوعظ الذى إن عقلته ... فإن دموع العين عنه جواب

تجده وما تهواه من كل مشرب فللروح منه مطعم وشراب

وإن رمت إبراز الأدلة فى الذى تريد فما تدعو إليه مجاب

تدل على التوحيد فيه قواطع بها قطعت للملحدين رقاب

وفيه الدواء من كل داء فثق به فوالله ماعنه ينوب كتاب

وما مطلب إلا وفيه دليله وليس عليه للذكى حجاب

ولكن سكان البسيطة أصبحوا كأنهم عما حواه غضاب

فلا يطلبون الحق منه وإنما يقولون من يتلوه فهو مثاب

فإن جاءهم فيه الدليل موافقا لما كان للآباء إليه ذهاب

رضوه وإلا قيل هذا مؤوّل ويركب فى التأويل فيه صعاب

تراه أسيراً كل حبر يقوده إلى مذهب قد قررته صحاب

أتعرض عنه عن رياض أريضة وتعتاض جهلا بالرياض هضاب

يريك صراطا مستقيما وغيره مفاوز جهل كلها وشعاب

يزيد على مرّ الجديدين جدة فألفاظه مهما تلوت عذاب

وآياته فى كل حين طرية وتبلغ أقصى العمر وهى كعاب

ففيه هدى للعالمين ورحمة وفيه علوم حجة وثواب

فكل كلام دونه القشر لاسوى وذا كله عند اللبيب لباب

دعوا كل قول غيره وسوى الذى أتى عن رسول الله فهو صواب

وعضوا عليها بالنواجذ واصبروا عليه ولو لم يبق فى الفم ناب

تروا فيه ماترجون كل مطلب إذا كان فيكم همة وطلاب

أطيلوا على السبع الطوال وقوفكم تدر عليكم بالعلوم سحاب

فكم من ألوف فى المئين فكن بها ألوفاً تجد ماضاق عنه حساب

وفى طى أثنا المثانى نفائس يطيب لها نشر ويفتح باب

وكم من فصول فى المفصل قد حوت أصولا إليها للذكى مآب

وما كان فى عصر الرسول وصحبه سواه الهدى للعالمين كتاب

تلا فصلت لما أتاه مجادل فأبلس حتى لايكون جواب

أقر بأن القران فيه طلاوة ويعلو ولا يعلو عليه خطاب

وأدبر عنه هائما فى ضلاله يدبر ماذا فى الأنام يعاب
وقد قال وصىّ المصطفى ليس عندنا سواه وإلا ماحواه قراب
وإلا الذى أعطاه فهما إلهه بآياته فاسأل عساك تجاب
فما الفهم إلا من عطاياه لاسوى بل الخير كل الخير منه يصاب
سليمان قد أعطاه فهما فناده يجبك سريعاً ماعليه حجاب
وسل منه توفيقا ولطفا ورحمة فتلك إلى حسن الختام مآب

﴿الفائدة الرابعة﴾ فى بيان ماجرى فى غربة الإسلام التى وعد بها خير الأنام وأخبر بوقوعها قبل انقراض الأيام وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام بإلهام من الله تعالى له وإعلام فوقع ذلك وصدر وبدا محياه وظهر كما نطق به الأثر وأفصح به الخبر، فقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « بدا الإسلام غريباً وسيعود غريبا كما بدا » ، وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة فى آخره وهى «قيل يارسول الله من الغرباء؟ قال الذين يصلحون إذا فسد الناس » وخرجه غيره وعنده قال «الذين يفرون بدينهم خوف الفتن» وخرجه الترمذى من حديث كثير بن عبد الله المزنى عن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم «إن الدين بدا غريبا ويرجع غريبا فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى» وخرجه الطبرانى من حديث جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم، وفى حديثه «قيل ومن هم يارسول الله؟ قال الذين يصلحون حين فسد الناس» وخرجه أيضاً من حديث شريك بن سعد بنحوه ، وخرجه الإمام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم، وفى حديثه «فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد الناس» وخرج الإمام أحمد والطبرانى من حديث عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «طوبى للغرباء، قلنا وما الغرباء؟ قال قوم صالحون قليل فى ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم» وروى عن عبد الله بن عمرو مرفوعا وموقوفا فى هذا الحديث «قيل ومن الغرباء قال الفرارون بدينهم يبعثهم الله تعالى مع عيسى ابن مريم عليه السلام» ومعنى ظهور الإسلام غريبا أن الخلق قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على ضلالة فدعا إلى الإسلام فلم يستجب له إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة وكان المستجيب له

خائفا من عشيرته وقبيلته ويؤذى ويشرّد ويعذب ويقتل فيهربون إلى البلاد النائية كالحبشة ثم إلى المدينة بعد الهجرة . فصار الداخلون قبل الهجرة غرباء ثم أتم الله تعالى نعمته على المسلمين وأكمل لهم الدين وقبض سيد المرسلين فاستمروا على الاستقامة والتعاضد والنصرة فى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما حتى أعمل الشيطان مكايده على المسلمين وألقى بأسهم بينهم وأفشى فيهم فتنة الشهوات والشبهات فاصطاد الأكثرين بهما معا أو بأحدهما فكان ذلك كما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم، وفى صحيح البخارى عن عمرو بن عوف عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم ؟ أىّ قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف نقول كما أمر الله تعالى قال أوغير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون » وفى الصحيحين من حديث عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه أيضاً ، ولما فتحت كنوز كسرى على عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكى فقال إن هـذا لم يفتح على قوم قط إلا جعل بأسهم بينهم أو كما قال، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يخشى على أمته هاتين الفتنتين كما فى مسند الإمام أحمد عن أبى برزة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن » وفى رواية « ومضلات الهوى » فلما عمت فتنة الشهوات فى تلك الأوقات وأصبح الخلق إلى زهرة الدنيا فى التفات وصار لهم منتهى المراد وجدّوا لها فى الارتياد ارتكبوا المعاصى والكبائر ووقعوا فى التباغض والتدابر بعد أن كانوا إخواناً وعلى التناصر أعواناً. وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فسببها تفرق أهل القبلة فصاروا شيعاً وفرقا وأحزابا وأكثرهم لسنن الضلال طلابا وفتحوا من البدع والغىّ أبوابا وقذفتهم الفتنة فى مضلة المفاسد وبيداء الإبداع والتباعد ومقفرة التقاطع والتحاسد بعد أن كانوا على قلب رجل واحد وانتهجوا من الردى مهالك فلم ينج من أولئك إلا الفرقة الناجية وهم المذكورون فى قوله صلى الله عليه وسلم «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتى

أمر الله وهم على ذلك» وهم الغرباء المذكورون فى هذه الأحاديث الذين يصلحون إذا فسد الناس ويصلحون ما أفسد الناس وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن وهم النزاع من القبائل، وخرج الطبرانى من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى أشراط الساعة قال «وإن من أشراطها أن يكون المؤمن فى القبيلة أقل من النقد» أى صغار الغنم؛ وفى مسند الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت أنه قال لرجل من أصحابه «يوشك إن طالت بكم حياة أن ترى الرجل قد قرأ القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فأعاده وأبداه فأحل حلاله وحرم حرامه ونزل عند منازله ما يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار» ومنه قول ابن مسعود رضى الله عنه «سيأتى على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة» وإنما ذل المؤمن فى آخر الزمان لغربته بين أهل الفساد ومباينته فى القصد والمراد ومخالفته لطريقهم المعتاد. قال أحمد بن أبى عاصم وكان من كبار العارفين فى زمن أبى سليمان الدارانى: إنى أدركت من الأزمنة زمانا عاد فيه الإسلام غريبا وعاد وصف الحق غريبا كما بدا، إن ترغب فيه إلى عالم وجدته مفتونا بحب الدنيا يحب التعظيم والرياسة. وإن ترغب فيه إلى عابد وجدته جاهلا فى عبادته مخدوعا صريع عدوه إبليس قد صعد به إلى أعلى درجات العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها إلى آخره خرجه أبو نعيم فى الحلية، وخرج أبو الشيخ الأصبهانى بإسناده إلى الحسن قال: لو أن رجلا من الصدر الأول بعث اليوم ماعرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة ثم قال أما والله لئن عاش على هذه المنكرات فرأى صاحب بدعة يدعو إلى بدعته وصاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله تعالى وقلبه يحن إلى ذكر السلف فيتبع آثارهم ويستن بسنتهم ويتبع سبيلهم كان له أجر عظيم.

[تتمة] : مدح كثير من السلف السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة، فكان الحسن رحمه الله تعالى يقول لأصحابه: يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس، وقال يونس بن عبيد: ليس شىء أغرب من السنة وأغرب منها من يعرفها. وعن سفيان الثورى قال: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء، ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة طريقة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات وهى التى ورد للمتمسك بها والعامل أجر خمسين ممن قبلهم والمتمسك بدينه كالقابض على الجمر، ثم صارت السنة فى عرف كثير من العلماء المتأخرين هى السالمة من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الإيمان بالله وملائكته

وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك فى مسائل القدر وفضائل الصحابة وصنفوا فى هـذا الباب تصانيف سموها كتب السنة وإنما خصوا هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا جرف . والغربة عند أهل الطريقة غربتان ظاهرة وباطنة، فالظاهرة غربة أهل الصلاح بين الفساق وغربة الصالحين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق ، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والإشفاق ، وغربة الزاهدين بين الراغبين فيما ينفد وليس بباق. وأما الغربة الباطنة فغربة النهمة وهى غربة العارفين بين الخلق كلهم حتى العلماء والزهاد فإن أولئك واقفون مع عبادتهم وعلمهم وزهدهم وهؤلاء واقفون مع معبودهم لايعرجون عنه .

الفصل الثانى

فى نسب الشيخ ومبدإ أمره وما جرى عليه فى قيامه بتلك الدعوة من أهل مصره وما صادمه به علماء عصره

أما نسبه — رحمه الله تعالى وأفاض عليه سحب غفرانه ووالى — فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن محمد بن بريد بن مشرف . ولد رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية فى بلد العيينة من البلدان النجدية فأنبته الله تعالى نباتاً حسناً وجلا به عن طرف الدهر وسناً وبقى بعد سن الطفولية زمناً يتعلم فى تلك القرآن معتزلا فى غالب الأوقات لعب الصبيان ولهو الجهال والغلمان حتى حفظ القرآن عن ظهر قلب قبل بلوغه العشر، وكان حادّ الفهم سريا وقاد الذهن ذكيا سريع الحفظ فصيح اللفظ ألمعى الفطنة نبيه، اشتغل فى العلم على أبيه، وجد فى الطلب وأدرك بعض الأرب وهو فى بلد العيينة فى تلك الحال قبل رحلته لطلب العلم والارتحال وتطوافه له فى كثير من البلاد حتى نال منه المراد وفاز بالسعد والإسعاد وحاز الرشد والإرشاد ، وكان والده قد توسم ذلك فيه ويحدث بذلك ويبديه ويؤمل ذلك منه ويرجوه كما حدث به سليمان أخوه ، قال كان عبد الوهاب أبوه يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه وإدراكه ومناهزته الاحتلام وإفراكه ويقول أيضا لقد استفدت من ولدى محمد فوائد من الأحكام أو قريباً من هذا الكلام ، وقد كتب

والده إلى بعض إخوانه رسالة نوّه فيها بشأنه يثنى فيها عليه وأن له فهما جيداً ولديه، ولو يلازم الدرس سنة على الولاية لظهر فى الحفظ والإتقان آية وقد تحققت أنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتى عشرة سنة على الإتمام ورأيته أهلا للصلاة بالجماعة والائتمام فقدمته لمعرفته بالأحكام وزوّجته بعد البلوغ فى ذلك العام ثم طلب منى الحج إلى بيت الله الحرام فأجبته بالإسعاف لذلك المرام فحج وقضى ركن الإسلام وأدى المناسك على التمام ثم قصد مدينته عليه الصلاة والسلام وأقام فيها شهرين ثم رجع بعد ذلك فائزا بأجر الزيارة والمناسك وأخذ فى القراءة على والده فى الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلك فيه الطريق الأحمد، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه بحيث إنه يخط بالخط الفصيح فى المجلس الواحد كراس، من غير سآمة ولا نصب ولا التباس، ثم بعد ذلك رحل فى العلم وسار وجد فى الطلب إلى مايليه من الأمصار وما يحاذيه من الأقطار فزاحم فيه العلماء الكبار وأشرق طالعه واستنار وصار لهلاله أقمار فوطىء الحجاز والبصرة لذلك مرارا وأتى الاحسا لتلك الأوطار وأخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدى ثم المدنى وأجازه من طريقين، وأول حديث سمعه منه الحديث المشهور المسلسل بالأولية. نقلت من خطه ما نصه حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على سا كنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب الحنبلى إجازة قال أخبرنا والدى تقى الدين عبد الباقى الحنبلى وهو أول حديث سمعته قال أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتى الحنبلى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصارى الخزرجى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به والدى شيخ الإسلام زكريا الأنصارى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفى الخازن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الصدر أبو الفتح الميدومى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد اللطيف ابن عبد المنعم الحرانى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به الحافظ

إسماعيل بن صالح النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا والدى أبو حامد صالح المؤذن وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد الزياد وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن يحى بن بلال البزار وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا عبد الرحمن بن ستر بن الحكم النيسابورى وهو أول حديث سمعته منه قال أخبرنا سفيان بن عيينة وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن أبى قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» تفرد به سفيان ولا يصح سنده عن من فوق سفيان والله أعلم، وحدث أيضا عنه بالمسلسل بالحنابلة قال رحمه الله حدثنى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الحنبلى بمنزله بظاهر المدينة النبوية عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبى المواهب بن تقى الدين عبد الباقى الحنبليان عفا الله عنهما إجازة عن والده تقى الدين المذكور قال أخبرنا شيخنا عبد الرحمن البهوتى أخبرنا الشيخ تقى الدين بن النجار الفتوحى صاحب منتهى الإرادات أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد قاضى القضاة الحنبلى أخبرنا بدر الدين الصفدى الظاهرى الحنبلى ، أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلى أخبرنا أبو على حنبل بن عبد الله الرصافى ، قال أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلى قال أخبرنا أبو الحسن بن على الحنبلى ، قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلى قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلى قال حدثنى أبى أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلى عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيراً استعمله قالوا كيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح قبل موته » هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثياً للامام أحمد رضى الله عنه ، وقد سمع رحمه الله الحديث والفقه من جماعة بالبصرة كثيرة وقرأ بها النحو وأتقن تحريره ، وكتب الكثير من اللغة والحديث فى تلك الإقامة ، وبحث على طريق الهدى والاستقامة ، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه ، وقد نشر للتوحيد فيها لدى بعض الناس أعلامه ، وحقق لهم فى ذلك الشأن إتقانه وأعلامه ، وأوضح لهم سبيله وأحكامه . فقال إن الدعوة كلها لله يكفر من صرف شيئاً منها إلى سواه ، وإذا ذكر أحد بمجلسه شارات الطواغيت أو الصالحين

الذين كانوا يعبدونهم مع رب العالمين نهاه عن ذلك وزجره ، وبين له الصواب وحذره وقال له محبة الأولياء والصالحين إنما هى اتباع هديهم وآثارهم والاستنارة بضياء أنوارهم، لاصرف الحقوق الربانية إلى الأجسام الوثنية ، وقد وقع ذلك بمجلسه مرة فأبدى للقائل نهيه وزجره ، وأظهر عليه إغلاظه ونكره فتغير وجه القائل ، وجال واستغرب ذلك المقال وقال إن كان مايقوله حقا هذا الإنسان فالناس ليسوا على شيء من زمان ، قال رحمه الله تعالى: وكان ناس من مشركى البصرة يأتون إلىّ بشبهات يلقونها علىّ فأقول وهم قعود لدى : لاتصلح العبادة كلها إلا لله فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه . ثم رجع بعد ذلك السفر فإذا والده عبد الوهاب قد رفض سكنى العيينة وهجر واختار سكنى حريملا فأقام بها واستقر فأقام فيها مع أبيه يعلن بالتوحيد ويبديه وينادى بإبطال دعوة غير الله ويغشيه وينصح من عدل عن الحق والرشاد ويسلك فى ذلك سبيل السداد ، ويزجر الناس عن الشرك والباطل والفساد حتى رفع الله تعالى شأنه فساد ، وجدّ رحمه الله تعالى فى تعليم الواجب وبذل المناصحة للخاص والعام، ونشر شرائع الإسلام ومهد سنة محمد عليه الصلاة والسلام وإزالة ماغطى القلوب من رين الشرك الذى هو أعظم الذنوب وكشف الذنوب المظلمة للناس وإماطة أذى اللابس والالتباس ، ويحذرهم إن داموا على ماهم فيه وقوع النقمة والباس ورفض منهج الغلول والخيانة وأدى من العلم الأمانة وترك ماكان علماء السوء قبله له سالكون ، وفى قعره العميق راكسون وفى أرجائه المغيرة ماكثون ، وخشى الوقوع فى تغليظ الوعيد كما نطق به القرآن المجيد (إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) فأى وعيد فوق هذا الوعيد وأى تهديد وراء هذا التهديد كلاما على لعنة الله من مزيد فلله دره من جهبذ عالم وداع إلى توحيد الله قائم وناصح لله ملازم ومجدد لتلك المشاهد السنية والمعالم ومحى لآثار سلفية لم يبق منها سوى الأطلال والمراسم ومميت لبدع رفضية شابهت المجوسية وأمور شركية اعتقدها أكثر البرية أمور إحنة دينية فأقاموا لها أعيادا ومواسم ، وعكفوا عليها والأغلب لها سائم ولتشديدها والذب عنها رايم بل الكل لم يكن منها سالم فانتدب هذا الإمام الذى أضحى بهديه الدين مشرقا باسم والباطل بحججه مظلماً سادم مناديا على رءوس العوالم بإخلاص العبادة لله وتنكير الإشراك لله والمظالم وإبطال

دعوة غيره من نبي وولي وظالم وحاكم فلم يخف في الله لومة لائم حتى نال من مولاه المنح العظائم والعطايا الكرام الجسام وحاز منه أسنى الصلاة والغنائم وفاز منه بأوفر المغانم واختار الله تعالى وما عنده ، وبذل في طاعته جهده وطاقته وجده ووسعه ووجده حتى أنجز الله تعالى له وعده وكثر بعد ذلك محبه وجنده وأجزل عطيته ورفده وصار له بتلك الدعوة والقيام توكل على ربه واعتصام فلم يبال بجميع الأنام وما رموه به من القوادح العظام وما فوّقوا له من تلك السهام، فلم يكن لهم إليه وصول وصار كل منهم عنه مغلول . وحد لسانه مفاول حتى بدا له في أفق تلك البلد طالع القبول ، ولمع فيه بارق سيف الحق المسلول وانحط ذرى الضلال وانقطع حبله الموصول وعصفت به عواصف الدبور بعد الشمال والشمول ، وصار لنجمه كسوف وأفول والعود المورق باللهو والمزامير والطبول بعد غضته ونضارته يبس وذبول ولجسمه الممتلئ بالفواحش نحول فانتظم في سلك الإمام رجال وعصابة فحول فاتخذوه جليسا وأنيسا واقتدوا به في كل مايقول فكانوا لطريقته المثلى متبعين وبأقواله وأفعاله مقتدين وبهديه الواضح مهتدين لايزالون معه في إخلاص الدعوة مشمرين وفي إدحاض الباطل وأهله مجتهدين ، وبإيضاح مناهج الشرك معلنين ، وفيما يرضى الله مسرعين ولأهل الدين والحق مكرمين ولأهل الضلال موهنين وللضلال والفساق مهينين ولقبح عقائدهم لهم مبينين قائمين في ذلك لرب العالمين ولوجهه الكريم محتسبين وفي الفوز غدا مؤملين وللنجاة مرتجين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) وكان هؤلاء الرجال ملازمين للشيخ في جميع الأحوال وكان في تعليمهم وإرشادهم لايزال، فقرءوا عليه كتب الحديث والفقه والتفسير وحقق لهم ذلك أتم التحقيق والتحرير ؛ وكان رحمه الله في تلك المدة يروّع كل معاند ومعارض فاشتهر حاله في جميع بلدان العارض في حريملا والعيينة والدرعية والرياض ومنفوحة فلم يكن لبعضهم عن اتباع ذلك الحق مندوحة لكون رب العباد كتب السعادة قبل الميلاد فكان لأجل ذلك ذا أهبة واستعداد لما حظي بالمدد والإمداد فتنور قلبه بضياء الرشاد وهو مقيم في تلك البلاد فأتى إليه ناس كثير وانحاز لدعوته جم غفير وكان الناس عند ذلك حزبين وانقسموا فيه فريقين فريق أحبه وما دعا إليه فعاهده على ذلك وبايعه وحذا حذوه وتابعه وفريق أنكر ذلك عليه وهم الأكثر حتى أعزه الله

تعالى عليهم وأظهر وصار الخلق فيه مختلفين ، وفى تلك الأمور متحيرين وأكثر فى مراتع الحيرة يسيم ، وفى مراتع الشك والريب مقيم (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم) فلم يزل رحمه الله تعالى دأبه القيام ونشر دعوة الملك العلام على الاستمرار والدوام حتى لهج بالإنكار عليه كثير من ذوى العلم والأفهام وركضوا مع الرؤساء والشياطين والطغام فقلدوهم فى ذلك الأمر العوام فكان للجميع على الأنكال انتظام وعلى الإعانة فى ذلك التزام فأقام رحمه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى فى بلد حريملا سنين ينشر أعلام التوحيد ويبدى فى المحافل الدر النضيد وجوهر الحق الفريد وصنف فى تلك الاقامة كتاب التوحيد ونشر أعلامه ، ثم بعد ذلك عزم على المسير عنها والارتحال والإقامة بالعيينة نجد فى الرحيل والانتقال ، وذلك بعد أن هدى الله تعالى عثمان بن معمر لقبول هذا الدين الذى أحياه ذو القلب المنوّر فدخل منه شىء فى قلبه ، وأعلن عند جماعته وصحبه بتقريبه وحبه فحين وصل تلك البلد قام معه عثمان وقعد وساعده على ذلك واجتهد وأمر الناس له بالاتباع ، وعدم المشاقة له والنزاع وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره وكلامه ، ويسلكوا سبل الاستقامة ويظهروا توقيره وإكرامه فكان بعد ذلك الأمر والإلزام ، وصدور ذلك الاعتناء التام ، وشدة الرغبة والاهتمام وإبداء التعظيم له والاحتشام تسمع أقواله وتطاع وتملأ الصدور والأسماع فصار للزيغ ارتداع وقمع وإقلاع وللحق والهدى أتباع ففشا الدين فى بلدان العارض المعروفة ، وأكثرهم قلوبهم عن ذلك النور مصروفة وعلى ما كانوا عليه من الأمور المألوفة ملازمة محبوسة موقوفة ؛ ولكن لم يصبر على الإقامة بذلك المكان مع مشاهدته فيه الأوثان فعند ذلك أمر الشيخ محمد الأمير عثمان بهدم القبب والمساجد المبنية فى الجبيلة على قبور الصحابة وقطع الأشجار التى كانت الخلق لها فى كل ساعة منتابة فبادر عثمان لذلك وامتثل وخرج الشيخ معه وجماعتهم على عجل وخرجوا بالمعاول ، والكل للأجر آمل فهدموا تلك المساجد وأزالوا رفيع المشاهد وأزالوا جميع المحظور عن جميع تلك القبور ، وعدلت على السنن المشروع واندرس الأمر الممنوع وهدم رفيع ذلك البنا ، وبطل ذلك التعظيم لها والاعتنا ، وخرشامخ الأحجار وخر ما فى العارض من معبدات الأشجار كشجرة قريوه وأبى دجانة والذيب ، فلم يكن أحد إلى التبرك

بهما ينيب ، ولم تسالها من لم تتزوج مثل العادات زوجا حبيب ، وليس هذا فى تلك الأزمان بغريب وليس وقوع أقبح منه بعجيب ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى هو الذى باشر قطع شجرة الذيب بيده مع بعض أصحابه فنال من ربه جزيل أجره وثوابه وقطع شجرة قريوه ثنيان بن سعود ومشارى بن سعود وأحمد بن سويلم وجماعة سواهم فأدركوا من الفوز مناهم فلم يبق وثن فى البلدان التى كانت تحت يد عثمان ، وشاع ذلك واستبان ونعم بذلك أهل الإيمان وصلحوا حالا من ذلك المكان وانتشر الحق من ذلك الأوان واشتهر الأمر وبان وسارت بذلك الركبان فأنكرت ذلك قلوب الذين حقت عليهم كلمة العذاب وقالوا مثل ماقال الأولون ذوو الكفر والإعجاب (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب) فأخذوا فى رده والإنكار عليه وأتوا بأعظم الأسباب وزجوا الخلق فى لجة الضلال والارتياب وضجوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب وعجوا مطبقين على الشيخ بأنه ساحر ومفتر وكذاب وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وجميع من له من الأصحاب (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) وأشر الناس والعلماء إنكاراً عليه وأعظمهم تشنيعا وسعيا بالشر إليه سليمان بن سحيم وأبوه محمد فقد انهم فى ذلك وأنجد وجد فى التحريش عليه والتحريض ، وهيئوا له أسباب الجريض وأرسل بذلك إلى الأحسا والحرمين والبصرة فلم ينل من مراده سوى الخزى والعار والحسرة، ولم يحصل من مراده بغير العثرة ، ولقد كاد وشنع وعادى وحشر علماء السوء ونادى وكذب عليه وبهت وزور وجد فى دحض الهدى وشمر وسعى فى إبطاله وما قصر وبعث الطروس مترعة بالباطل والمين إلى علماء الحساء والبصرة والحرمين فقاموا معه فوراً بالإنكار وأفتوا للحكام والسلاطين والأشرار بأن القائم بدعوة التوحيد حتى أشرق لها أنوارا خارجى لها وبيض فى الأقطار خارجى ليس له فى الحق تثبت ولا قرار وأنه من لظى الجحيم والنار على شفا جرف هار بل جزم أكثر علماء الأمصار فى تلك الأزمان والأعصار بأن هذا المبين لآثار السلف الأخيار المتبع لهدى نبيه المختار من أقبح الضلال والفساق والكفار وأشر الخوارج والفجار وحسبوا أنهم إذا حرشوا عليه الحكام يجدون فى قتله ويجتهدون فيفوزون حينئذ بما كانوا يؤملون ، ولقد عرفوا أن الذى جاء به الحق ولكنهم لذلك كانوا يكتمون (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله

إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) فصنفوا المصنفات فى تبديعه وتضليله وتغييره للشرع النبوى وتبديله وعدم معرفته بأسرار العلوم وتجهيله وسطروا فيها الجزم بكفره وبطلان حجته ودليله وأوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم ومايفترون. فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح تلك الأقوال وأرهفوا أسنة المقال والكل خاض فى الإفك ونال فآب بالخسران والإذلال ورجع ولله الحمد بخيبة الآمال (ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) والذى تولى منهم هذا الأمر الكبير واقتحم لحجج موجه الخطير وشمر فيه أعظم التشمير وتنادى عليه مع أعوانه لأجل التغيير حسداً وبغياً لفوزه بهذا الفضل الكثير والفخر النابل المنير سليمان بن سحيم وأبوه محمد من مطاوعة الرياض والموانيس من أهل منيخ وعبد الله بن محمد بن عبد اللطيف ، ومحمد بن عبد الرحمن بن عفالق فصار كل من هؤلاء معاندا مجادلا مشاقق وحذروا منه جميع الأنام ، وأخرجوه بلا شك من حوزة الإسلام وأغروا به الخاص والعام خصوصاً السلاطين والحكام وقطعوا لهم أنه رافض شريعة محمد عليه الصلاة والسلام وأنه مغير لمنار السنة والأحكام وليس له منها تمسك والتزام ولا بالدين أخذ واعتصام فليس له ولا لأصحابه عهد ولا ذمام ولم يكن له قصد ولا مرام إلا تنفير الخواص والعوام وملأ قلوب الجهال والطغام بما يبديه لهم من ذلك الكلام فيقوموا بالمشاققة على الحكام والولاة ويكونون عليهم عتاة وبما يأمرونهم به فى جميع الأحوال عصاة فهذا غايته ومناه ومنتهى مراده وأقصاه يخوفونهم بهذه الأقاويل ويجلبون لهم أنواع الأباطيل ويحذرونهم منه أنه إن تمكن أمره فى البلاد أزال جميع المنكرات والفساد وقطع جميع ما كان من المظالم معتاد ، فكانوا بهذا الكلام لهم يغيرون وعن طريقه يحذرون وينفرون ، وهو رحمه الله صابر على ما يقولون محتسب الأجر فيما إليه ينسبون متسلّ بما كابده وقاساه قبله الموحدون وما لقيه من الابتلاء المؤمنون وما سعى به لهم الضلال والمشركون (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) وهذه سنة الله تعالى فى عباده جارية فى جميع الأزمان على مراده ، يختبر بها أحبابه المؤمنين ويمتحن بها أحزابه المفلحين (ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فيرفع جل وعلا قدر الصابرين ويعلى مرتبة الصادقين ويخفض منزلة المنافقين ، ويفضح

بإرادته الفاسقين والكاذبين ويحق عليهم كلمة العذاب أجمعين (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون) فمضى رحمه الله تعالى فى المناصحة وبذل الجد فى الدعوة والخلق رموا البال نحوه فصبر متأسيا بسلفه الصالح، فكان له بهم أسوة ما كانوا عليه يحزنون (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون).

[مهمات : الأولى] أنه رحمه الله تعالى لما تظاهر بذلك الأمر والشان فى تلك الأوقات والأزمان والناس قد أشربت منهم القلوب بمحبة المعاصى والذنوب وتولعوا بما كانوا عليه من العصيان وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان لم يسرع لها لسان ولم يصمم منه لب وجنان على تكفير أولئك العربان بل توقف تورعا عن الإقدام فى ذلك الميدان حتى نهض عليه جميع العدوان وباحوا وصاحوا بتكفيره وجماعته فى جميع البلدان ولم يتثبتوا فيما جاءوا به من الإفك والبهتان ولم يكترثوا بما حكموا عليه من الزور، وما اقترفوه من الفجور، بل كان لهم على شنيع ذلك المقال إقدام وإسراع وإقبال، ولم يأمر رحمه الله تعالى بسفك دم ولا قتال، على أكثر أهل الأهواء والضلال حتى بدءوه بالحكم عليه وأصحابه بالقتل والتكفير. وكان ذلك سبب حسن العاقبة للإمام من العليم الخبير ومساعدة القضاء له والتدبير، وشؤم ذلك على الأعداء الذين تمالئوا على ذلك الأمر المبير الذى كانت عقباه عليهم الهلاك والتدمير. جزاء بما كانوا يكسبون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوآى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) نعم ثبت لدينا ونقل نقلا صحيحا إلينا أنهم هم الذين شهدوا على أنفسهم بذلك وألقوها فى مظالم قفر المهالك ونظموا أرواحهم مع الكفار فى تلك المسالك وألحقوها من عند أنفسهم بأولئك، فقالوا إن كان الذى نفعل من الدعوات والاعتقادات بأهل القبور فى تلك الأزمنة الماضية والدهور فنحن كفار ضلال من غير ريب ولا إشكال ولقد لهج بذلك الأحوال ذوو الأحلام منا والجهال فهم الذين ألزموا أنفسهم تلك المقالة ووسموا أنفسهم بميسم الكفر والضلالة وقد أنفذ الشيطان فيهم غدره واحتياله وجعل تلك لهم إلى مراده حباله، وقال لهم وزين وصرح لهم وبين وشرح لهم وعين وقال لهم لا يتم لكم سؤل ولا مراد حتى تلقوا هذا القول بين أظهر العباد فتغروا به الحكام والولاة وأهل الفساد. فيبادروه بالقتال والجهاد ويجلوه إن لم يلوه عن البلاد هكذا زخرف لهم اللعين وكاد حتى وسطهم فيفا

الإهلاك والإبعاد فتنحى عنهم الخبيث عن يمين وقال أنتم أهل الشمال الضالين (إنى أخاف الله رب العالمين) فلاريب أنهم هم الذين على أنفسهم قضوا واختاروها لهم وارتضوا وقصدهم بعموم التكفير تحذير الناس عنه والتنفير وحاولوا بذلك مآرب وسخت لهم به مطالب ساءت لهم منها العواقب وخدشتهم منها سهام صوائب وحلت عليهم مصائب وارتفع بها للإمام مراتب وشاع جميل ذكره فى المشارق والمغارب ، وانعكس عليهم الحال فلم يحصلوا على آمال بل كان ذلك البهتان الذى أتوه والمحال عائد عليهم بالهوان والإذلال والهلاك والقطع والاستئصال وتبدى لأهل الدين كواكب سعد منيرة الإشراق وأعطاهم الله تعالى غاية الأمل، وربما صحت الأبدان بالعلل ، وكثر بعد ذلك صحبه وجمعه وزاد إعلانه بالتوحيد وصدعه وردعه أهل الشرك وقمعه « ومن العداوة مايسرك نفعه » وإذا تأمل العاقل اللبيب الذى حصل من الإيمان على نصيب الذى حصل من الحال وبدا ، وما تفوّه به أهل الزيغ والردى ، ومامكر به رؤوس العدا وما نووا به أهل الهدى ظهر له فى ضمن ذلك من الحكم والعبر والمنن التى حرست عن طوارق الغير واللطائف التى فى الوجود لها واضح الأثر وصار لها فى الموعظة انتفاع ومدكر وبان له ماجرى على الشيخ من المحن وصدر زاد ولله الحمد منحا وتبين له ذلك وظهر حملهم على ذلك الحسد المحرم المذموم فكان كل منهم لما أمله محروم، وبالبعد والمذلة موسوم :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالقوم أعداء له وخصوم

ظنوا أن ذلك عار فأذاعوه أو خزى فأفشوه وأشاعوه ، وتأملوا أنهم بغير الكذب والمين لايدركون منى ، ولا يحصل لهم بغير المعتاد هنا ، فأوهن الله تعالى بفضله كيد كل عدو وحسود لأن الحسود كما فى الأثر لايسود ، ولم يظفروا بمرام ولا مقصود ، بل أضاء بسعيهم لأهل الدين فى البسيطة إسعاد وسعود وعروج إلى ذرى المفاخر وصعود ، وما أحسن قول أبى تمام فلقد أصاب الغرض فى هذا المقام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة   طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت   ما كان يعرف فضل طيب العود

[الثانية] كان رحمة الله عليه مع مايسمع من الأذى وينقل إليه وما ينمى من

قبيحهم لديه وفرط تعنتهم وعنادهم وعدم توقفهم فيه ، وإسنادهم وغلوّهم فى هجرهم له وانتقادهم وتشريعهم على عرضه أسنة حدادهم وشحذهم لدمه المعصوم مواضى جلادهم ومبالغتهم فى السعاية لإهلاكه وارتيادهم غير مكترث بهم ، ولامقترف ولا مبال ويتسلى بمن كان قبله من ذوى الفضل والمعالى ويقول متوكلا على مولاه القاهر المتعالى : حسبي من سؤالى علمه بحالى ، وينشد قول محسود سالى :

إن يحسدونى فإنى لست أحسدهم　　قبلى ذو الفضائل أهل العلم قد حسدوا

بل كان يتضرع إلى سيده ومولاه الذى خصه بهذا الفضل ووالاه أن يشرح للحق صدورهم ، ويجعل لمورد التوحيد ورودهم وصدورهم ، وأن يسهل لقبوله قلوبهم وأمورهم ، وأن يكفيه بحوله وقوته شرورهم ويصرف عنه محذورهم ، ويسير معهم بسيرة الصفح والعفو والمغفرة ، وأحب مالديه إتيان أحدهم إياه بالمعذرة ، ولم يعامل أحداً من تلك المطاوعة بالإساءة بعد التولى والقدرة ، ولا ريب وحق ذى الجلال ، إنهم لو مكنهم الله تعالى منه لقطعوه أوصال ، وأوقعوا به أقبح المثلة والنكال ، وإلا حرقوه بالنار من غير مراجعة ولا سؤال ، وهو يتحقق منهم تلك الأحوال والأمور ، ولكنه لم ينتصر لنفسه بعد التمكن والظهور فحين أكرمه الله تعالى وأعلى فى الخافقين منزلته وشانه ، وأهلك حساده وعدوانه وأعز جماعته وأعوانه وجاءوا وافدين عليه منقادين قسرا إليه وأوقفوا أكثرهم بين يديه وتنصلوا معذرتهم بين يديه أدخلوا بلده وأوطانه ، فلم يعاملهم بالإذلال والإهانة ، ولم يحتج إلى سبيل التوبيخ والعتاب ، ولم يفتح للتأنيب والتبكيت أبواب ، ومنحهم برّه ومعروفه وإكرامه ، ولم يقابل بالعذل والملامة وأبدى لهم البشاشة والملاطفة ، وأعرض عما أتوه من الإسراف والمجانفة ، وكأنهم لم يصدر عليه منهم بلا ، ولم يسعوا به عند ولاة الملا وأخذته لهم الرحمة ، ولا أراد لهم سوءا ولا وصمة ولا مكروها ولا نقمة ، وهذا الأمر لاتقواه الطباع البشرية ولا تهواه قلوب أكثر البرية ولا تحمله الأنفة والحمية ، ولا تكظم عليه ذوو العصبية وهذا الشأن والمقام لايدرك ولا ينال ولايرام ، ولا يتبوأ بحبوحته إلا البررة الكرام والعلماء بالله الأعلام ممن جمله الله تعالى بحلل تقواه وحلاه بحلل معرفته وهداه ، وهم الذين يقومون حين ينادى المنادى من بطنان العرش « ليقوم اليوم من أجره على الله » ولعله رحمه الله تعالى لمح سر « رب اهد قومى فإنهم لايعلمون » فلم يؤاخذهم بما كانوا يصنعون ، وتلقاهم

بالقبول والإقبال ولين لهم الجناح فى المقال حتى دهشت قلوبهم من الاختجال ، وما أسدى إليهم من النوال فكانت حاله معهم كما بينه التهامى فقال :

إنى لأرحم حاسدى لحرّ ما　　صمت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم　　فى جنة وقلوبهم فى نار

[المهمة الثالثة] يتأكد على كل مؤمن وموحد أن يسأل الله دوام الهداية ، ويسترشد ويتفكر فيما حباه به مولاه دون أكثر الخلق واختصه ، ويشكره سبحانه وتعالى أن وفقه لتأهله بالقعود على هذه المنصة وأهله لمراتب لم يكن لها أهلا وأسدى إليه من مواهبه إحساناً وفضلا ويلزم منهج الصبر على ماتسنى له من الابتلاء عدلا، فقلما سلم أهل الإخلاص والإيمان من عوارض الامتحان ونوائب البلايا والافتتان فى كل قطر ووقت وزمان ، ولكن السلوان المطاع النافى للحزن والهم والارتياع والجالب للنزعات النفسانية الارتداع إجالة الأبصار والأفكار وتحقيق مطالعة الأنظار والاتعاظ بعد ذلك والادكار وزيادة التسلى والاعتبار بما جرى على الأتقياء الأبرار من الفجرة الكفار فقد فعلوا بالمصطفين الأخيار ماهو معلوم بضرورة الأخبار من القتل والنشر بالمنشار والإلقاء فى موقد النار ، وما وقع على النبى المختار والآل والأصهار من الفسقة الفجار فإذا تأمل ذلك ذو الإيمان حصل له بالرضا إذعان وازداد سكوناً وصبراً على مضض الزمان وتجرّع غصص الهمّ والأحزان ، وكفى له أسوة وقدوة واتباع بهؤلاء السلف الصالح الأتباع ولو لم يكن فى ذلك من المصالح والأسرار إلا تكفير الخطايا والأوزار ورفع المنازل والدرجات العلى فى الجنات والأمن فى رفيع الغرفات وظهور الدين والآيات وإطماء الشرك والضلالات وإعزازه لأوليائه وإذلاله لأعدائه لكان كافيا وبالمقصود وافياً ، مع أن ابتلاءه لخاصته وأحبابه فيه سر عظيم فى نصر دينه وأحزابه وانتشار الكلمة ونموها وارتفاعها بعد ذلك وسموها ورسوخ التوحيد والدين وإقبال الخلق عليه أجمعين ، فهو فى الحقيقة حكمة بالغة ، ولكنها والله منة سابغة ، وقد جاء فى بعض الأحاديث : أن الله ذكر فى التوراة لموسى ، إنى أقسى قلب فرعون لتظهر آياتى وتظهر عجائبى ، فمن أكمل الله تعالى له هذا الدين وقوى له الإيمان واليقين من العلماء والمؤمنين صبر على أذى المؤذين وتحمل مشقة الممتحنين فهو لابد وأن تكون له العاقبة ويدرك مأموله ومطالبه وقد قال الله تعالى (أم حسبتم

أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ويجزؤ فى جميع حالاته وسائر طاعاته إلى ربه القريب المجيب أن ينيله ويقسم له من الجهاد فيه والصبر أوفر نصيب (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) فبعد سلوكه سنن الصبر وانتهاجه يتسنى له لذة سروره وابتهاجه ويفاض عليه من سحائب جود مولاه وبره أضعاف ثوابه وأجره مقابلة على ماعانى من صبره ومعاملة على قيامه بشكره ويفوز بدرجات الصبر فى الثواب ، وضده يحوز البعد عن الوصول إلى تلك الأبواب والارتقاء بعصمة تلك الأسباب إلى سنى تلك الأعتاب ويلقى إليهم الوزر والعقاب ، ويلقى فى درك الجحيم والعذاب، والحكمة فى هذا واضحة جلية والنكتة فيها لائحة غير خفية وهو إظهار الله عز وجل العدل فى ذلك المقام حتى يقع ذلك معاينة فى جميع الأنام وتجرى الأمور الأخروية على ماكان عليه فى الدنيا من الأحكام ، إلا فهو جل ثناؤه وعمت آلاؤه يعلم الأشياء قبل وقوعها جملة وتفصيلا ألا يعلمها من أوجدها وقدرها وصرفها تغييراً وتبديلا ولا تقع إلا على وفق ماأراده تصريفا وتحويلا ، وهذا من عظيم عدله وجسيم إحسانه وفضله أن لايؤاخذ أحداً بعلمه ولايعاجل بالعقوبة لحلمه . واعلم رحمك الله تعالى وأرشدك ويسر لك الخير وسددك أن ماصدر على الشيخ من الاختبار والامتحان وما قاساه من الابتلاء فى تلك الأزمان ممن يدعى الرفعة والشأن والقدم الراسخ فى العلم والعرفان ولا ريب أن الذى وقعوا فيه من الافتتان مماثل لما وقع فيه من قبلهم كما فى القرآن (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) فارتقمهم الخداع فى تلك الأودية وجبذهم إليها بأسباب الأهوية حتى ألبسهم من ذلك الغدر أردية ، وكانت حيله وتسويلاته لهم مردية ، وإلا فالأكثر منهم ممن كسب واقترف أقرّ على نفسه واعترف أن ماأتى به محمد بن عبد الوهاب هو الحق والصواب ، وأن هذا هو التوحيد المطلوب ؛ ومن لم يتحقق به لم يفرق بين الرب والمربوب ، ولكن أنفت بعد ذلك منه القلوب وخشى أن يكون كل من رياسته ودنياه وجاهه مسلوب وقد صرح كثير منهم فى المحافل الكبار بأن مايفعل عند القبور والأشجار والطواغيت والأحجار من الشرك الأكبر الذى لايمحى إلا بالتوبة ويغفر ، وبعض

من أولئك برح على الإصرار ، ودام على الإنكار وبعض يقر عند الخاصة فى إسرار وينكر ذلك لدى الناس فى الإجهار حتى اجتمع منهم الحال وأخذ بهم الحسد ، وآل إلى إنكاره بعد المعرفة وأضحت ألسنتهم بعد ذلك فيه مسرفة ووجوههم عنه مصروفة حتى أنكروا من الشرع الأمور المعروفة فذكر لنا عن تحقيق ويقين أنهم أنكروا على عثمان بن معمر أدبه من تخلف عن الصلاة فى جماعة المسلمين وتأديبهم من لم يصل جملة وجبايته الزكاة وغير ذلك من أمور الدين . وكان كثير من علماء نجد العدوان يأتون رءوسا البدوان ويحذرونهم وقوع الصلاة فى حيهم وسماع الأذان ويحثونهم على التمسك بقبيح تلك الأديان وما كانوا عليه من الفسق والعصيان عياذا بك اللهم عن الحسد والبغى فيه والطغيان ، كما فعل ذلك المنتمون للعلم والبيان ، كيف حملهم ماملأ قلوبهم من البغض والحسد ؛ وما أضمروه من الحقد والغل الذى أعقبهم الحسرة والكمد على ذلك الزور المحظور فى الدين والافترا والتعدى على منصب الشريعة والاجترا ، ولم يحذروا فى ذلك سطوة الديان ، ولقد علموا أنهم باعوا الغالى بالدان فباءوا من صفقتهم بالخسران، وكان من أعظم الأسباب التى دعتهم إلى هذا الارتكاب وعدم الخوف والارتقاب ، وأشد ماحملهم على ذلك الإغرا الذى حازوا به سخطا وخسرا وأجل الدواعى لذلك والبواعث التى صيرت أكثرهم لمحكم التوحيدنواكث إعلان الشيخ رحمه الله تعالى بمـا هو الحق والصواب والواجب المحتم على من بلغ مناط الثواب والعقاب واللازم على من عرف حق المعرفة رب الأرباب وأراد القيام بوظائف الخدمة لينال الكرامة يوم الحساب وهو التمسك والاعتصام بالسنة والكتاب والعمل بما جاء من هدى الأصحاب وبما اختاره الأئمة الأربعة الذين شاعت مذاهبهم فى الأمة فهو وإن كان التزم مذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب ، بل إن لم يلق من النصوص القاطعة دليلا لم يتخذ غيرها سبيلا ؛ ولكنه يختار من هو إلى الدليل أقرب ؛ ومن الأقوال ماهو أصوب ، ومن الحكم ماهو أوفق بالشريعة وأنسب فلما أسفر من كلامه نور هذا الفجر المنير وبدر منه هـذا البرهان الساطع المستطير والنبراس الذى يهتدى به من أراد إلى الله السير والحكم الذى أوجب الله تعالى على كافة الخلق إليه المصير طارت قلوبهم من ذلك فرقا أعظم مطير وسعوا إلى عذب ذلك النمير بالسعى إلى صافى سلساله بالتكدير وإلى تلك المناهل الموردة للأفاضل باجتلاب

شوائب التغيير وتساعد على ذلك الفعل الخطير الصغير منهم والكبير ، وتغافلوا عما ورد من الأحكام البينات والآيات القواطع المحكمات ولو لم يكن إلا آية النساء لكفى حجة على المراد ودليلا (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول) إلى قوله (ذلك خير وأحسن تأويلا) قال العلامة شمس الدين فى [أعلام الموقعين] أجمع الناس على أن الرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله هو الرد إليه نفسه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته قال تعالى (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لايهدى القوم الظالمين) فقسم الأمر إلى اثنين : إما الاستجابة لله والرسول وما جاء به ، وإما اتباع الهوى وكل مالم يأت به الرسول فهو من الهوى ، وقد حرم سبحانه القول عليه بلا علم وجعل ذلك أعظم من الشرك لأنه جعل فى المرتبة الرابعة فقال تعالى (وأن تقولوا على الله مالا تعلمون) . وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) وقال : كلام أهل الحق على أنه لايجوز أن يقول العبد : هذا حلال وهذا حرام ، إلا لما علم أن الله أحله وحرمه . وقال الشافعى قدس الله تعالى روحه : أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس . وقال أبو عمر وغيره من العلماء : أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله وهذا أيضاً كما قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله تعالى فإن الناس لايختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل وأما بدون الدليل فهو تقليد؛ فقد تضمن هذان الإجماعان إخراج المتعصب بالهوى والمتعصب الأعمى عن زمرة العلماء فإن العلماء ورثة الأنبياء والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وكيف يكون من ورثة الرسول من يجهد ويكدح فى رد ماجاء به إلى قول مقلده ومتبوعه ويضيع ساعات عمره فى التعصب ولايشعر لتضييعه . فتنة عمت فأعمت ورمت القلوب فأصمت .

قال عبد الله بن المبارك وغيره من السلف : صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس ؛ قيل من هم ؟ قال العلماء والملوك . وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

رأيت الذنوب تميت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

قال أبوعمر بن عبدالبر: قال أهل العلم والنظر: حد العلم التبيين وإدراك المعلوم على ماهو به ، فمن بان له الشيء فقد علمه ، قالوا والمقلد لاعلم له لم يختلفوا فى ذلك ، ومن هنا ـ والله أعلم ـ قال البحترى :

عرف العارفون فضلك بالعلم وقال الجهال بالتقليد
وأرى الناس مجمعين على فضلك من بين سيد ومسود

وقال أبوعبد الله بن خويزمنداد البصرى المالكى: التقليد معناه فى الشرع الرجوع إلى قول لاحجة لقائله عليه وذلك ممنوع فى الشريعة والاتباع ماثبت عليه حجة ، وقال فى موضع آخر من كتابه : كل من اتبعت قوله من غير أن يجب عليك قبوله بدليل يوجب ذلك فأنت مقلده فى دين الله غير صحيح وكل من أوجب الدليل عليك اتباع قوله فأنت متبعه والاتباع فى الدين مسوغ والتقليد ممنوع . وقد نهى الأئمة الأربعة عن تقليدهم وذموا من أخذ قولهم بغير حجة ، فقال الشافعى : مثل الذى يطلب العلم بلاحجة كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيها أفعى تلدغه وهو لايدرى ، ذكره البيهقى. وقال إسماعيل بن يحيي المزنى فى أول مختصره : اختصرت هذا الكتاب من علم الشافعى ولأقرأه على من أراده مع إعلامه نهيه عن تقليده وتقليد غيره لينظر فيه لدينه ويحتاط فيه لنفسه . وقال أبوداود : قلت لأحمد الأوزاعى هو أتبع من مالك ، قال لاتقلد دينك أحدا من هؤلاء ، ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخذ به ثم التابعين بعد الرجل فيه مخير ، وقد فرق أحمد بين التقليد والاتباع قال أبوداود سمعته يقول : الاتباع أن يسمع الرجل ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم هو فى التابعين مخير ، وقال أيضا لا تقلدنى ولا تقلد مالكا ولا الثورى ولا الأوزاعى ، وخذ من حيث أخذوا ، وقال من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد فى دينه الرجال . وقال بشر بن الوليد قال أبو يوسف لايحل لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا ، وقد صرح الإمام مالك بأن من ترك قول عمر ابن الخطاب لقول إبراهيم النخعى أنه يستتاب فكيف من ترك قول الله ورسوله لقول من هو دون إبراهيم أو مثله ، وقال جعفر الفريابى حدثنى أحمد بن إبراهيم الدورقى حدثنى الهيثم بن جميل قلت لمالك بن أنس ياعبد الله إن عندنا قوما وضعوا كتبا يقول أحدهم حدثنا فلان عن فلان عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه بكذا وكذا ، وفلان

عن إبراهيم بكذا أو يأخذ بقول إبراهيم قال مالك وصح عندهم قول عمر قلت إنما هي رواية كما صح عندهم قول إبراهيم فقال هؤلاء يستتابون ، وقال الطحاوى حدثنا محمد بن الحكم حدثنا عبد الله بن الحكم حدثنا أشهب بن عبد العزيز قال كنت عند مالك فسئل عن البتة فأخذت ألواحي لأكتب ماقال. قال لي مالك لاتفعل فعسى في العشى أنها واحدة . وقال معن بن عيسى القزاز سمعت مالكا يقول إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا فى قولى فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذوا به ومالم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . وقال بقيّ بن مخلد حدثنا شمعون والحارث بن مسكين عن ابن القاسم بن مالك أنه كان يكثر أن يقول (إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) وقال القعنبى : دخلت على مالك بن أنس فى موضعه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى فقلت يا أبا عبد الله مايبكيك ؟ قال يابن قعنب مالى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى؟ والله لوددت أنى ضربت بكل مسألة أفتيت بها بالرأى سوطا وقد كانت لى السعة فيما سبقت إليه وليتنى لم أفت بالرأى . وقال ابن أبى دؤاد حدثنا أحمد بن سنان قال سمعت الشافعى يقول مثل الذى ينظر فى الرأى ثم يتوب منه مثل المجنون الذى عولج حتى برأ فأعقل مايكون . وقال ابن أبى دؤاد حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : سمعت أبى يقول لا يكاد أحد نظر فى الرأى إلا وفى قلبه دغل، وقال الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان لنعطينك جملة تغنيك إن شاء الله : لاتدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أبدا إلا أن يأتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافه فتعمل بما قلت لك فى الأحاديث إذا اختلفت، قال الأصم وسمعت الربيع يقول سمعت الشافعى يقول: إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ماقلت . وقال أحمد بن على بن عيسى بن ماهان الرازى : سمعت الربيع يقول سمعت الشافعى يقول: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم عند أهل النقل، بخلاف ماقلت فإنى راجع عنها فى حياتى وبعد موتى . وقال الحاكم سمعت الأصم يقول سمعت الربيع يقول سمعت الشافعى يقول وروى حديثا فقال له رجل هل تأخذ بهذا يا أبا عبد الله فقال متى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا صحيحاً فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلى قد ذهب وأشار بيده على رءوسهم ، وقال الحميدى سأل رجل الشافعى عن مسألة فأفتاه وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ،

وقال الرجل تقول بهذا ، قال رأيت فى وسطى زنارا ، أترانى خرجت من كنيسة أقول قال النبى صلى الله عليه وسلم وتقول لى أتقول بهذا أروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا أقول به ، وقال الحاكم أنبأنى أبو عمرو بن السماك مشافهة أن أبا سعيد الجصاص حدثهم قال سمعت الربيع بن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول وسأله رجل عن مسألة فقال روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا فقال له السائل يا أباعبدالله أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعى واصفر وحال لونه وقال ويحك وأى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فلم أقل به نعم على الرأس والعينين نعم على الرأس وقال سمعت الشافعى يقول: ما من أحد إلا وقد يذهب عنه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ماقلت فالقول ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولى يردد هذا الكلام ، وقال الربيع قال الشافعى لم أسمع أحدا نسبته عامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف فى أن اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسليم لحكمه فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لايلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله وأن ما سواهما تبع لهما وإن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا فى قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد لايختلف فيه الفرق وواجب قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلافرقة سأصف قولها إن شاء الله قال الشافعى ثم تفرق أهل الكلام فى تثبيت الخبر الواحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقا متبايناً وتفرق عنهم ممن نسبته العامة فى الفقه تفرقا أتى بعضهم فيه أكثر من التقليد والتحقيق من النظر والغفلة والاستعجال بالرياسة وتواتر عنه أنه قال : إذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط

[تتمة] قد بين الشيخ رحمه الله تعالى فى بعض رسائله التقليد الممنوع والمأذون فيه والمباح

فقال : وأما القول فى التقليد واتباع الدليل الثانى أن الله سبحانه فرض علينا فرضين : الأول اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك ما خالفه فى كل شىء وأن الإنسان لايؤمن حتى يحكمه فيما شجر بينه وبين غيره ، والفرض الثانى أن الله فرض علينا فى كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها إلى الله والرسول كما قال تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) وخاطب بها جميع المؤمنين المجتهد وغيره ، ولكن نقول الواجب

عليك تقوى الله ماستطعت وذلك أن تطلب علم ماأنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة على قدر فهمك فما عرفت من ذلك فاعمل به ومالم تعرفه واحتجت فيه إلى تقليد أهل العلم قلدتهم وما أجمعوا عليه فهو الحق وما تنازعوا فيه ﷺ إلى الله والرسول ؛ وأما أخذ الإنسان ماشتهت نفسه ووجد عليه آباءه وترك ماخالفه من كلام أهل العلم وغفلته عن كلام الله ورسوله واستهزاؤه بمن طلب ذلك فهذا هو الضلال الذى أنكرنا والأدلة على هذا من كلام أهل العلم أكثر من أن تحصر: منها ماذكره ابن رجب فى الطبقات فى ترجمة ابن هبيرة قال مما أنكره على بعض من يفتى فى عصره قال وتارة إذا ذكرت لأحدهم الدليل قال ليس هذا مذهبنا فيقيم أوثانا تعبد مع الله قال وقال فى حاشية المنتقى فى كتاب القضا: من قلد إماما ثم خالفه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم أو أتقى أو أورع فقد أحسن فقد صرح أن المقلد إذا خالف إمامه لقوة الدليل أو يكون أحدهما أعلم فقد أحسن . وقال الشيخ تقى الدين لما سئل عن المقلد لبعض الأئمة إذا رأى حديثاً يخالف إمامه : قد ثبت أن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه فى كل مايأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إن صدّيق هذه الأمة وأفضلها بعد نبيها يقول : أطيعونى ماأطعت الله فيكم فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم . واتفقوا كلهم على أن ليس أحد معصوما فى كل مايأمر به وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا قال غير واحد من الأئمة : كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم فى كل مايقولونه وذلك هو الواجب عليهم . وقال أبو حنيفة هذا رأيى فمن جاء برأى خير منه قبلناه ، ولهذا لما حج أفضل الصحابة أتى مالكا فسأله عن مسألة الصاع وصدقة الخضروات ومسألة الأجناس فأخبره مالك بما تدل عليه السنة فى ذلك وقال قد رجعت إلى قولك ياأباعبدالله ولو رأى صاحبي مثل مارأيت لرجع كما رجعت، ومالك كان يقول : إنما أنا بشر أصيب وأخطىء فأعرضوا قولى على الكتاب والسنة أو كلاما هذا معناه ، والشافعي كان يقول إذا صح الحديث فاضربوا بقولى الحائط، وإذا رأيت الحجة موضوعة على الطريق فهو قولى، والإمام أحمد كان يقول لاتقلدونى ولاتقلدوا مالكا ولا الشافعى ولا الثورى وتعلم كما تعلمنا ، وقد ثبت فى الصحيح عن النبى

صلى الله عليه وسلم أنه قال « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين » ولازم ذلك أن من لم يرد به خيراً لم يفقهه فى الدين فيكون التفقه فى الدين فرضا والتفقه فى الدين معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية فمن لم يعرف ذلك لم يكن متفقها فى الدين لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية فى جميع أموره فيسقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه . وأما القادر على الاستدلال فقيل يحرم عليه التقليد مطلقا وقيل يجوز مطلقاً وقيل يجوز عند الحاجة كما إذا ضاق الوقت عند الاستدلال وهذا القول أعدل الأقوال والاجتهاد ليس هو أمراً واحداً فيقبل التجزى والانقسام بل قد يكون الرجل مجتهدا فى فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة وكل أحد فاجتهاده بحيث وسعه ، فمن نظر فى مسألة تنازع العلماء فيها ورأى مع أحد القولين نصوصا لا يعلم لها معارضا بعد نظر مثله فهو بين أمرين إما أن يتبع قول القائل الآخر بمجرد كونه الإمام الذى اشتغل على مذهبه ومثل هذا ليس بحجة شرعية بل مجرد عادة يعارضها عادة غيره لاشتغاله على مذهب إمام آخر وإما أن يتبع القول الذى ترجح فى نظره بالنصوص الدالة عليه فحينئذ تكون موافقته لإمام تقاوم ذلك الإمام ، وتبقى النصوص سالمة فى حقه عن المعارض فهذا هو الذى يصلح . وإنما تنزلنا هذا التنزل لأنه قد يقال إن نظر هذا قاصر وليس اجتهاده تاما فى هذه المسألة لضعف آلة الاجتهاد فى حقه. وأما إذا قدر على الاجتهاد التام الذى يعتقد معه أن القول الآخر ليس معه ما يدفع به النص فهذا يجب عليه اتباع النصوص ، وإن لم يفعل كان متبعاً للظن وما تهوى الأنفس ، وكان من أكبر العصاة لله ولرسوله؛ بخلاف من قد يقول قد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص وأنا لا أعلمها فهذا يقال له قد قال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقال النبى صلى الله عليه وسلم «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» والذى تستطيعه من العلم والفقه فى هذه المسألة قد دلك على أن هذا القول هو الراجح فعليك أن تتبعه ؛ ثم إن تبين لك فيما بعد أن للنص معارضا راجحا كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الإنسان من قول إلى قول لأجل ما تبين له من الحق هو محمود فيه بخلاف إصراره على قول لا حجة معه عليه ، أما ترك القول الذى توضحت حجته أو الانتقال من قول إلى قول لمجرد عادة أو اتباع هوى فهذا مذموم ، وإذا كان الإمام المقلد قد سمع الحديث وتركه لا سيما إذا كان قد رواه أيضاً فمثل هذا وحده لا يكون عذراً فى ترك

النص وقد بينا فيما كتبناه فى [رفع الملام عن الأئمة الأعلام] نحو عشرين عذراً للأئمة فى ترك العمل ببعض الحديث وبينا أنهم يعذرون فى الترك لتلك الأعذار . وأما نحن فلسنا معذورين فى تركنا لهذا القول ، فمن ترك الحديث لاعتقاده أن ظاهر القرآن يخالفه أو القياس أو عمل بعض الأمصار وقد تبين لآخر أن ظاهر القرآن لايخالفه وأن نص الحديث الصحيح مقدم على الظواهر ومقدم على القياس والعمل لم يكن عذر ذلك الرجل عذراً فى حقه فإن ظهور المدارك الشرعية للأذهان وخفاءها عنها أمر لاينضبط طرفا لاسيما إذا كان التارك للحديث معتقدا أنه قد ترك العمل به المهاجرون والأنصار من أهل المدينة النبوية وغيرها الذين يقال إنهم لايتركون الحديث إلا لاعتقادهم أنه منسوخ أوله معارض راجح ؛ وقد بلغ من بعده أن المهاجرين والأنصار لم يتركوه بل عمل به طائفة منهم أو من سمعه منهم ونحو ذلك مما يقدح فى هذا المعارض للنص ، وإذا قيل لهذا المستهدى المسترشد أنت أعلم أم الإمام الفلانى كانت هذه معارضة فاسدة لأن الإمام الفلانى قد خالفه فى هذه المسألة من هو نظيره من الأئمة إلى نسبته أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وابن مسعود وأبى ومعاذ ونحوهم من الأئمة وغيرهم فكان هؤلاء الصحابة بعضهم لبعض أكفاء فى موارد النزاع وإذا تنازعوا فى شىء ردوا ماتنازعوا فيه إلى الله والرسول ، وإن كان بعضهم قد يكون أعلم فى مواضع أخر ، وكذلك موارد النزاع بين الأئمة ، وقد ترك الناس قول عمر وابن مسعود فى مسأله تيمم الجنب وأخذوا بقول من هو دونهما كأبى موسى الأشعرى وغيره لما احتج بالكتاب والسنة وتركوا قول عمر فى دية الأصابع وأخذوا بقول معاوية لما كان معه السنة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال «هذه وهذه سواء» وقد كان بعض الناس يناظر ابن عباس فى المتعة فقال له قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون قال أبو بكر وعمر وكذلك ابن عمر لما سألوه عنها فأمر بها فعارضوه بقول عمر فبين لهم أن عمر لم يرد مايقولونه فألحوا عليه فقال لهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا أم أمر عمر مع علم الناس أن أبا بكر وعمر أعلم ممن فوق ابن عمر وابن عباس ، ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن قول الله ورسوله ويبقى كل إمام فى اتباعه بمنزلة النبى صلى الله عليه وسلم وهو تبديل للدين يشبه ما عاب الله به

النصارى فى قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وماأمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لاإله إلاهو سبحانه عمايشركون) ولو أطلقت لجواد الفهم العنان وأجريته فى فسيح الميدان واستوعبت ماثبت فيه من قول العلماء الأعيان وأتيت بما صح عن ذوى الشأن لكان عبابا متلاطم الأمواج وضبابا هامل الودق ثجاج ومهامه لايستطاع السلوك فى فجاجها ولا يتسنم شامخ منهاجها ولكاد صافن الفكر أن يحجم فى هذا المضمار ، ويسرع إلى سابق المراع الكبوة والعثار فى استيفاء تلك الآثار والاستقصاء على ورد من الأخبار ، ولاقتضى فى الكتابة أسفار والمراد تأدية مايسلّ به للقلوب أسفار فتستضئ ألباب ذوى الاستبصار فتشرق منه أنوار الاعتبار .

ولمحمد بن إسماعيل الصنعانى قصيدة بديعة فى هذا المعنى فائقة أترابها رونقاً وحسنا ، وقد جرّت ذيول الفخر لاسيما بمدح هذا الحبر ، وهاهى عليك بادية ، وبلسان الفضيحة على المعاند منادية :

سلامى على نجد ومن حلّ فى نجد ... وإن كان تسليمى على البعد لايجدى
لقد صدرت من سفح صنعا سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد
يذكرنى مسراك نجدا وأهله ... لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
قفى واسألى عن عالم حل سوحها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادى لسنة أحمد ... فياحبذا الهادى وياحبذا المهدى
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر فى الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قول واجب الطرد والرد
سوى ماأتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل ياذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة فى النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
وينشر جهرا ماطوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ماعندى
ويعمر أركان الشريعة هادما ... مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد
أعادوا بها معنى سواع ومثله ... يغوث ودّ بئس ذلك من ودى
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها ... كما يهتف المضطر بالواحد الفرد

وكم عقروا فى سوحها من عقيرة … أهلت لغير الله جهراً على عمد
وكم طائف حول القبور مقبل … ومستلم الأركان منهن باليد
وحرق عمداً للدلائل دفتراً … أساب ففيها مايجل عن العد
علوم نهى عنها الرسول وفرية … بلا مرية فاتركه إن كنت تستهد
أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا … تساوى فلسا إن رجعت إلى النقد
وصيرها الجهال للذكر ضرة … ترى درسها أذكى لديهم من الحمد
لقد سرنى ماجاءنى من طريقه … وكنت أرى هذه الطريقة لى وحدى
وأقبح من كل ابتداع سمعته … وأنكاه للقلب الموفق للرشد
مذاهب من رام الخلاف لبعضها … يعض بأنياب الأساود والأسد
يصب عليه سوط ذم وغيبة … ويجفوه من قد كان يهواه عن عمد
ويعزى إليه كل ما لايقوله … لتنقيصه عند التهامى والنجدى
فيرميه أهل النصب بالرفض فرية … ويرميه أهل الرفض بالنصب والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا … يتابع قول الله فى الحل والعقد
ويتبع أقوال الرسول محمد … وهل غيره بالله فى الناس من يهد
وإن عده الجهال ذنباً فحبذا … به حبذا يوم انفرادى فى لحدى
علام جعلتم أيها الناس ديننا … لأربعة لاشك فى فضلهم عندى
هم علماء الدين شرقا ومغربا … ونور عيون الفضل والحق والزهد
ولكنهم كان الناس ليس كلامهم … دليلا ولا تقليدهم فى غد يجدى
ولا زعموا حاشاهم أن قولهم … دليل فيستهدى به كل مستهد
بلى صرحوا أنا نقابل قولهم … إذا خالف المنصوص بالقدح والرد
سلامى على أهل الحديث فإننى … نشأت على حب الأحاديث من مهد
هم بذلوا فى حفظ سنة أحمد … وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعنى بهم أسلاف أمة أحمد … أولئك فى بيت القصيدة هم قصدى
أولئك أمثال البخارى ومسلم … وأحمد أهل الجهد فى العلم والجد
بحور وحاشاهم عن الجزر إنما … لهم مدد يأتى من الله بالمد
رووا وارتووا من علم سنة أحمد … وليست لهم تلك المذاهب من ورد

كفاهم كتاب الله والسنة التى ... كفت قبلهم صحب الرسول ذوى الرشد
أأنتم أهدى أم صحابة أحمد ... وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى فى الطريقة منكم ... فهم قدوتى حتى أوسد فى لحدى
وشتان ما بين المقلد فى الهدى ... ومن يقتدى والضد يعرف بالضد
فمن قلد النعمان أصبح شاربا ... نبيذاً وفيه القول للبعض بالحد
ومن يقتدى أضحى إمام معارف ... وكان إماما فى العبادة والزهد
فمقتديا فى الحق كن لا مقلداً ... وخل أخا التقليد فى الأسر بالقد
وأكفر أهل الأرض من قال إنه ... إله فإن الله جل عن الندّ
مسماه كل الكائنات جميعها ... من الكلب والخنزير والقرد والفهد
وإن عذاب النار عذب لأهلها ... سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل السامرى على هدى ... ولائمهم فى اللوم ليس على رشد
وينشدنا عنه نصوص نصوصه ... ينادى خذوا فى النظم مكنون ما عندى
وكنت امرأ من جند إبليس فارتمى ... بى الدهر حتى صار إبليس من جندى
فلو مات قبلى كنت أدركت بعده ... دقائق كفر ليس يدركها بعدى
وكم من ضلال فى الفتوحات صدقت ... به فرقة أضحوا ألدّ من اللد
يلوذون عند العجز بالذوق ليتهم ... يذوقون طعم الحق والحق كالشهد
فنسألهم ما الذوق قالوا مناله ... عزيز فلا بالرسم يدرك والحد
تسترهم بالكشف أو الذوق أشعرا ... بأنهم عن مطلب الحق فى بعد
ومن يطلب الإنصاف يدلى بحجة ... ويرجع أحيانا ويهدى ويستهدى
وهيهات كل فى الديانة تابع ... آباءه كأنّ الحق فى الآباء والجد
وقد قال هذا قبلهم كل مشرك ... فهل قدحوا هذى العقيدة من زند
كذا أصحاب الكتاب تتابعوا ... على ملة الآباء فرداً على فرد
وهذا اغتراب الدين فاصبر فإننى ... غريب وأصحابى كثير بلا عد
إذا ما رأونى عظمونى وإن أغب ... فكم أكلوا لحمى وكم مزقوا جلدى
هنيئاً مريئا فى اغتيابى فوائد ... فكل فتى يغتابنى فهو لى يهدى
يصلى ولى أجر الصلاة وصومه ... ولى كل شىء من محاسنه يبدى

وكم حاسد قد أنضج الغيظ قلبه ولكنه غيظ الأسير على القدّ
فدونكها تحوى علوما جليلة منزهة عن وصف خدّ وعن قد
فلا مدحت وصلا لليلى وزينب ولا هى ذمت هجر سعدى ولا هند
إليك طوت عرض الفيافى وطولها فكم قطعت غورا ونجدا إلى نجد
أناخت بنجد فاستراحت ركابها وراح خليا من رحيل ومن شد
فأحسن قراها بالقراءة ناظماً عليها جواباً فهى من جملة الوفد
وقد طوت جبرا لضعف نظامها كما ستر الوجه المشوه بالبرد
وصل على المختار والآل إنها لحسن ختام النظم واسطة العقد

قد تبين لكل متأمل منصف فساد ما نحاه كل مجادل ومعاند مسرف ووضح له بجلب هذه الآثار والأنقال وسرد هذه العبارات البريئة من وصمة المقال الصحيح الذى يجب اتباعه والعمل به من الأقوال والفاسد الذى لم ينسج من الشريعة الغراء على منوال ، وزال ما فى قلبه من الرين والإشكال وعرف يقيناً أن ما اقتفاه من الهدى الصحب والآل هو النجاة يوم القيامة من شدائد تلك الأهوال فيدع ما انتحله من المناهج المتأخرة الرجال ويعرف فضل ذوى العلم والأعمال الذين اتخذوا كتاب الله تعالى لهم سميرا وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم لهم ظهيرا فكان لهم تبارك وتعالى معينا ونصيرا حتى عرجوا فى معارج الكمال وتبوءوا مراتب من الشرف لا تدرك ولا تنال، بل لا يواطأ بغير التوحيد لها جال وصب عليهم من صيب الرحمة سجال وتلقاهم بالقبول والإقبال وأسكنهم من الخلد أرفع ظلال ينالون ما يشتهون فيه بالغدوّ والآصال فمن عزت عليه نفسه سعى من الأسباب لها فى الخلاص وراقب يوم الأخذ بالنواص حين يعض الظالم على يديه ندامة وتسوبلا وينادى على رؤوس الأشهاد يوم الوقوف والتناد ولكن لا يعرّج على قوله تعويلا ولا يجد إلى منهج الفكاك دليلا فيقول مما يكابد من العذاب جزاء له وتنكيلا (ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا) ويتحقق بعد ذلك المشاهدة والمعاينة على ما كان سالكا فى الدنيا من المباينة لما كان عليه صالح السلف والأتباع الذين هم أهدى خلف وتستبين لهم سبيل الراسخين الأتباع فيجاهد نفسه الراكنة إلى الهوى على الاهتداء بهم والاتباع ويجزم بأن أكثر ما قرره غلاة الأحبار وأجالوا فيه دقائق الأفكار من إيجاب التقليد وإنكار الاجتهاد وأنه لا يسوغ لأحد من العباد

تعصب منهم على الوظائف والمناصب ومصادمة للحق ، حملهم عليها الاستعلاء للمراتب واستيفاء المقرر لأهل تلك المذاهب .

خاتمة

توفى الشيخ رحمه الله تعالى وله من العمر قريباً من ثنتين وتسعين سنة ، وكان فى خلال هذه المدة يبذل فى طاعة مولاه جهده محافظا على ماله من الأحزاب والأوراد مشمراً فى تحصيل نافع الزاد متجردا للاستعداد ليوم المعاد حتى لقى الله تعالى فأفاض عليه من صيب الرحمة سجالا ، وسيأتى الكلام على وفاته فى سنتها المعلومة مع مرثية هنا مثبتة مرقومة ؛ وقد صنف رحمه الله تعالى مصنفات كثيرة وألف مؤلفات نافعة شهيرة منها : كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد وكتاب الكبائر وكتاب كشف الشبهات وكتاب السيرة المختصرة وكتاب السيرة المطولة نحو مجلد وكتاب مختصر الهدى النبوى فى مجلد لطيف وكتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه وكتاب مختصر الشرح الكبير والانصاف مجلد كبير ؛ وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلا واستوعبنا ما وقفنا عليه منها . وأما الرسائل المطولة فمنها : كشف الشبهات وسيأتى ومنها رسالة كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائى وهى هذه ، وأنا أذكرها بكمالها لما فيها من الفوائد الجليلة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف حفظه الله تعالى : سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد وصل إلينا من ناحيتكم مكاتيب فيها إنكار وتغليظ على ولما قيل إنك كتبت معهم وقع فى الخاطر بعض الشىء لأن الله سبحانه نشر لك من الذكر الجميل وأنزل فى قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس لما يذكر عنك من مخالفة من قبلك من حكام السوء وأيضا لما أعلم منك من محبة الله ورسوله وحسن الفهم واتباع الحق ولو خالفك فيه كبار أئمتكم لأنى اجتمعت بك من نحو عشرين وتذاكرت أنا وإياك فى شىء من التفسير والحديث وأخرجت لى كراريس من البخارى كتبتها ونقلت على هوامشها من الشروح وقلت فى مسألة الإيمان التى ذكر البخارى فى أول الصحيح ، هذا هو الحق الذى أدين الله به فأعجبنى هذا الكلام لأنه خلاف مذهب أئمتكم المتكلمين وذاكرتنى أيضا فى بعض المسائل فكنت أحكى لمن يتعلم منى ما منّ الله به عليك من حسن الفهم ومحبة الله والدار

الآخرة فلأجل هذا لم أظن فيك المسارعة فى هذا الأمر لأن الذين قاموا فيه مخطئون على كل تقدير ، لأن الحق إن كان مع خصمهم فواضح وإن كان معهم ، فينبغى للداعى إلى الله أن يدعو بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم، وقد أمر الله رسوليه موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . وينبغى للقاضى أعزه الله بطاعته لما ابتلاه الله بهذا المنصب أن يتأدب بالآداب التى ذكرها الله فى كتابه الذى أنزل ليبين للناس مااختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يوقنون فمن ذلك لا يستخفنه الذين لايوقنون ويتثبت عند سعايات الفساق والمنافقين ولا يعجل ، وقد وصف الله المنافقين فى كتابه بأوصافهم وذكرشعب النفاق لتجتنب ويجتنب أهلها أيضاً . فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان بل وحسن الصورة فىقوله (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) الآية ، ووصفهم بالمكر والكذب والاستهزاء بالمؤمنين فى أول البقرة ووصفهم بكلام ذى الوجهين ووصفهم بالدخول فى المخاصمات بين الناس بما لايحب الله ورسوله فى قوله (ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر) الآية ، ووصفهم باستحقار المؤمنين والرضا بأفعالهم ، ووصفهم بغير هذا فى البقرة وبراءة وسورة القتال وغير ذلك . كل ذلك نصيحة لعباده ليجتنبوا الأوصاف ومن تلبس بها ، ونهى الله نبيه عن طاعتهم فى غير موضع فكيف يجوز من مثلك أن يقبل مثل هؤلاء ؟ وأعظم من ذلك أن تعتقد أنهم من أهل العلم وتزورهم فى بيوتهم وتعظمهم وأنا لاأقول هذا فى واحد بعينه ، ولكن نصيحة وتعريف بما فى كتاب الله من سياسة الدين والدنيا لأن أكثر الناس قد نبذه وراء ظهره . وأما ماذكر لكم عنى فإنى لم آته بجهالة بل أقول ولله الحمد والمنة وبه القوة إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبى وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لاشريك له وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم وأرجو أنى لاأرد الحق إذا أتانى ، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين ، ولأضربن الجدار بكل ماخالفها من أقوال أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لايقول إلا الحق وصفة الأمر غير خاف عليكم ما درج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

والتابعون وأتباعهم والأئمة كالشافعي وأحمد وأمثالهما ممن أجمع أهل الحق على هدايتهم وكذلك مادرج عليه من سبقت له من الله الحسنى من أتباعهم ، وغير خاف عليكم ماأحدث الناس فى دينهم من الحوادث ، وما خالفوا فيه طريق سلفهم ، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل وسادتهم وأئمتهم وأعلمهم وأعبدهم وأزهدهم مثل ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ العماد ابن كثير والحافظ ابن رجب قد اشتد نكيرهم على أهل عصرهم الذين هم خير من ابن حجر ، وصاحب الإقناع بالاجماع ، فإذا استدل عليهم أهل زمانهم بكثرتهم وإطباق على طريقتهم قالوا هـذا من أكبر الأدلة على أنه باطل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته تسلك مسالك اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . وقد ذكر الله فى كتابه أنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأنهم كتبوا الـكتاب بأيديهم وقالوا هـذا من عند الله وأنهم تركوا كتاب الله والعمل به ، وأقبلوا على ماأحدثه أسلافهم من الـكتب وأخبر أنه وصاهم بالاجتماع ، وأنهم لم يختلفوا لخفاء الدين بل اختلفوا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم (وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) والزبر الـكتب ، فإذا فهم المؤمن قول الصادق المصدوق «لتتبعن سنن من كان قبلكم» وجعله قبلة قلبه تبين له أن هذه الآيات وأشباهها ليست على ماظن الجاهلون أنها كانت فى قوم كانوا فبانوا بل يفهم ماورد عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى هذه الآيات مضى القوم وما يعنى به غيركم ، وقد فرض الله على عباده فى كل صلاة أن يسألوه الهداية إلى صراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم الذين هم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . فمن عرف دين الإسلام وما وقع الناس فيه من التغيير له عرف مقدار هذا الدعاء وحكمة الله فيه .

والحاصل أن صورة المسألة هل الواجب على كل مسلم أن يطلب علم ماأنزل الله على رسوله ولا يعذر أحد فى تركه البتة أم يجب عليه أن يتبع التحفة مثلا . فأعلم المتأخرين وسادتهم منهم ابن القيم قد أنـكروا هذا غاية الإنـكار ، وأنه تغيير لدين الله واستدلوا على ذلك بما يطول وصفه من كتاب الله الواضح ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم البين لمن نور الله قلبه ، والذين يجيزون ذلك أو يوجبونه يدلون بشبه واهية لـكن أكبر شبههم على الإطلاق أنا لسنا من أهل ذلك ، ولا نقدر عليه ولا يقدر عليه إلا المجتهد ، وإنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، ولأهل العلم فى إبطال

هذه الشبهة ما يحتمل مجلدا ومن أوضحه قول الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث عدىّ بهذا الذى أنتم عليه اليوم فى الأصول والفروع لاأعلمهم يزيدون عليكم مثقال حبة خردل بل يبين مصداق قوله «حذو القذة بالقذة» إلى آخره ، وكذلك فسرها المفسرون لاأعلم بينهم اختلافا ومن أحسنه ماقاله أبو العالية : أما إنهم لم يعبدوهم ولو أمروهم بذلك ما أطاعوهم ؛ ولكنهم وجدوا كتاب الله فقالوا لانسبق علماءنا بشىء ماأمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا ، وهذه رسالة لاتحتمل إقامة الدليل ولا جوابا عما يدلى به المخالف لكن أعرض عليه من نفسى الإنصاف والانقياد للحق فإن أردتم على الرد بعلم وعدل فعندكم كتاب [أعلام الموقعين لابن القيم] عند ابن فيروز فى مشرفه فقد بسط الكلام فيه على هذا الأصل بسطا كثيرا وسرد من شبه أئمتكم مالاتعرفون أنتم ولا آباؤكم وأجاب عنها واستدل لها بالدلائل الواضحة القاطعة ، منها أمر الله ورسوله عن أمركم هذا بعينه وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصفوه من قبل أن يقع وحذروا الناس منه وأخبروا أنه لايصير على الدين إلا الواحد بعد الواحد ، وأن الإسلام يصير غريباً كما بدا ، وقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله عمرو بن عبسة فى أول الإسلام : من معك على هذا؟ قال حر وعبد يعنى أبا بكر وبلالا فإذا كان الإسلام يعود كما بدا فما أجهل من استدل بكثرة الناس وأطباقهم وأشباه هذه الشبهة التى هى عظيمة عند أهلها حقيرة عند الله وعند أولى العلم من خلقه كما قال تعالى بل قالوا مثل ماقال الأولون فلا أعلم لكم حجة تحتجون بها إلا وقد ذكر الله فى كتابه أن الكفار استدلوا بها على تكذيب الرسل مثل أطباق الناس ، وطاعة الكبراء وغير ذلك . فمن من الله عليه بمعرفة دين الإسلام الذى دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف قدر هذه الآيات والحجج وحاجة الناس إليها ، فإن زعمتم أن ذكر هؤلاء الأئمة لمن كان من أهله ، فقد صرحوا بوجوبه على الأسود والأحمر والذكر والأنثى ، وأن مابعد الحق إلا الضلال، وأن قول من قال ذلك صعب مكيدة من الشيطان كادبها الناس عن سلوك الصراط المستقيم الحنيفية ملة إبراهيم ، وإن بان لكم أنهم مخطئون فبينوا لى الحق حتى أرجع إليه ، وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة إلى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله وإلا أنا أظن أنكم لاتقبلونه وأنه عندكم

من أنكر المنكرات من أن الذى يعيب هذا عندكم مثل من يعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لكن أنت من مسبب ما أظن فيك من طاعة الله لا أبعد أن يهديك الله إلى الصراط المستقيم ويشرح قلبك للإسلام فإذا قرأته فإن أنكره قلبك فلا عجب فإن العجب ممن نجا كيف نجا فإن أصغى إليه قلبك بعض الشىء فعليك بكثرة التضرع إلى الله والانطراح بين يديه خصوصا أوقات الإجابة كآخر الليل وأدبار الصلوات ، وبعد الأذان وكذلك بالأدعية المأثورة خصوصاً الذى ورد فى الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » فعليك بالإلحاح بهذا الدعاء بين يدى من يجيب المضطر إذا دعاه ، وبالذى هدى إبراهيم لمخالفة الناس كلهم وقل يا معلم إبراهيم علمنى ، وإن صعب عليك مخالفة الناس ففكر فى قول الله تعالى (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ـ وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) وتأمل قوله فى الصحيح « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لايقبض العلم » إلى آخره ، وقوله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى » وقوله « وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » والآيات والأحاديث فى ذلك كثيرة أفردت بالتصنيف فإنى أحبك ، وقد دعوت لك فى صلاتى وأتمنى من قبل هذه المكاتيب أن يهديك الله لدينه القيم ولايمنعنى من مكاتبتك إلا ظنى أنك لاتقبل وتسلك مسلك الأكثر ، ولكن لامانع لما أعطى الله والله لايتعاظم شيئاً أعطاه وما أحسنك لو تكون فى آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضى الله عنه فى أوله فإنك لو تكون معنا لانتصفنا ممن أغلظ علينا . وأما هذا الخيال الشيطانى الذى اصطاد به الناس أن من سلك هذا المسلك فقد نسب نفسه للاجتهاد وترك الاقتداء بأهل العلم وزخرفه بأنواع الزخارف فليس هذا بكثير من الشيطان وزخارفه كما قال تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) فان الذى أنا عليه وأدعوكم إليه هو فى الحقيقة الاقتداء بأهل العلم فإنهم قد وصوا الناس بذلك ، ومن أشهرهم كلاما فى ذلك إمامكم الشافعى قال : لابد أن تجدوا عنى مايخالف الحديث فكل ماخالفه فأشهدكم أنى قد رجعت عنه ، وأيضا أنا فى مخالفتى هذا العالم لم أخالفه وحدى فإذا اختلفت أنا وشافعى

مثلا فى أبوال مأكول اللحم وقلت القول بنجاسته يخالف حديث العرنيين ويخالف حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى مرابض الغنم فقال هذا الجاهل الظالم أنت أعلم بالحديث من الشافعى؟ . قلت أنا لم أخالف الشافعى من غير إمام اتبعته بل اتبعت من هو مثل الشافعى أو أعلم منه قد خالفه واستدل بالأحاديث فإذا قال أنت أعلم من الشافعى قل أنت أعلم من مالك وأحمد فقد عارضته بمثل ماعارضنى به وسلم الدليل من المعارض واتبعت قول الله تعالى (فإن تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول) الآية واتبعت من اتبع الدليل فى هـذه المسألة من أهل العلم لم أستدل بالقرآن أو الحديث وحدى حتى يتوجه علىّ ماقيل وهذا على التنزل وإلا فمعلوم أن اتباعكم لابن حجر فى الحقيقة ولا تعبئون بمن خالفه من رسول أو صاحب أو تابع حتى الشافعى نفسه ولا تعبئون بكلامه إذا خالف نص ابن حجر وكذلك غيركم إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعـة ، وأكثر الإقناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه يعرف ذلك من عرفه ، ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتباعهم ، وإنما الشأن إذا اختلفوا هل يجب علىّ أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة إلى الله والرسول مقتديا بأهل العلم أو أنتحل بعضهم من غـير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله فأنتم على هـذا الثانى وهو الذى ذمه الله وسماه شركا ، وهو اتخاذ العلماء أربابا وأنا على الأول أدعو إليـه وأناظر عليه ، فإن كان عندكم حق رجعنا إليه وقبلناه منكم وإن أردت النظر فى أعلام الموقعين فعليك بمناظرة فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة ، وإن ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدل بها ليس هذا معناها فاضرع إلى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق وتجرد إلى ناظر أومناظر أو اطلب كلام أهل العلم فى زمانه مثل الحافظ الذهبى وابن كثير وابن رجب وغيرهم ومما ينسب للذهبى رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة ليس خلف فيه
ماالعلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأى فقيه

فإن لم تتبع هؤلاء فانظر كلام الأئمة قبلهم كالحافظ البيهقى فى كتاب المدخل والحافظ ابن عبدالبر والخطابى وأمثالهم ومن قبلهم كالشافعى وابن جرير وابن قتيبة وأبى عبيد فهؤلاء إليهم المرجع فى كلام الله وكلام رسوله وكلام السلف ، وإياك وتفاسير

المحرفين للكلم عن مواضعه وشروحهم فإنها القاطعة عن الله وعن دينه وتأمل مافى كتاب الاعتصام للبخارى وما قال أهل العلم فى شرعه ، وهل يتصور شيء بما صرح مما صح عنه صلى الله عليه وسلم أن أمته ستفترق على أكثر من سبعين فرقة أخبر أنهم كلهم فى النار إلا واحدة ثم وصف تلك الواحدة أنها التى على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأنتم مقرون أنكم على غير طريقتهم وتقولون ماتقدر عليها ولا يقدر عليها إلا المجتهد فجزمتم أنه لاينتفع بكلام الله وكلام رسوله إلا المجتهد وتقولون يحرم على غيره أن يطلب الهدى من كلام الله وكلام رسوله وكلام أصحابه فجزمتم وشهدتم أنكم على غير طريقتهم معترفين بالعجز عن ذلك وإذا كنتم مقرين أن الواجب على الأولين اتباع كتاب الله وسنة رسوله لايجوز العدول عن ذلك وأن هذه الكتب والتى خير منها لو تحدث فى زمن عمر بن الخطاب لفعل بها وبأهلها أشد الفعل ولو تحدث فى زمن الشافعى وأحمد لاشتد نكيرهم لذلك ، فليت شعرى متى حرم الله هذا الواجب وأوجب هذا المحرم ، ولما حدث قليل من هذا لايشبه ماأنتم عليه فى زمن الإمام أحمد اشتد إنكاره لذلك ولما بلغه عن بعض أصحابه أنه يروى عنه مسائل بخراسان قال أشهدكم أنى قد رجعت عن ذلك ولما رأى بعضهم يكتب كلامه أنكر عليه وقال تكتب رأيا لعلى أرجع عنه غدا اطلب العلم مثلما طلبنا ، ولما سئل عن كتاب أبى ثور قال كل كتاب ابتدع فهو بدعة ومعلوم أن أبا ثور من كبار أهل العلم وكان أحمد يثنى عليه وكان ينهى الناس عن النظر فى كتب أهل العلم الذين يثنى عليهم ويعظمهم ، ولما أخذ بعض أئمة الحديث كتب أبى حنيفة هجره أحمد وكتب إليه أن تركت كتب أبى حنيفة أتيناك تسمعنا كتب ابن المبارك ، ولما ذكر له بعض أصحابه أن هذه الكتب فيها فائدة لمن لايعرف الكتاب والسنة قال إن عرفت الحديث لم تحتج إليها وإن لم تعرفه لم يحل لك النظر فيها وقال عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان والله يقول : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) قال أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، ومعلوم أن الثورى عنده غاية وكان يسميه أمير المؤمنين . فإذا كان هذا كلام أحمد فى كتب تمنى الآن أن نراها فكيف بكتب قد أقر أهلها على أنفسهم أنهم ليسوا من أهل العلم وشهد عليهم بذلك ولعل بعضهم مات وهو لايعرف مادين الاسلام الذى بعث الله به رسوله

صلى الله عليه وسلم وشبهتكم التى ألقيت فى قلوبكم أنكم لاتقدرون على فهم كلام الله ورسوله والسلف الصالح . وقد قدمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » إلى آخره ، فتأمل هذه الشبهة أعنى قولكم لا نقدر على ذلك وتأمل ماحكى الله عن اليهود فى قوله : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) وقوله (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون) وقوله (إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون) وقوله (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) واطلب تفاسير هذه الآيات من كتب أهل العلم واعرف من نزلت فيه واعرف الأقوال والأفعال التى كانت سبباً لنزول هذه الآيات ثم اعرضها على قولهم لانقدر على فهم القرآن والسنة تجد مصداق قوله لتتبعن سنن من كان قبلكم ومافى معناه من الأحاديث الكثيرة فلتكن قصة إسلام سلمان الفارسى منكم على بال ففيها أنه لم يكن على دين الرسل إلا الواحد بعد الواحد حتى إن آخرهم قال عند موته : لا أعلم على وجه الأرض أحدا على مانحن عليه ولكن قد أظل زمان نبى واذكر مع هذا قول الله تعالى (فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم) فحقيق لمن نصح نفسه وخاف عذاب الآخرة أن يتأمل ماوصف الله به اليهود فى كتابه خصوصا ماوصف به علماءهم ورهبانهم من كتمان الحق ولبس الحق بالباطل والصد عن سبيل الله ، وما وصفهم الله أى علماءهم من الشرك والإيمان بالجبت والطاغوت وقولهم للذين كفروا (هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) لأنه عرف أن كل مافعلوا لابد أن تفعله هذه الأمة وقد فعلت ، وإن صعب عليك مخالفة الكبرا ولم يقبل ذهنك هذا الكلام فأحضر بقلبك أن كتاب الله أحسن الكتب وأعظمها بياناً وأشفى لدواء الجهل وأعظمها فرقا بين الحق والباطل والله سبحانه قد عرف تفرق عباده واختلافهم قبل أن يخلقهم ، وقد ذكر فى كتابه (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة) وأحضر قلبك هذه الأصول وما يشابهها فى ذهنك واعرضها على قلبك فإنه إن شاء الله يؤمن بها على سبيل الإجمال فتأمل قوله (وإذا قيل لهم اتبعوا ماأنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا) وتكرير هذا الأصل فى مواضع كثيرة وكذلك قوله (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) فكل حجة تحتجون بها تجدها مبسوطة فى القرآن

وبعضها فى مواضع كثيرة فأحضر بقلبك أن الحكيم الذى أنزل كتابه شفاء من الجهل فارقا بين الحق والباطل لايليق منه أن يقرر هذه الحجج ويكررها مع عدم حاجة المسلمين إليها ويترك الحجج الذى يحتاجون إليها ويعلم أن عباده يفترقون حاشا أحكم الحاكمين من ذلك . ومما يهوّن عليك مخالفة من خالف الحق وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جهلا ولو اتبعه أكثر الناس ماوقع فى هذه الأمة من افتراقهم فى أصول الدين وصفات الله تعالى وغالب من يدعى المعرفة وما عليه المتكلمون وتسميتهم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشوا وتشبيها وتجسيما مع أنك إذا طالعت فى كتاب من كتب الكلام مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد وهو أصل الدين تجد الكتاب من أوله إلى آخره لايستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحى بل من عقولهم ومعترفون أنهم مخالفون للسلف فى ذلك مثل ماذكر فى فتح البارى فى مسألة الإيمان على قول البخارى ، وهو قول وعمل ويزيد وينقص فذكر إجماع السلف على ذلك وذكر عن الشافعى أنه نقل الإجماع على ذلك وكذلك ذكر أن البخارى نقله ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يرده فإن نظرت فى كتاب التوحيد فى آخر الصحيح ـ فتأمل تلك التراجم ـ وقرأت فى كتب أهل العلم من السلف ومن أتباعهم من الخلف ونقلهم الإجماع على وجوب الإيمان بصفات الله تعالى وتلقيها بالقبول وأن من جحد شيئا منها أو تأول شيئاً من النصوص فقد افترى على الله وخالف إجماع أهل العلم ونقلهم الإجماع أن علم الكلام بدعة وضلالة حتى قال أبو عمر بن عبد البر أجمع أهل العلم فى جميع الأعصار والأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وضلالات لايعدّون عند الجميع من طبقات العلماء والكلام فى هذا يطول . والحاصل أنهم عمدوا إلى شىء أجمع المسلمون كلهم بل وأجمع عليه أجهل الخلق بالله عبدة الأوثان الذين بعث فيهم النبى صلى الله عليه وسلم فابتدع هؤلاء كلاما من عند أنفسهم كابروا به العقول أيضاً حتى إنكم لاتقدرون أن تغيروا عوامكم عن فطرتهم التى فطرهم الله عليها ثم مع هذا كله تابعهم جمهور من يتكلم فى علم هذا الأمر إلا من سبقت لهم من الله الحسنى وهم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود يبغضونهم الناس ويرمونهم بالتجسيم . هذا ، وأهل الكلام وأتباعهم من أحذق الناس وأفطنهم حتى إن

لهم من الذكاء والحفظ والفهم مايحير اللبيب وهم وأتباعهم مقرون أنهم مخالفون للسلف حتى إن أئمة المتكلمين لما ردوا على الفلاسفة فى تأويلهم فى آيات الأمر والنهى مثل قولهم المراد بالصيام كتمان أسرارنا والمراد بالحج زيارة مشايخنا والمراد بجبريل العقل الفعال وغير ذلك من إفكهم رد عليهم الجواب بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الإسلام فقال لهم الفلاسفة أنتم جحدتم علو الله على خلقه واستواءه على عرشه مع أنه مذكور فى الكتب على ألسنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم وغيرهم من أهل الملل فكيف يكون تأويلنا تحريفا وتأويلكم صحيحاً فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب عن هذا الإيراد والمراد أن مذهبهم مع كونه فاسدا فى نفسه مخالفا للعقول ، وهو أيضا مخالف لدين الإسلام والكتاب والرسول وللسلف كلهم ويذكرون فى كتبهم أنهم مخالفون للسلف ثم مع هذا راجت بدعتهم على العالم والجاهل حتى طبقت مشارق الأرض ومغاربها وأنا أدعوك إلى التفكر فى هذه المسألة وذلك أن السلف قد كثر كلامهم وتصانيفهم فى أصول الدين وإبطال كلام المتكلمين وتفكيرهم وممن ذكر هذا من متأخرى الشافعية البيهقى والبغوى وإسماعيل التيمى ومن بعدهم كالحافظ الذهبي ، وأما متقدموهم كابن سريج والدارقطنى وغيرهما فكلهم على هذا الأمر ففتش فى كتب هؤلاء فإن أتيتنى بكلمة واحدة أن منهم رجلا واحداً لم ينكر على المتكلمين ولم يكفرهم فلا تقبل منى شيئاً أبدا ومع هذا كله وظهوره غاية الظهور راج عليكم حتى ادعيتم أن أهل السنة هم المتكلمون والله المستعان . ومن العجب أنه يوجد فى بلدكم من يفتى الرجل بقول إمام والثانى بقول آخر والثالث بخلاف القولين ويعد فضيلة وعلما وذكاء ويقال هذا يفتى فى مذهبين أو أكثر ، ومعلوم عند الناس أن مراده فى هذا العلوّ والرياء وأكل أموال الناس بالباطل فإذا خالفت قول عالم لمن هو أعلم منه أو مثله إذا كان معه الدليل ولم آت بشىء من عند نفسى تكلمتم بهذا الكلام الشديد فإن سمعتم أنى أفتيت بشىء خرجت فيه من إجماع أهل العلم توجه علىّ القول ، وقد بلغنى أنكم فى هذا الأمر قمتم وقعدتم ، فإن كنتم تزعمون أن هذا إنكار للمنكر فياليت قيامكم كان فى عظائم فى بلدكم تضاد أصلى الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله منها وهو أعظمها عبادة الأصنام عندكم من بشر وحجر هذا يذبح له وهذا ينذر له وهذا يطلب إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وهذا يدعوه المضطر فى البر والبحر

وهـذا يزعمون أن من التجأ إليه ينفعه فى الدنيا والآخرة ولو عصى الله ، فإن كنتم تزعمون أن هـذا ليس هو عبادة الأصنام والأوثان المذكورة فى القرآن فهذا من العجب فإنى لا أعلم أحدا من أهل العلم يختلف فى ذلك اللهم إلا أن يكون أحد وقع فيما وقع فيه اليهود من إيمانهم بالجبت والطاغوت . وإن ادعيتم أنكم لا تقدرون على ذلك فإن لم تقدروا على الكل قدرتم على البعض كيف وبعد الذين أنكروا على هذا الأمر وادعوا أنهم من أهل العلم ملتبسون بالشرك الأكبر ويدعون إليه ولو يسمعون إنسانا يجرد التوحيد ألزموه بالكفر والفسوق ؟ ولكن نعوذ بالله من رضاء الناس بسخط الله ؛ ومنها ما يفعله كثير من أتباع إبليس وأتباع المنجمين والسحرة والكهان ممن ينتسب إلى الفقر وكثير ممن ينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التى يوهمون بها الناس ويشبهونها بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله حتى إن بعض أنواعها يعتقد فيه من يدعى العلم أنه من العلم الموروث عن الأنبياء من علم الأسماء وهو من الجبت والطاغوت ، ولكن هذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم» ومنها هذه الحيلة الربوية التى مثل حيلة أصحاب السبت أو أشد وأنا أدعو من خالفنى إلى أحد أربع : إما إلى كتاب الله ، وإما إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما إلى إجماع أهل العلم . فإن عاند دعوته إلى المباهلة كما دعا إليها ابن عباس فى بعض مسائل الفرائض وكما دعا إليها سفيان والأوزاعى فى مسألة رفع اليدين وغيرهما من أهل العلم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وسلم .

يا من تعز عليهم أرواحهم	ويرون غبنا بيعها بهوان
ويرون أن أمامهم يوم اللقا	لله مسألتان شاملتان
ماذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم	من أتى بالحق والبرهان
هيئوا جوابا للسؤال وهيئوا	أيضا صوابا للجواب بذان
وتيقنوا أن ليس ينجيكم سوى	تجريدكم لحقائق الإيمان
تجريدكم توحيده سبحانه	عن شركة الشيطان والأوثان
وكذاك تجريد اتباع رسوله	عن هذه الآراء والهذيان
فالوحى كاف للذى يعنى به	شاف لداء جهالة الإنسان

وهذا آخر ماذكره الشيخ رحمه الله فى هـذه الرسالة النافعة المتضمنة لبيان حقيقة ماهو عليه وما يدعو الناس إليه من إخلاص العبادة بجميع أنواعها لله والنهى عمايضاد ذلك مما أحدثه أهل البدع والتفرق والاختلاف من هذه الأمة ، وانظر رحمك الله إلى تلطفه وإحسانه فى الدعوة إلى الله بالتى هى أحسن وصبره على إيذائهم له وتشنيعهم عليه فى رسائلهم وكتبهم التى أرسلوها إليه حتى إن بعضهم سماه مجنونا وقال أطعموه الدبا والثوم المربا : يعنى أنه مجنون والمجنون يداوى بهذا .

فصل

ثم صنف الشيخ رحمه الله رسالة عامة للمسلمين تسمى كشف الشبهات جوابا لكثير من شبههم التى أدلوا بها، وذكروها فى مصنفاتهم ، وهذا لفظها بحروفها قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم رحمك الله أن التوحيـد هو إفراد الله بالعبادة ، وهو دين الرسل الذى أرسلهم الله به إلى عباده ، فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا فى الصالحين ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر ، وآخر الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذى كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى قوم يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هـذا التقرب والاعتقاد محض حق الله لايصلح منـه شىء لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله الخالق وحده لاشريك له وأنه لايرزق إلا هو ، ولا يميت إلا هو ، ولا يحيى إلا هو ، ولا يدبر الأمر إلا هو وأن جميـع السموات ومن فيهن والأرض ومن فيها كلهم عبيده وتحت تصريفه وقهره ، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهـذا فاقرأ قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقوله (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولايجار عليه

إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون) وغير ذلك من الآيات إذا تحققت أنهم مقرون بهذا ، ولم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفت أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلا ونهاراً ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم إلى الله ليشفعوا له ويدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبياً مثل عيسى وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله كما قال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء) وتحققت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله والنذر كله لله والذبح كله لله والاستعانة كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله . وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم، والتقرب إلى الله بذلك هو الذى أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون ، وهـذا التوحيد هو معنى قولك لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذى يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبياً أو وليا أو شجرة أو قبراً أو جنياً لم يريدوا أن الإله هو الخالق الرازق المدبر فإنهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك ، وإنما يعنون بالإله مايعنى المشركون فى زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله قالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشىء عجاب) . فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعى الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ماعرفه جهال الكفرة ، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشىء من المعانى ، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير فى رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله . إذا عرفت ما أقول لك معرفة قلب وعرفت الشرك بالله الذى قال الله فيه (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) وعرفت دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد سواه ، وعرفت ماأصبح غالب الناس

فيه من الجهل بهذا أفادك فائدتين : الأولى الفرح بفضل الله ورحمته كما قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وأفادك أيضاً الخوف العظيم فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه ، وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله كما ظن الكفار خصوصاً أن ألهمك الله ماقص عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم أنهم أتوه قائلين (اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فحينئذ يعظم حرصك وخوفك على مايخلصك من هذا وأمثاله . واعلم أن الله سبحانه من حكمته لم يبعث نبيا بهذا التوحيد إلا جعل له أعداء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج فالواجب عليك أن تعلم من دين الله مايصير سلاحا لك تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل (لأقعدن لهم صراطك المستقيم . ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) ولكن إن أقبلت على الله وأصغيت إلى حجج الله وبيناته فلا تخف ولا تحزن (إن كيد الشيطان كان ضعيفا) والعامي من الموحدين يغلب ألفاً من علماء المشركين كما قال الله تعالى (وإن جندنا لهم الغالبون) فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان ، وإنما الخوف على الموحد الذى يسلك الطريق وليس معه سلاح ، وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذى جعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين فلا يأتي صاحب باطل بحجة إلا وفى القرآن ماينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) قال بعض المفسرين هذه الآية عامة فى كل حجة يأتى بها أهل الباطل إلى يوم القيامة وأنا أذكر لك شيئا مما ذكره الله فى كتابه جوابا لكلام احتج به المشركون فى زماننا علينا . فنقول : جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ومفصل . أما المجمل فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها وذلك قوله تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله

وما يعلم تأويله إلا الله) وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » مثل ذلك إذا قال بعض المشركين (ألا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) وأن الشفاعة حق وأن الأنبياء لهم جاه عند الله أو ذكر كلاما للنبي صلى الله عليه وسلم يستدل به على شيء من باطله وأنت لاتفهم معنى الكلام الذى ذكره فجاوبه بقولك إن الله ذكر أن الذين فى قلوبهم زيغ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن الله ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية وأنه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والأنبياء والأولياء مع قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله هـذا أمر محكم بين لايقدر أحد أن يغير معناه وما ذكرت لى أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي صـلى الله عليه وسلم لاأعرف معناه ، ولـكن أقطع أن كلام الله لايتناقض وأن كلام النبي صلى الله عليـه وسلم لايخالف كلام الله ، وهذا جواب جيد سديد ولـكن لايفهمه إلا من وفقه الله ولا تستهونه فإنه كما قال تعالى (وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) وأما الجواب المفصل فإن أعداء الله لهم اعتراضات كثيرة يصدون بها الناس منها قولهم نحن لانشرك بالله بل نشهد أنه لايخلق ولا يرزق ولا ينفع ولا يضر إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن عبد القادر أو غيره ولـكن أنا مذنب والصالحون لهم جاه عنـد الله واطلب من الله بهم فجاوبه بما تقدم وهو أن الذين قاتلهم رسول الله عليـه وسلم مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لاتدبر شيئا وإنما أرادوا الجاه والشفاعة واقرأ عليـه ماذكر الله فى كتابه ووضحه فإن قال هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام كيف تجعلون الأنبياء أصناما ؟ فجاوبه بما تقدم فإنه إذا أقر أن الـكفار يشهدون بالربوبية كلها لله وأنهم ماأرادوا مما قصدوا إلا الشفاعة ولـكن أراد أن يفرق بين فعلهم وفعـله بما ذكر فاذكر له أن الـكفار منهم من يدعو الصالحين والأصـنام ، ومنهم من يدعو الأوليـاء الذين قال الله فيهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) ويدعون عيسى ابن مريم وأمه وقد قال الله تعالى (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفـكون)

واذكر قوله (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) فقل له عرفت أن الله كفر من قصد الأصنام وكفر أيضاً من قصد الصالحين وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قال الكفار يريد منهم وأنا أشهد أن الله النافع الضارّ المدبر لاأريد إلا منه ، والصالحون ليس لهم من الأمر شيء ولكن أقصدهم أرجو من الله بشفاعتهم . فالجواب أن هذا قول الكفار سواء فاقرأ عليه قولهم (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى — هؤلاء شفعاؤنا عند الله) واعلم أن هذه الشبه الثلاث هي أكبر ما عنده فإذا عرفت أن الله وضحها في كتابه وفهمتها فهما جيدا فما بعدها أيسر منها ، فإن قال أنا لا أعبد إلا الله وهذا الالتجاء إلى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له أنت تقر أن الله فرض عليك إخلاص العبادة وهو حقه عليك فإذا قال نعم فقل له بين لي هذا الذي فرض عليك وهو إخلاص العبادة لله وهو حقه عليك ؟ فإنه لايعرف العبادة ولا أنواعها فبينها بقولك قول الله (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) إذا علمت بهذا هل هو عبادة فلابد أن يقول نعم. والدعاء مخ العبادة ، فقل له إذا قررت أنها عبادة ودعوت الله ليلا ونهارا خوفا وطمعا ثم دعوت في تلك الحاجة نبياً أو غيره هل أشركت في عبادة الله غيره إذ قال الله (فصل لربك وانحر) وأطعت الله ونحرت له فلا بد أن يقول نعم ، فقل له إذا نحرت لمخلوق أو نبي أو جني أو غيرهما هل أشركت في هذه العبادة غير الله ؟ فلا بد أن يقر ويقول نعم ، وقل له أيضا المشركون الذين نزل فيهم القرآن هل كانوا يعبدون الملائكة والصالحين واللات وغير ذلك ؟ فلا بد أن يقول نعم ، فقل له وهل كانت عبادتهم إياهم إلا في الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك وإلا أنهم مقرون أنهم عبيد تحت قهر الله وأن الله هو الذي يدبر الأمر ولكن دعوهم والتجئوا إليهم للجاه والشفاعة وهذا ظاهر جدا ، فإن قال أتنكر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبرأ منها ؟ فقل لاأنكرها ولا أتبرأ منها بل هو صلى الله عليه وسلم الشافع المشفع وأرجو شفاعته لكن الشفاعة كلها لله كما قال الله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) ولا تكون إلا من بعد إذن الله كما قال عز وجل (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) ولا يشفع في أحد إلا من بعد أن يأذن الله فيه كما قال جل جلاله (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وهو لايرضى إلا التوحيد كما قال تعالى (ومن يبتغ غير الإسلام دينا

فلن يقبل منه) فإذا كانت الشفاعة كلها لله ولا تكون إلا بعد إذنه ولا يشفع النبى صلى الله عليه وسلم ولا غيره فى أحد حتى يأذن الله فيه ولا يأذن إلا لأهل التوحيد تبين أن الشفاعة كلها لله واطلبها منه اللهم لاتحرمنى شفاعته اللهم شفعه فى" وأمثال هذا فإن قال النبى صلى الله عليه وسلم أعطى الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله . فالجواب أن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هـذا وقال (فلا تدعوا مع الله أحدا) وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبى صلى الله عليه وسلم فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون أتقول إن الله أعطاهم الشفاعة واطلبها منهم . فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التى ذكرها الله فى كتابه ، وإن قلت لا بطل قولك أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله ، فإن قال أنا لاأشرك بالله شيئا حاشا وكلا ، ولـكن الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك فقل له إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا وتقر أن الله لايغفره فما هـذا الأمر الذى عظمه الله وذكر أنه لايغفره فإنه لايدرى فقل له كيف تبرأ من الشرك وأنت لاتعرفه ؟ كيف يحرم الله عليك هذا ؟ ويذكر أنه لايغفره ولا تسأل عنه ولا تعرفه ، أتظن أن الله يحرمه ولا يبينه لنا ؟ فإن قال الشرك عبادة الأصنام ونحن لا نعبد الأصنام ، فقل ومامعنى عبادة الأصنام أتظن أنهم يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها ؟ فهذا يكذبه القرآن أو هو قصد خشبة أو حجر أو بنية أو غيره يدعون ذلك ويذبحون له يقولون إنه يقربنا إلى الله ويدفع عنا ببركته فقد صدقت وهـذا هو فعلكم عند الأحجار والبناءات التى على القبور وغيرها ، فهذا أقرأن فعلهم هذا هو عبادة الأصنام ويقال أيضا قولك الشرك عبادة الأصنام هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا وأن الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لايدخل فى هذا فهذا يرده ماذكره الله فى كتابه من كفر من تعلق على الملائكة وعيسى والصالحين فلا بد أن يقر لك أن من أشرك فى عبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور فى القرآن وهذا هو المطلوب .

وسر المسألة أنه إذا قال أنا لاأشرك بالله فقل وما الشرك بالله فسره لى ، وإن قال هو عبادة الأصنام فقل وما معنى عبادة الأصنام فسرها لى ، وإن قال أنا لا أعبد إلا الله فقل مامعنى عبادة الله وحده فسرها لى ، فإن فسرها بما يبينه القرآن فهو المطلوب ، وإن لم يعرفه فـكيف يدعى شيئا وهو لايعرفه ، وإن فسر ذلك بغير معناه بينت له

الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله وعبادة الأوثان الذى يفعلونه فى هـذا الزمان بعينه وأن عبادة الله وحده لاشريك له هى التى ينكرونها علينا ويصيحون كما صاح إخوانهم حيث قالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشئ عجاب) فإذا عرفت أن هذا الذى يسميه المشركون فى وقتنا الاعتقاد وهو الشرك الذى أنزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل وقتنا بأمرين : أحدهما أن الأولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثانا مع الله إلا فى الرخاء وأما فى الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) وقوله (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون) وقوله (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) إلى قوله (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) وقوله (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) فمن فهم هذه المسألة التى وضحها الله فى كتابه وهى أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعون الله ويدعون غيره فى الرخاء ، وأما فى الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لاشريك له وينسون سادتهم تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين ، ولـكن أين من يفهم قلبه هـذه المسألة فهما راسخا؟ والله المستعان . والأمر الثانى أن الأولين يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله إما نبياً وإما أولياء وإما ملائـكة ويدعون أحجارا وأشجارا مطيعة لله ليست عاصية وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور من الزنا والسرقة وترك الصلاة وغير ذلك ، والذى يعتقد فى الصالح والذى لا يعصى مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده ويشهد به .

إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصح عقولا وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن لهؤلاء شبهة يوردونها على ماذكرنا وهى من أعظم شبههم فأصغ سمعك لجوابها وهى أنهم يقولون إن الذين نزل فيهم القرآن لايشهدون أن لا إله إلا الله ويكذبون الرسول وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلى ونصوم

فكيف تجعلوننا مثل أولئك . والجواب أنه لاخلاف بين العلماء كلهم أن الرجل إذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء وكذبه فى شىء إنه كافر لم يدخل فى الإسلام ، وكذلك إذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الحج ، ولما لم ينقد أناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم للحج أنزل الله فى حقهم (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) ، ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالإجماع وحل دمه وماله كما قال جل جلاله (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا) فإذا كان الله قد صرح فى كتابه أن من آمن ببعض وكفر ببعض فهو الكافر حقا زالت هذه الشبهة وهذه هى التى ذكرها بعض أهل الأحساء فى كتابه الذى أرسل إلينا . ويقال إذا كنت تقر أن من صدق الرسول فى كل شىء وجحد وجوب الصلاة إنه كافر حلال الدم بالإجماع ، وكذلك إذا أقر بكل شىء إلا البعث ، وكذلك لو جحد وجوب صوم رمضان لايجحد هذا ولا تختلف المذاهب فيه وقد نطق به القرآن كما قدمنا ؛ فمعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو أعظم من الصلاة والزكاة والصوم والحج فكيف إذا جحد الإنسان شيئاً من هذه الأمور كفر ولو عمل بكل ماجاء به الرسول ، وإذا جحد التوحيد الذى هو دين الرسل كلهم لايكفر ، سبحان الله ماأعجب هذا الجهل ويقال أيضا هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة ، وقد أسلموا مع النبى صلى الله عليه وسلم وهم يشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويؤذنون ، فإن قال إنهم يقولون إن مسيلمة نبى قلنا هذا هو المطلوب إذا كان من رفع رجلا إلى رتبة النبى صلى الله عليه وسلم كفر وحل ماله ودمه ولم تنفعه الشهادتان ولا الصلاة فكيف بمن رفع شمسان ويوسف أو صحابياً أو نبياً فى مرتبة جبار السموات والأرض ؟ سبحان الله ماأعظم شأنه ! (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون) ويقال أيضاً إن الذين حرقهم علىّ بن أبى طالب بالنار كلهم يدّعون الإسلام وهم من أصحاب على وتعلموا العلم من الصحابة ولكن اعتقدوا فى على مثل الاعتقاد فى يوسف وشمسان وأمثالهما ، فكيف

أجمع الصحابة على قتلهم وكفرهم أتظنون أن الصحابة يكفرون المسلمين أم تظنون الاعتقاد فى تاج وأمثاله لايضر والاعتقاد فى على بن أبى طالب يكفر؟ ويقال أيضا بنو عبيد القداح الذين ملكوا المغرب ومصر فى زمان بنى العباس كلهم يشهدون أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويدّعون الإسلام ويصلون الجمعة والجماعة فلما أظهروا مخالفة الشريعة فى أشياء دون مانحن فيه أجمع العلماء على كفرهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب وغزاهم المسلمون حتى استنقذوا مابأيديهم من بلدان المسلمين . ويقال أيضا إذا كان الأولون لم يكفروا إلا أنهم جمعوا بين الشرك وتكذيب الرسل والقرآن وإنكار البعث وغير ذلك فما معنى الباب الذى ذكر العلماء فى كل مذهب باب حكم المرتد وهو المسلم الذى يكفر بعد إسلامه ؟ ذكروا أنواعا كثيرة كل نوع منها يكفر ويحل دم الرجل وماله حتى إنهم ذكروا أشياء يسيرة عند من يفعلها مثل كلمة يذكرها بلسانه دون قلبه أو كلمة يذكرها على وجه المزح واللعب . ويقال أيضا الذين قال الله فيهم (يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم) أما سمعت الله كفرهم بكلمة مع كونهم فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون معه ويصلون معه ويزكون ويحجون ويوحدون ؟ وكذلك الذين قال فيهم (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فهؤلاء الذين صرح الله أنهم كفروا بعد إيمانهم هم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك قالوا كلمة ذكروا أنهم قالوها على وجه المزح . فتأمل هذه الشبهة وهى قولهم تكفرون من المسلمين أناسا يشهدون أن لاإله إلا الله ويصلون ويصومون ثم تأمل جوابها فإنه من أنفع مافى هذه الأوراق ، ومن الدليل على ذلك أيضا ماحكى الله عن بنى إسرائيل مع إسلامهم وعلمهم وصلاحهم أنهم قالوا لموسى(اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وقول أناس من الصحابة: اجعل لنا ذات أنواط فحلف صلى الله عليه وسلم إن هذا نظير قول بنى إسرائيل اجعل لنا إلها: ولكن للمشركين شبهة أخرى يدلون بها عند هذه القصة وهى أنهم يقولون إن بنى إسرائيل لم يكفروا ، وكذلك الذين قالوا اجعل لنا ذات أنواط لم يكفروا . والجواب أن تقول إن بنى إسرائيل لم يفعلوا ، وكذلك الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم، ولا خلاف أن بنى إسرائيل لو لم يفعلوا ذلك لكفروا وكذلك لاخلاف أن الذين نهاهم النبى صلى الله عليه وسلم لو لم يطيعوه واتخذوا ذات

أنواط بعد نهيه لكفروا وهذا هو المطلوب ، ولكن هذه القصة تفيد أن المسلم بل العالم قد يقع فى أنواع من الشرك لايدرى عنها فيفيد التعلم والتحرز ومعرفة أن قول الجاهل التوحيد فهمناه أن هذا من أكبر الجهل ومكايد الشيطان ، وتفيد أيضا أن المسلم المجتهد إذا تكلم بكلام كفر وهو لايدرى فنبه على ذلك وتاب من ساعته أنه لايكفر كما فعل بنو إسرائيل والذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفيد أيضا أنه لولم يكفر فإنه يغلظ عليه الكلام تغليظا شديدا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللمشركين شبهة أخرى يقولون إن النبى صلى الله عليه وسلم أنكر على أسامة قتل من قال لا إله إلا الله وقال « أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله » وكذلك قوله « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وأحاديث أخر فى الكف عمن قالها ومراد هؤلاء الجهلة أن من قالها لايكفر ولايقتل ولو فعل مافعل فيقال لهؤلاء الجهلة معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وسباهم وهم يقولون لا إله إلا الله وأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا بنى حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون ويدّعون الإسلام وكذلك الذين حرقهم على بن أبى طالب بالنار وهؤلاء الجهلة يقرون أن من أنكر البعث كفر وقتل ولو قال لا إله إلا الله وأن من جحد شيئاً من أركان الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف لاتنفعه إذا جحد فرعا من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذى هو أساس دين الرسل ورأسه ولكن أعداء الله مافهموا معنى الأحاديث فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلا ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه ما ادعى الإسلام إلا خوفا على دمه وماله والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه مايخالف ذلك وأنزل الله فى ذلك (ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا) أى تثبتوا ، فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت ، فإن تبين منه بعد ذلك مايخالف الإسلام قتل لقوله فتبينوا ولو كان لايقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ماذكرناه ، وأن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه مايناقض ذلك ، والدليل على هذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى قال أقتلته بعد ماقال لا إله إلا الله وقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » هو الذى قال فى الخوارج « أينما لقيتموهم فاقتلوهم لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلا حتى إن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم وتعلموا العلم من الصحابة فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة وكذلك

ماذكرناه من قتال اليهود وقتال الصحابة بنى حنيفة وكذلك أراد صلى الله عليه وسلم أن يغزو بنى المصطلق لما أخبره رجل منهم أنهم منعوا الزكاة حتى أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) وكان الرجل كاذبا عليهم وكل هذا يدل على أن مراد النبى صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث التى احتجوا بها ماذكرناه ولهم شبهة أخرى وهى ماذكر النبى صلى الله عليه وسلم أن الناس يستغيثون بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركا . والجواب أن نقول سبحان من طبع على قلوب أعدائه فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها كما قال تعالى فى قصة موسى (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وكما يستغيث الإنسان بأصحابه فى الحرب أو غيره فى أشياء يقدر عليها المخلوق ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء أو فى غيبتهم فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله . إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز فى الدنيا والآخرة أن تأتى عند رجل صالح حى يجالسك ويسمع كلامك تقول له ادع الله لى كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه فى حياته ، وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه ، ولهم شبهة أخرى وهى قصة إبراهيم لما ألقى فى النار اعترض له جبريل فى الهواء قال ألك حاجة؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا فقالوا فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم . فالجواب أن هذا من جنس الشبهة الأولى فإن جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه فإنه كما قال الله فيه (شديد القوى) فلو أذن الله له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها ويلقيها فى المشرق والمغرب لفعل ، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم عنهم فى مكان بعيد لفعل ، ولو أمره الله أن يرفعه إلى السماء لفعل وهذا كرجل غنى له مال كثير يرى رجلا محتاجا فيعرض عليه أن يقرضه أو يهبه شيئا يقضى به حاجته فيأبى ذلك المحتاج أن يأخذ ويصبر إلى أن يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد . فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون. ولنختم الكلام بمسألة عظيمة مهمة تفهم مما تقدم لكن نفرد الكلام لعظم شأنها ولكثرة الغلط فيها فنقول : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل ، فإن اختلف شىء من هذا لم يكن الرجل

مسلماً ، فإن عرف التوحيد ولم يعمل به فهو كافر معاند كفرعون وإبليس ، وهذا يغلط فيه كثيرمن الناس يقولون هذا حق ونحن نفهم هذا ونشهد أنه الحق ، ولكن لانقدر أن نفعله ولايجوز عند أهل بلدنا إلامن وافقهم أو غيرذلك من الأعذار ، ولم يدر المسكين أن غالب أئمة الكفر يعرفون الحق ولم يتركوه إلا لشئ من الأعذار كما قال تعالى (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا) وغير ذلك من الآيات كقوله (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فإن عمل بالتوحيد عملا ظاهرا وهو لايفهمه ولا يعتقده بقلبه فهو منافق وهو أشر من الكافر الخالص (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) ، وهذه المسألة مسألة طويلة تبين لك إذا تأملتها فى ألسنة الناس ترى من يعرف الحق ويترك العمل به لخوف نقص دنيا أو جاه أو مداراة ، وترى من يعمل به ظاهراً لاباطناً ، ولكن عليك بفهم آيتين من كتاب الله أولها قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) فإذا تحققت أن بعض الصحابة الذين غزوا الروم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفروا بسبب كلمة قالوها على وجه اللعب والمزح تبين لك أن الذى يتكلم بالكفر ويعمل به خوفا من نقص مال أو جاه أو مداراة لأحد أعظم ممن يتكلم بكلمة يمزح بها . والآية الثانية قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الآية) ، فلم يعذر الله من هؤلاء إلا من أكره مع كون قلبه مطمئنا بالإيمان وأما غيرهذا فقد كفر بعد إيمانه سواء فعل خوفا أو مداراة أو مشحة بوطنه أو أهله أوعشيرته أو ماله أو فعل على وجه المزح أو لغيرذلك من الأغراض إلا المكره ، والآية المشهورة تدل على هذا من جهتين : الأولى قوله (إلا من أكره) فلم يستثن الله إلا المكره ومعلوم أن الإنسان لايكره إلا على الكلام والعمل . وأما عقيدة القلب فلا يكرهه أحد عليها . والثانية قوله تعالى (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فصرح أن هذا الكفر والعذاب لم يكن بسبب الاعتقاد والجهل أو البغض للدين أو محبة الكفر وإنما سببه أن له فى ذلك حظا من حظوظ الدنيا فآثره على الدين والله سبحانه وتعالى أعلم .

هذا آخر ما ذكره الشيخ رحمه الله فى هذه الرسالة النافعة فليتأمل اللبيب الناصح لنفسه الذى يخاف الله ويرجوه ماقرره الشيخ رحمه الله فى هذا الكتاب من بيان

التوحيد الذى دعت إليه الرسل وهو شهادة أن لا إله إلا الله وإن الإلهية كلها بجميع أنواعها لله وحده لايصلح منها شىء لالملك مقرب ولا نبى مرسل ثم يتدبر ماذكره الله فى كتابه من بيان هذا الأصل وتوضيحه وتقريبه للأذهان بالأمثال العظيمة التى لايعقلها إلا من أراد الله هدايته فإن هـذا الأصل العظيم هو الذى خلق الله لأجله جميع الخلق وأرسل لأجل معرفته والعمل به جميع المرسلين كما قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم (قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له) وقال تعالى (أنمـا إلهكم إله واحد فهـل أنتم مسلمون) والإله هو الذى تألهه القلوب عبادة له واستغاثة به ودعاء له ورجاء له وتوكلا عليه وخشية له وإجلالا وإكراما فمن أخذ شيئا من أنواع الإلهية والعبادة التى لاتصلح إلا لله وجعله لمخلوق فقد اتخذه إلهاً مع الله وإن لم يزعم أنه إله فإذا فعل مايفعل أهل الشرك وعباد الأوثان بآلهتهم فقد عبدهم وصار له إله مع الله فـكان ممن اتخذ إلهين اثنين . قال العلماء رحمهم الله من غلا فى نبى أو رجل صالح أو غير صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أغثنى واجبرنى وانصرنى أو اقض دينى أو أنا فقير إليك أو أنا فى حسبك أو متوكل عليك أو يذبح له أو ينذر له أو يرجوه أو يخافه فهذا كله شرك وضلال وجنون وخيال يستتاب صاحبه وتقام عليه الحجة فإن تاب وإلا ضربت عنقه ، وإن زعم أنه إنما يريد شفاعته له عند الله وتقريبه زلفى فإن المشركين عبدة الأوثان إنما غرهم الشيطان وكادهم واصطادهم بذلك كما هو صريح فى محكم آيات التنزيل لمن تدبره وعقل عن ربه العظيم الجليل ، وقد روى الترمذى وغير واحد من أهل الحديث عن أبى واقد الليثى أنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن قلتم والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً »

فتدبر رحمك الله هذا الحديث وتفكر فيه وتأمله كيف أفتى صلى الله عليه وسلم وحلف على هذه الفتيا أن هذا مثل قول بنى إسرائيل لموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) مع أنهم لم يتلفظوا بذلك وإنما قالوه بالمعنى مع أنهم مجتهدون فى ذلك لم يشعروا أن هذا كقول بنى إسرائيل ولهذا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلين له ذلك جهلا منهم ، ومع هذا كله أخبر الصادق المصدوق وحلف على هذا الخبر إن هذا كقول بنى إسرائيل لموسى سواء بسواء فإذا كان هذا الأمر العظيم خفى على أولئك السادة وجهلوه فكيف لا يخفى على غيرهم فى هذه الأزمان التى خفيت فيها أعلام الإسلام واشتدت فيها غربة الإسلام بين الأنام والإيمان حتى صار المعروف منكراً والمنكر معروفا والمجرد للتوحيد يخرج عن الإسلام وكان الشيطان قد اصطاد كثيرا من الناس بأن هذا التعظيم للأنبياء والأولياء والصالحين توسل واستشفاع إلى الله بهم فى إجابة الدعوات وقضاء الحاجات وتفريج الكربات وأنتم تقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله وإن هذه الأمة المحمدية لا تشرك بالله ولا يقع الشرك فى جزيرة العرب أصلا وأنتم لم تقولوا إن هؤلاء آلهة مع الله كما قاله عباد الأوثان وإنما هؤلاء عباد صالحون وأنتم عباد مذنبون مخطئون فتجعلونهم وسائط بينكم وبين الله فتتقربون إليهم وتستشفعون بهم وتتوسلون بهم لأنهم أقرب منكم إلى الله وهذا فعل الناس قبلكم ولستم خيراً من فلان وفلان وأشباه هذه الزخارف التى يغرّ بها الناس هو وإخوانه من شياطين الجن والإنس فتصغى إلى ذلك أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ويرضونه ويقترفوا ما هم مقترفون ، ثم يغريهم بعداوة أهل التوحيد والإخلاص فيستهزئون منهم بقلوبهم وأبدانهم ويسعون فى أذيتهم ويبغون لهم الغوائل والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فإذا كان هذا تغليظ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أولئك السادة لما طلبوا منه مجرد مشابهة المشركين فى جعل سدرة لتنويط الأسلحة والتبرك بها والعكوف عندها فكيف بما هو أشد من ذلك من الشرك الأكبر الذى لم يفعله عباد الأوثان بل هو أعظم منه بكثير .

﴿فوائد﴾ : الأولى ﴿ كان العلماء رضى الله عنهم من قديم الزمان ينكرون هذا الذى حدث فى هذه الأمة من تعظيم القبور وبنائها وبناء المشاهد عليها والمساجد ودعائها وسؤال أهلها الحاجات وتفريج الكربات ويبينون للناس أن هذا خلاف دين الإسلام الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ودخول فى دين عباد الأوثان فليس هذا الذى

بينه الشيخ رحمه الله للناس من النهى عن دعوة أهل القبور والإشراك بهم والتبرك بالأشجار والأحجار فهمه من تلقاء نفسه دون أن يفهمه أحد من علماء هذه الأمة بل العلماء كلهم من جميع المذاهب مطبقون على أن النهى عنه والإنكار والتغليظ على من فعله من الجهال وإزالة ماقدروا عليه من ذلك ومرادى بالعلماء هم الذين يعتد بهم فى معرفة الحلال والحرام المشهورون بالعلم والمعرفة عند أهل الإسلام الذين لاتأخذهم فى الله لومة لائم بل يجاهدون فى سبيل الله أهل البدع والآثام بحسب استطاعتهم وقدرتهم إما باليد أو باللسان أو بالقلب ، وهو أضعف مراتب الإيمان ؛ وقد ثبت أن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» أخرجاه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، ومن ذلك ماذكره الإمام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتابه المشهور الذى سماه الباعث على إنكار البدع والحوادث روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم» فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البر أو الشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها انتهى كلامه رحمه الله، فانظر رحمك الله إلى تصريح هذا الإمام بأن كل شجرة يقصدها الناس ويعظمونها ويرجون الشفاء والعافية من قبلها فهى ذات أنواط التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما طلبوا منه أن يجعل لهم شجرة كذات أنواط فقال الله أكبر هذا كقول بنى إسرائيل اجعل لنا إلها مع أنهم لم يطلبوا إلا مجرد مشابهتهم فى العكوف عندها وتعليق الأسلحة للتبرك فتبين لك بهذا أن من جعل قبرا أو حجرا أو شجرة أو شيئا حياً أو ميتاً مقصودا له وعظمه ودعاه واستغاث به وتبرك به وعكف على قبره فقد اتخذه إلها مع الله . فإذا كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنكر عليهم مجرد طلبهم منه مشابهة المشركين فى العكوف وتعليق

الأسلحة للتبرك فما ظنك بما هو أعظم من ذلك وأطم الشرك الأكبر الذى حرمه الله ورسوله وأخبر أن أصلح الخلق لو يفعله لحبط عمله وصار من الظالمين ، فصلوات الله وسلامه عليه كما بلغ البلاغ المبين وعرفنا بالله وأوضح لنا الصراط المستقيم ؛ فحقيق بمن نصح نفسه وآمن بالله واليوم الآخر أن لايغتر بما عليه أهل الشرك من عبادة القبور من هـذه الأمة . ومن ذلك ماذكره الإمام محدث الشام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة من فقهاء الشافعية وقدمائهم فى كتابه الذى سماه الباعث على إنكار البدع والحوادث فى فصل البدع المستقبحة قال : ثم هذه البدعة المستقبحة تنقسم إلى قسمين : قسم تعرفه العامة والخاصة أنه بدعة محرمة والبدعة إما محرمة وإما مكروهة ، وقسم يظنه معظمهم إلا من عصم عبادة وقربا وطاعات وسننا. فأما القسم الأول فلا نطول بذكره إذ كفينا مؤونة الكلام فيه لاعتراف فاعله أنه ليس من الدين لكن نبين من هذا القسم مما قد وقع فيه جماعة من جهال العوام النابذين لشريعة الإسلام التاركين الاقتداء بأئمة الدين من الفقهاء ، وهو مايفعله طوائف من المنتمين للفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من مؤاخاة النساء الأجانب والخلوة بهن واعتقادهم فى مشايخ لهم ضالين مضلين يأكلون فى نهار رمضان من غير عذر ، ويتركون الصلوات ويخامرون النجاسات غير مكترثين لذلك فهم داخلون تحت قوله تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) ولهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها . ومن هذا القسم أيضاً ماقد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسرج مواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك ويحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم متقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاعة لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهى من بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفى مدينة دمشق صانها الله تعالى من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق خارج البيت الصغير والشجرة الملعونة اليابسة خارج باب النصر فى نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتثاثها من أصلها ؛ فما أشبهها بذات أنواط الواردة فى الحديث الذى رواه محمد بن إسحاق

وسفيان بن عيينة عن الزهرى بن سنان وابن أبى سفيان عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين وكانت لقريش شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها » وفى رواية « خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فتنادينا من جنبتى الطريق ونحن نسير إلى حنين : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قال قوم موسى لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم » أخرجه الترمذى بلفظ آخر والمعنى واحد ، وقال هذا حديث حسن صحيح. قال الإمام أبو بكر الطرطوشى فى كتابه المقدم ذكره فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها . قلت ولقد أعجبنى مافعله الشيخ أبو إسحاق الجبنيانى رحمه الله تعالى أحد الصالحين ببلاد إفريقية حكى عنه صاحبه الصالح أبو عبد الله محمد بن أبى العباس المؤدب : أنه كان إلى جانبه عين تسمى عين العافية كانت العامة قد افتتنوا بها يأتونها من الآفاق من تعذر عليها نكاح أو ولد قالت امضوا بى إلى العافية فتعرف بها الفتنة قال أبو عبد الله فأنا فى السحر ذات ليلة إذ سمعت أذان أبى إسحاق نحوها فخرجت فوجدته قد هدمها وأذن الصبح عليها ثم قال اللهم إنى هدمتها لك فلا ترفع لها رأسا قال فما رفع لها رأس إلى الآن . قلت وأدهى من ذلك وأمرّ إقدامهم على قطع الطريق السابلة يحيزون فى أحد الأبواب القديمة الثلاثة العادية التى هى من بناء الجن فى زمن نبى الله سليمان بن داود عليه السلام أو من بناء ذى القرنين ، وقيل فيها غير ذلك مايؤذن بالتقدم على مانقلناه فى كتاب تاريخ مدينة دمشق حرسها الله تعالى وهو الباب الشمالى ذكر لهم بعض من لايوثق به فى شهور سنة ست وثلاثين وستمائة أنه رأى مناما يقتضى أن ذلك المكان دفن فيه بعض أهل البيت ، وقد أخبرنى عنه ثقة أنه اعترف له أنه افتعل ذلك فقطعوا طريق المارة فيه وجعلوا الباب بكماله أصل مسجد مغصوبا ، وقد كان الطريق يضيق بسالكيه فتضاعف الطريق والحرج على من دخل ومن خرج ضاعف الله

عذاب من تسبب فى بنائه وأجزل ثواب من أعان على هدمه وإزالة اعتدائه اتباعا لسنة النبي صلى الله عليه وسلم فى هدم مسجد الضرار المرصد لأعدائه من الكفار، فلم ينظر الشرع إلى كونه مسجداً وهدمه لما قصد به من السوء والردى وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (لاتقم فيه أبدا) أسأل الله الكريم معافاته من كل مايخالف رضاه، وأن لايجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه. انتهى ماذكره الشيخ أبوشامة رحمه الله تعالى، وكان رحمه الله تعالى من أئمة الشافعية من أهل أوائل القرن السابع، وقال الإمام أبوالوفا بن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى: لماصعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها لما نهى عنه الشرع من إيقاد السرج وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاى افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا بها وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يقبل مشهد الكف ولم يتمسح بآجر مسجد المويئة يوم الأربعاء ولم يقل الحمالون على جنازته الصديق أبوبكر أومحمد وعلى، أولم يعقد على قبر أبيه أزجا بالجص والآجر ولم يخرق ثيابه إلى الذيل ولم يرق ماء الورد على القبر انتهى. فتأمل رحمك الله تعالى ماذكره هذا الإمام الذى هو أجل أئمة الحنابلة بل من أجل أئمة الإسلام وما كشفه من الأمور التى يفعلها الخواص من الأنام فضلا عن النساء والغوغاء والعوام مع كونه فى سادس القرون والناس إذ ذاك لما ذكره يفعلون وجهابذة العلماء والنقدة لذلك يشهدون وحظهم من النهى مرتبته الثانية فهم به قائمون يتضح لك فساد مازخرفه المبطلون وموه به المتعصبة والملحدون.

﴿ الفائدة الثانية ﴾ قال الشيخ تقى الدين جاءت السنة أن يسأل الله بأسمائه وصفاته. فيقال «أسألك بأن لك الحمد لاإله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ياذا الجلال والإكرام ياحى ياقيوم، وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» وكذلك قوله «أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة» مع أن هذا الدعاء الثانى فى جواز الدعاء به قولان للعلماء قال الشيخ أبو الحسين القدورى قال بشر بن

الوليد سمعت أبا يوسف قال : قال أبو حنيفة : لاينبغى لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول : بمعاقد العز من عرشك أو يقول بحق خلقك ، والجواز قول أبى يوسف قال : قال أبو يوسف بمعقد العز من عرشك هو الله تعالى فلا أكره ذلك ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر الحرام ، قال القدورى : المسألة بخلقه لاتجوز لأنه لاحق لمخلوق على الخالق ، فلا تجوز يعنى وفاقا ، وقال البلدحى فى شرح المختارة : ويكره أن يدعو الله إلا به فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو بأنبيائك أو نحو ذلك لأنه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى . قلت وهذا من أبى يوسف وأبى حنيفة وغيرهما يقتضى المنع أن يسأل الله تعالى بغيره. وأما سؤال الميت أو الغائب نبيا كان أو غيره فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله تعالى به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين ، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام فإن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت ياسيدى يافلان أنا فى حسبك أو اقض حاجتى كما يقوله بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم فى الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد موته ولا بغيره من الأنبياء لاعند قبورهم ولا إذا بعدوا عنها ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا الصلاة عندها ؛ ولما قحط الناس فى زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك إذا أجدبنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى ، وكذلك معاوية رضى الله عنه لما استسقى لأهل الشام توسل بيزيد بن الأسود الجرشى فهذا الذى ذكره عمر رضى الله عنه توسلا بهم توسل بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعته فى حياته ولهذا توسلوا بعده بدعاء العباس وبدعاء يزيد بن الأسود ، وهذا هو الذى ذكره الفقهاء فى كتاب الاستسقاء فقالوا يستحب أن يستسقى بالصالحين ، وإذا كانوا من أقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أفضل ، وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف ، قال أصحاب مالك إنه إذا دخل المسجد يدنو من القبر فيسلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره ، وقيل لايوليه

ظهره وإنما اختلفوا لما فيه من استدباره، فأما إذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف ، ولعل هذا الذى ذكره الأئمة أخذوه من كراهة الصلاة إلى القبر فإن ذلك قد ثبت النهى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلما نهى أن يتخذ القبر مسجدا أو قبلة أمروا بأن لايتحرى الدعاء إليه كما لايصلى إليه . قال مالك فى المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولـكن يسلم ويمضى ولهذا والله أعلم حرفت الحجرة وثلثت لما بنيت فلم يجعل حائطها الشمالى على سمت القبلة ولا جعل مسطحا،وذكر الإمام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره وذلك بعد تحيته والصلاة والسلام عليه ثم يدعو لنفسه ، وذكروا أنه إذا حياه وصلى يستقبل وجهه بأبى هو وأمى صلى الله عليه وسلم فإذا أراد الدعاء جعل الحجرة عن يساره واستقبل القبلة ودعا ، وهذا مراعاة منهم أن يفعل الداعى والزائر ما نهى عنه من تحرى الدعاء عند القبر ، وقد كره مالك رحمه الله وغيره من أهل العلم لأهل المدينة كلما دخل أحدهم المسجد أن يجىء فيسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، قال: وإنما يكون ذلك لأحدهم إذا قدم من سفر أو أراد سفرا ونحو ذلك،ورخص بعضهم فى السلام عليه إذا دخل المسجد للصلاة ونحوها. وأما قصده دائما للصلاة والسلام عليه فما علمت أحدا رخص فى ذلك لأن ذلك نوع من اتخاذه عيدا ، وأيضا فإن ذلك بدعة فقد كان المهاجرون والأنصار فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم يجيئون إلى المسجد كل يوم خمس مرات يصلون ولم يكونوا يأتون مع ذلك إلى القبر يسلمون عليه لعلمهم رضى الله عنهم بما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرهه من ذلك وما نهاهم عنه ولأنهم كانوا يسلمون عليه حين دخول المسجد والخروج منه وفى آخر الصلاة فى التشهد كما كانوا يسلمون عليه كذلك فى حياته ، والمأثور عن ابن عمر يدل على ذلك ، قال سعيد فى سننه : حدثنا عبد الرحمن ابن يزيد حدثنى أبى عن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى وسلم عليه وقال السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبتاه وعبد الرحمن ابن يزيد وإن كان يضعف لـكن الحديث الصحيح عن نافع يدل على أن ابن عمر ما كان يفعل ذلك دائما ولا غالبا ، وماأحسن ماقال مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، ولـكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ونقص إيمانهم

عوّضوا عن ذلك بما أحدثوه من البدع والشرك وغيره ، ولهذا كرهت الأمة استلام القبر وتقبيله وبنوه بناء منعوا الناس أن يصلوا إليه، ومما يبين حكمة الشريعة وأنها كما قيل : سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، أن الذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان أعمالهم حتى خرجوا إلى الشرك فطائفة من هؤلاء يصلون لميت ويستدبر أحدهم القبلة ويسجد للقبر ويقول أحدهم القبلة قبلة العامة وقبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهدا وهو شيخ متبوع ولعله أمثل أتباع شيخه بقوله فى شيخه وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد فى العبادة والزهد يأمر المرتد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ ويعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها ، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب مالا يجده أحدهم فى مساجد الله التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وآخرون يحجون للقبور وطائفة صنفوا كتبا وسموها مناسك حج المشاهد، كما صنف أبو عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد الشيوخ الإمامية كتابا فى ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لايخفى كذبه على من له معرفه بالنقل ، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وان لم يسموا ذلك نسكا وحجا فالمعنى واحد ، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبى صلى الله عليه وسلم لاحج البيت ، وبعض الشيوخ المشهورين بالدين والزهد والصلاح صنف كتابا سماه الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة والمنام وقد ذكر فى مناقب هذا الشيخ أنه حج مرة وكان قبر النبى صلى الله عليه وسلم منتهى قصده ثم رجع إلى مكة وجعل هذا من مناقبه ، فإن كان هذا مستحباً فينبغى لمن يجب عليه حج البيت إن حج أن يجعل المدينة منتهى قصده ولا يذهب إلى مكة فإنه زيادة كلفة ومشقة مع ترك الأفضل وهذا لا يقوله عاقل ، وبسبب الخروج عن الشريعة صار بعض أكابر الشيوخ عند الناس ممن يقصده الملوك والقضاة والعلماء والعامة على طريقة ابن سبعين قيل عنه إنه كان يقول البيوت المحجوجة ثلاثة مكة وبيت المقدس والبيت الذى للمشركين فى الهند وهذا لأنه كان يعتقد أن دين اليهود حق ودين النصارى حق ، وجاءه بعض إخواننا العارفين قبل أن يعرف حقيقته فقال له أريد أن أسلك على يديك فقال على دين اليهود أوالنصارى أو المسلمين؟ فقال له واليهود

والنصارى أليسوا كفارا؟فقال لاتشدد عليهم ولكن الإسلام أفضل، ومن الناس من يجعل مقبرة الشيخ بمنزلة عرفات يسافرون إليها وقت الموسم فيعرّفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات كما يفعل هذا فى المغرب والمشرق ، ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت أنه قال كل خطوة إلى قبرى كحجة ويوم القيامة لا أبيع بحجة فأنكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ وزجره عن إنكار ذلك ، وهؤلاء وأمثالهم صلاتهم ونسكهم لغير الله رب العالمين فليسوا على ملة الحنفاء وليسوا من عمار مساجد الله التى قال الله فيها (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) وعمار مشاهد المقابر يخشون غير الله ويرجون غير الله حتى إن بعضا من أرباب الكبائر الذين لايخشون الله فيما يفعلونه من القبائح إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذى على رأس القبة يخشى من فعل الفواحش ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذى خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج، وهؤلاء إذا نوظروا خوّفوا مناظرهم كما صنع المشركون مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى (وحاجه قومه قال أتحاجونى فى الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شىء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون؟) . قال الله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحى المتعلق به كالنبى فمن الميت تطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحى فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه وكأنهم فى أنفسهم قد عزلوا الله أن يتخذوه إلها وعزلوا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتخذوه رسولا، وقد يجىء القريب العهد بالإسلام والتابع لهم المحسن الظن بهم أو غيره يطلب من الشيخ الميت إما دفع ظلم ملك يريد أن يظلمه أوغيرذلك فيدخل ذلك السادن فيقول قدقلت للشيخ والشيخ يقول له النبى والنبى يقول لله والله قد بعث رسولا إلى السلطان فلان هنا ، ألاهذا محض دين المشركين والنصارى وفيه من الكذب والجهل مالايستجيزه كل مشرك أو نصرانى ولايروج عليه ويأكلون من النذور والمنذور مايؤتى به إلى قبورهم مايدخلون به فى معنى قوله تعالى (إن كثيرا من

الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) يعرضون بأنفسهم ويمنعون غيرهم إذ التابع لهم يعتقد أن هـذا هو سبيل الله ودينه فيمتنع بسبب ذلك من الدخول فى دين الحق الذى بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه ، والله سبحانه لم يذكر فى كتابه المشاهد بل ذكر المساجد وأنها خالصة لوجهه قال تعالى (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) وقال تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) ولم يذكر بيوت الشرك كبيوت النيران والأصنام والمشاهد لأن الصوامع والبيع لأهل الكتاب فالممدوح من ذلك ما كان مبنياً قبل النسخ والتبديل يؤمنون بالله واليوم الآخر ويعملون الصالحات فبيوت الأوثان وبيوت النيران وبيوت الكواكب وبيوت المقابر لم يمدح الله شيئا منها ولم يذكر ذلك إلا فى قصة من لعنهم النبى صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) فهؤلاء الذين اتخذوا مسجدا على أهل الكهف كانوا من النصارى الذين لعنهم النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفى رواية وصالحيهم ودعاء المقبورين من أعظم الوسائل إلى ذلك وقد قدم بعض شيوخ المشرق فتكلم معى فى هذا فبينت له فساد هذا فقال كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور فقلت هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبى صلى الله عليه وسلم أحد من علماء الحديث ، وبسبب هذا وأمثاله ظهر مصداق قول النبى صلى الله عليه وسلم « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ » وهؤلاء الغلاة المشركون إذا حصل لأحدهم مطلبه ولو من كافر لم يقبل على الرسول بل يطلب حاجته من حيث يظن أنها تقضى ، فتارة يذهب إلى ما يظنه قبر رجل صالح ويكون فيه قبر كافر أو منافق وتارة يعلم أنه كافر أو منافق فيذهب إليه كما يذهب قوم إلى الكنيسة أو إلى مواضع يقال لهم إنها تقبل النذر فهذا يقع فيه عامتهم ؛ وأما الأول فيقع فيه خاصتهم ، والمقصود هنا أن كثيرا من الناس يعظم قبر من يكون فى الباطن كافرا أو منافقا ، ويكون هذا عنده والرسول من جنس واحد لاعتقاده

أن الميت يقضى حاجته إذا كان رجلا صالحا وكلا هذين عنده من جنس واحد يستغيث به ، وكم من مشهد يعظمه الناس وهو كذب بل يقال إنه قبر كافر كالمشهد الذى بسفح جبل لبنان الذى يقال إنه قبر نوح فإن أهل المعرفة يقولون إنه قبر بعض العمالقة ، وكذلك مشهد الحسين الذى بالقاهرة وقبر أبى بن كعب الذى بدمشق اتفق العلماء أنها كذب ومنهم من قال إنهما قبران لنصرانيين ، وكثير من المشاهد تنازع فيها وعندها شياطين تضل بسببها من تضل ومنهم من يرى فى المنام شخصاً يظن أنه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته كالشياطين الذين يكونون بالأصنام وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيثون بالأصنام والموتى والغائبين وهذا كثير فى زماننا وغيره مثل أقوام يرصدون بعض التماثيل التى بالبرانى بديار مصر بأخميم وغيرها يرصدون التمثال مدة لايتطهرون طهر المسلمين ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يقرءون حتى يتعلق الشيطان بتلك الصورة فيراها تتحرك فيطمع فيها أو غيرها فيرى شيطانا قد خرج له فيسجد لذلك الشيطان حتى يقضى بعض حوائجه ومثل هؤلاء كثير فى شيوخ الترك الكفار يسمونه البوى وهو المخنث عندهم إذا طلبوا منه بعض هذه الأمور أرسلوا له من ينكحه وينصبوا له حركات عالية فى ليلة ظلماء وقربوا له خبزا وميتة وغنوا غناء يناسبه بشرط أن لايكون عنده من يذكر الله ولاهناك شىء فيه شىء من ذكر الله ثم يصعد ذلك الشيخ المفعول به فى الهواء ويرون الدف يطير فى الهواء ويضرب من مد يده إلى الخبز ويضرب الشيطان بآلات اللهو وهم يسمعون ويغنى لهم الأغانى التى كانت تغنيها آباؤهم الكفار ثم قد يغيب وكذلك الطعام وقد نقل إلى بيت البوى وقد لايغيب ويقربون له ميتة يحرقونها بالنار ويقضى بعض حوائجهم ومثل هذا كثير جدا للمشركين فالذى يجرى عند المشاهد من جنس مايجرى عند الأصنام، وقد تيقنت بطرق متعددة أن ما يشرك به من دون الله من صنم وقبر وغير ذلك قد يكون عنده شياطين تضل من أشرك به وأن تلك الشياطين لايقضون إلا بعض أغراضهم وإنما يقضون بعض أغراضهم إذا حصل لهم من الشرك والمعاصى ما يحبه الشيطان ، فمنهم من يأمر الداعى أن يسجد له، ومنهم من يأمره بالفواحش وقد يفعلها الشيطان وقد ينهاه عما أمر به من التوحيد والإخلاص والصلوات الخمس وقراءة القرآن ونحو ذلك ، والشياطين تغوى الإنسان بحسب ما تطمع منه فإن كان ضعيف

الإيمان أمرته بالكفر البين وإلا أمرته بما هو فسق أو معصية ، وإن كان قليل العلم أمرته بما لا يعرف أنه مخالف للكتاب والسنة ، وقد وقع فى هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذى بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة. وقد جرى لغير واحد من أصحابنا المشايخ أنه كان يستغيث بأحدهم بعض أصحابه فيرى الشيخ قد جاء فى اليقظة حتى قضى ذلك المطلوب وإنما هى شياطين تتمثل للمشركين الذين يدعون غير الله والجن بحسب الإنس والكافر للكافر والفاجر للفاجر والجاهل للجاهل . وأما أهل العلم والإيمان فاتباع الجن لهم كاتباع الإنس لهم يتبعونه فيما أمر الله به ورسوله . وكان رجل يباشر التدريس وينتسب إلى الفتيا كان يقول النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر الله عليه وأن هذا السر انتقل بعده إلى الحسن ثم انتقل فى ذرية الحسن إلى الشيخ أبى الحسن الشاذلى وقالوا هذا مقام القطب الغوث الفرد الجامع ، وكان شيخ آخر معظم عند أتباعه يدعى هذه المنزلة ويقول إنه المهدى الذى بشر به النبى صلى الله عليه وسلم وأنه يزوج عيسى ابنته وأن نواصى الملوك والأولياء بيده يولى من يشاء ويعزل من يشاء وأن الرب يناجيه دائما وأنه الذى يمد حملة العرش وحيتان البحر وقد عزرته تعزيرا بليغا فى يوم مشهود بحضرة من أهل المسجد الجامع يوم الجمعة بالقاهرة فعرفه الناس ، وانكسر بسببه أشباهه من الدجاجلة ؛ ومن هؤلاء من يقول قول الله سبحانه (إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا) إن الرسول هو الذى يسبح بكرة وأصيلا؛ ومنهم من يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم مفاتيح الغيب الخمس التى قال صلى الله عليه وسلم فيها « خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت) » وقال إنه علمها بعد أن أخبر أنه لا يعلمها إلا الله ؛ ومنهم من يقول أسقط الربوبية وقل فى الرسول ما شئت، ومنهم من يقول نحن نعبد الله ورسوله ، ومنهم من يأتى قبر الميت فيقول اغفر لى وارحمنى ولا توقفنى على زلة ، إلى أمثال هذه الأمور التى يتخذ فيها المخلوق لله . أقول وهذه سنة مأثورة وطريقة مسلوكة والله غير مهجورة وضلالة

واضحة مشهورة وبدعة مشهودة غير منكورة وأعلامها مرفوعة مشهورة وآياتها منصورة غير مكسورة وبراهينها غير محدودة ولا محصورة ودلائلها فى كثير من المصنفات والمناظيم مذكورة كما قال فى البردة وبين فى ذلك قصده :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم ... واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

ولو أطلنا بنقل هذه الأخبار لحبرنا منه أسفار، فلنكف عنان القلم اليراع فى هذا الميدان فالحكم والله لايخفى على ذى عيان بل أجلى من ضياء الشمس فى البيان ، فلما استقر هـذا فى نفوس عامتهم تجد أحدهم إذا سئل عمن ينهاهم مايقول هذا ؟ فيقول فلان عنده ما ثم إلا الله لما استقر فى نفوسهم أن يجعلوا مع الله إلها آخر وهـذا كله وأمثاله وقع ونحن بمصر وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله ويعظمون دعاء غير الله من الأموات فإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا بمن أمرهم بتوحيد الله كما أخبر الله تعالى عن المشركين بقوله (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا الآية) فاستهزءوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك وقال تعالى عن المشركين (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) وقال تعالى (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب. أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب) وما زال المشركون يسفهون الأنبياء ويصفونهم بالجنون والضلال والسفاهة كما قال قوم نوح لنوح وعاد لهود عليهما السلام (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده) فأعظم ماسفهوه لأجله وأنكروه هو التوحيد وهكذا تجد من فيه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له وأن لا يعبد الإنسان إلا الله ولا يتوكل إلا عليه استهزأ بذلك لما عنده من الشرك ، وكثير من هؤلاء يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فتجد المسجد الذى بنى للصلوات الخمس معطلا مخربا ليس له كسوة إلا من الناس وكأنه خان من الخانات ، والمشهد الذى بنى على الميت فعليه الستور وزينة الذهب والفضة والرخام والنذور تغدو وتروح إليه فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك فإنهم يعتقدون أن دعاءهم للميت الذى بنى له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله والاستغاثة به فى البيت الذى بنى لله عز وجل ففضلوا البيت الذى بنى لدعاء المخلوق على البيت الذى بنى لدعاء

الخالق، وإذا كان لهذا وقف ولهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهاة لمشركى العرب الذين ذكر الله حالهم فى قوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا الله بزعمهم الآية) كانوا يجعلون لله زرعا وماشية ولأهلهم زرعا وماشية فإذا أصيب ناصية آلهتهم أخذوا من نصيب الله فوضعوه فيه وقالوا الله غنى وآلهتنا فقيرة فيفضلون ما يجعلون لغير الله على ما يجعل لله، وهكذا حال هؤلاء فى الوقف والنذور التى تبذل عندهم للمشاهد أعظم مما يبذل عندهم للمساجد ولعمار المساجد والجهاد فى سبيل الله، وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذى يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع له ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له مثــله فى الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن فهل هــذا الأمر إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين لـكتاب الله وسنة رسوله ومثل هؤلاء إذا سمع أحدهم الأبيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء مالا يحصل له مثله عند سماع آيات الله فيخشع عند سماع المبتدعين المشركين ولا يخشع عند سماع المتقين المخلصين، بل إذا سمعوا آيات الله استثقلوها وكرهوها واستهزءوا بها، ومن يقرأ بها فيحصل له أعظم نصيب من قوله تعالى (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) وإذا سمعوا القرآن سمعوه بقلوب لاهية وألسن لاغية كأنهم صم عمى، وإذا سمعوا الأبيات حضرت قلوبهم وسكتت ألسنتهم وسكنت حركاتهم حتى لا يشرب العطشان منهم ومن هؤلاء من إذا كانوا فى سماعهم فأذن المؤذن قالوا نحن فى شىء أفضل مما دعانا إليه، ومنهم من يقول كنا فى الحضرة فإذا قمنا إلى الصلاة صرنا إلى الباب وقد سألنى بعضهم عن من قال ذلك من هؤلاء الشيوخ الضلال فقلت كذب كان فى حضرة الشيطان فصار على باب الله فإن البدع والضلال فيها من حضور الشيطان ماقد فصل فى غير هذا الموضع، والذين جعلوا دعاء الموتى من الأنبياء والأئمة والشيوخ أفضل من دعاء الله أنواع متعددة منهم من تقدم، ومنهم من يحكى أنواعا من الحكايات أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فأغاثه، وحكاية أن بعض المأسورين فى بلد العدو دعا الله فلم يخرجه ودعا بعض المشايخ الموتى فأخرجه إلى بلاد الإسلام، وحكاية أن بعض المشايخ قال لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبرى وآخر قال فتوسل إلى الله بى وآخر قال قبر فلان هو الترياق المجرب فهؤلاء وأشباههم

يرجحون هذه الأدعية على أدعية المخلصين لله مضاهاة لسائر المشركين وهؤلاء يتمثل لكثير منهم صورة شيخه الذى يدعوه فيظنه إياه أو ملكا على صورته وإنما هو شيطان أغواه ، ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لايدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه قد لهج به كما يلهج الصبى بذكر أمه فيتعس أحدهم فيقول يافلان ، وقد قال الله للمؤمنين (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق فيكون شيخه عنده وفى صدره أعظم من الله فإذا كان دعاء الموتى مثل الأنبياء والصالحين يتضمن هذا الاستهزاء بالله وآياته ورسوله فأى الفريقين أحق بالاستهزاء بالله وآياته ورسوله ، ومن كان يأمر بدعاء الله وحده لاشريك له كما أمرت رسله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته فى كل ماجاء به ، وأيضاً فإن هؤلاء الموحدين من أعظم الناس رعاية لجانب الرسول وتصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفة مابعث به والتميز بين ماروى عنه من الصحيح والضعيف والصدق والكذب وأتباع ذلك دون ماخالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون) وأما أولئك الضلال أشباه المشركين والنصارى فعمدتهم إما أحاديث ضعيفة أو موضوعات أو منقولات عن من لايحتج بقوله إما أن تكون كذبا عليه وإما أن يكون غلطا منه إذ هى نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، وإن اعتصموا بشىء مما ثبت عن الرسول حرفوا الكلم عن مواضعه وتمسكوا بمتشابهه وتركوا محكمه كما فعله النصارى ، وهذا ماعلمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود فى كلام بعض الناس مثل الشيخ يحى الصرصرى ففى شعره قطعة منه والشيخ محمد بن النعمان وكتاب المستغيثين بالنبى عليه السلام فى اليقظة والمنام وهؤلاء لهم صلاح ودين لكن ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذى يؤخذ بقولهم فى شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام وليس لهم دليل شرعى ولا نقل عن عالم مرضى بل عادة جرى عليها كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه فى الشدائد ويدعوه وكان بعض الشيوخ الذين أعرفهم ولهم صلاح وعلم وزهد إذا نزل به أمر خطا إلى جهة الشيخ عبد القادر خطوات معدودة واستغاث به ، وهذا يفعله كثير من الناس ولهذا لما نبه من نبه من فضلائهم تنبهوا وعلموا أن ما كانوا عليه ليس من دين الإسلام بل هو مشابهة لعباد الأصنام ، ونحن نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبى صلى

الله عليه وسلم لم يشرع لأمته أن يدعوا أحدا من الأموات لا الأنبياء ولا غيرهم ولا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها ، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل نعلم أنه نهى عن كل هذه الأمور ، وأن ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله لكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى تبين لهم ماجاء به الرسول مما يخالفه ولهذا مابينت هذه المسألة قط لمن يعرف دين الإسلام إلا تفطن لها وقال هذا أصل دين الإسلام ، وكان بعض أكابر الشيوخ العارفين من أصحابنا يقول هذه أعظم مابينته لنا لعلمه بأن هذا أصل الدين ، وكان هذا وأمثاله فى ناحية أخرى يدعون الأموات ويسألونهم ويستجيرون بهم ويضرعون إليهم وربما كان مايفعلونه بالأموات أعظم لأنهم إنما يقصدون الميت فى ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به أو الدعاء عند قبره بخلاف عبادتهم لله الذى دعاهم إياه فإنهم يفعلون فى كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف حتى إن العدو الخارج عن شريعة الإسلام لما قدم دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التى يرجون عندها كشف ضرهم .

قال بعض الشعراء :

يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبى عمر

وقال : عوذوا بقبر أبى عمر ينجيكمو من الضرر

فقلت لهم هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم فى القتال لانهزموا كما انهزم جماعة من المسلمين يوم أحد فإنه كان قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك والحكمة كانت لله فى ذلك ، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا فى تلك المرة لعدم القتال الشرعى الذى أمر الله به ورسوله فلما كانت بعد ذلك جعلنا نأمر الناس بإخلاص الدين لله والاستغاثة به وإنهم لا يستغيثون إلا إياه ولا يستغيثون بملك مقرب ولا نبى مرسل فلما أصلح الناس أمورهم وصدقوا فى الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصراً عزيزا لم يتقدم نظيره ولم يهزم التتار مثل هذه الهزيمة أصلا لما صح من توحيد الله وطاعة رسوله مالم يكن قبل ذلك فإن الله ينصر رسله والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما قال تعالى فى يوم بدر (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول يوم بدر : « ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث » وفى لفظ «أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك » وهؤلاء يدعون الميت أو الغائب فيقول أحدهم

بك أستجير أغثنا أجرنا ويقول أنت تعلم ذنوبى، ومنهم من يقول للميت اغفرلى وارحمنى وتب علىّ ونحو ذلك ، ومن لم يقل هذا من عقلائهم فإنه يقول أشكو إليك ذنوبى وأشكو إليك عدوى وأشكو إليك جور الولاة وظهور البدع أو جدب الزمان وغير ذلك فيشكون إليه ما حصل من ضرر فى الدين أو الدنيا ومقصوده بالشكوى أن يشكيه فيزيل ذلك الضرر ، وقد يقول مع ذلك للميت أنت تعلم مانزل بنا من الضرر وأنت تعلم مافعلته من الذنوب فيجعل الميت أوالحى الغائب عالما بذنوب العباد وجرائمهم التى يمتنع أن يعلمها بشرحىّ أو ميت وعقلاؤهم يقولون مقصودنا أن يسأل الله لنا ويشفع لنا ويظنون أنهم إذا سألوه بعد موته أن يسأل الله لهم فإنه يسأل ويشفع كما كان يسأل ويشفع النبى لما سأله الصحابة الاستسقاء وغيره ، وكأن يشفع يوم القيامة إذا سئل الشفاعة ولايعلمون أن سؤال الميت أو الغائب غير مشروع البتة، ولم يفعله أحد من الصحابة بل عدلوا عن سؤاله وطلب الدعاء منه وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء والصالحين وغيرهم لايطلب من أحدهم بعد موته من الأمور ماكان يطلب منه فى حياته . انتهى كلام الشيخ رحمه الله ملخصا،فانظر رحمك الله إلى ماذكره هذا الإمام من أنواع الشرك الأكبر الذى قد وقع فى زمانه ممن يدعى المعرفة والدين ينتصب للفتيا والقضاء ، لكن نبههم الشيخ رحمه الله على ذلك وبين لهم أن هـذا من الشرك الذى حرمه الله ورسوله فتنبه من تنبه منهم وتاب إلى الله وعرف أن ماكان عليه شرك وضلال وانقاد للحق وهذا مايبين لك غربة الإسلام فى ذلك الوقت عند كثير من الأنام وأن هـذا مصداق ماتواترت به الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم » الحديث وقوله « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ » وبهذا ينكشف لك ويتضح عندك بطلان ماعليه كثير من أهل هذا الزمان من أنواع الشرك والبدع والحدثان فلاتغتر بما هم عليه ، وهذه هى البلية العظيمة والخصلة القبيحة الذميمة وهى الاغترار بالآباء والأجداد وما استمر عليه عمل كثير من أهل البلاد ، وتلك هى الحجة التى انتحلها أهل الشرك والكفر والعناد كما حكى الله تعالى ذلك عنهم فى محكم التنزيل من غير شك ولا تأويل حيث قال تعالى وهو أصدق القائلين حكاية عن فرعون اللعين أنه قال لموسى وأخيه هارون المكرمين (فما بال القرون الأولى) فأجابه عليه السلام بقوله (علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا

ينسى) فمن امتطى كاهل الصدق والوفاء وسلم من التعصب والعناد والجفاء وتوسط في لاحب المحجة وقنع في قبول الحق بالحجة وكان ذلك طريقه ونهجه ، وأشرق في صدره مصباح القبول وأوقد فيه بزيت المعرفة لمولاه والوصول ، وكان من ضوء التوحيد على وصول ، عرف صدق ما انتهجه شيخ الإسلام وما أوضحه من سبل السلام وما رفعه لكافة الأنام من رفيع الأعلام وما نشره من مطوى نافع العلوم وما كشفه من صحيح المنطوق والمفهوم ، ولكن لما أماط عن محيا الحق كثيف النقاب فأشرق لمنور القلب ضوء الصواب لم ترض له أفهام أولى الألباب ولم ترض في الدليل بقواطع السنة والكتاب بل لج أهل الزيغ في الضلال والارتياب ودخلوا في التعصب لما كانوا عليه من كل باب حين قام بدعوة رب الأرباب الشيخ الإمام القدوة محمد ابن عبدالوهاب وأتوا في مصادمته بحجج واهية النسج بعيدة عن الحق والنهج يقضى بفسادها وبيان عنادها وغلوها في مرادها كل من لم يتورك سنام الاعتساف ولم يقعد على منصة العصبية والإجناف ، ولم يدّرع بقميص السرف والإسراف وراقب في ذلك مولاه وخاف وماداهن في ذلك ولا حاف ولكن هذه القدوة كلما أعلن بهذه الدعوة لم يبال بما ريش له من النبال وما حدد له من النصال وما أوقع في عرضه من القيل والقال ولله در المتنبي حيث قال :

لايسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

[الفائدة الثالثة] قال ابن القيم رحمه الله في الإغاثة قال صلى الله عليه وسلم « لاتتخذوا قبرى عيدا » وقال « اللهم لاتجعل قبرى وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي اتخاذها عيدا من المفاسد مايغضب لأجله من في قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد * ولكن ما لجرح بميت إيلام * منها الصلاة اليها والطواف بها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها وعبادة أصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم ، وكل من شم أدنى رائحة من العلم يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك وأنه صلى الله عليه وسلم أعلم بعاقبة مانهى عنه وما يئول عليه ، وإذا لعن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها فكيف بملازمتها واعتياد قصدها وعبادتها ؟ ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما عليه أصحابه وبين

ماعليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضادا للآخر فنهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون عليها المساجد ونهى عن تسريجها وهؤلاء يوقفون عليها الوقوف على إيقاد القناديل ونهى عن أن يتخذ عيدا وهؤلاء يتخذونها أعيادا ونهى عن تشريفها وأمر بتسويتها كما فى صحيح مسلم عن على رضى الله عنه وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه كما فى صحيح مسلم عن جابر ، ونهى عن الكتابة عليها كما رواه أبوداود عن جابر وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن ويزيدون على ترابها بالجص والآجر والأحجار وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا ووضعوا لها مناسك حتى صنف بعضهم فى ذلك كتابا سماه مناسك حج المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول فى دين عباد الأصنام. فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ماشرعه الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته وبين ماشرعه هؤلاء ، والنبى صلى الله عليه وسلم أمر بزيارة القبور لأنها تذكر الآخرة وأمر الزائر أن يدعو لأهل القبور ونهاه أن يقول هجرا ، فهذه الزيارة التى أذن فيها لأمته وعلمهم إياها هل تجد فيها شيئا مما يعتمده أهل الشرك والبدع أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه ، وما أحسن ماقال الإمام مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ماأصلح أولها ، ولكن كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بماأحدثوه من البدع والشرك ، ولقد جرد السلف الصالح التوحيد وحموا جانبه حتى كان أحدهم إذا سلم على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أراد الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر ثم دعا ، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة أن يستقبل القبلة للدعاء حتى لايدعوا عند القبر فإن الدعاء عبادة .

وبالجملة فإن الميت قد انقطع عمله فهو محتاج إلى من يدعوله ولهذا شرع فى الصلاة عليه من الدعاء مالم يشرع مثله للحى ومقصود الصلاة على الميت الاستغفار له والدعاء له وكذلك الزيارة مقصودها الدعاء للميت والإحسان إليه وتذكير الآخرة ، فبدل أهل البدع والشرك قولا غير الذى قيل لهم فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه والشفاعة له بالاستشفاع به والزيارة التى شرعت إحسانا إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت والإقسام به على الله وتخصيص تلك البقعة بالدعاء الذى هو محض العبادة وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه فى المساجد ثم ذكر حديث ذات أنواط ثم قال فإذا كان اتخاذ الشجرة لتعليق الأسلحة والعكوف حولها اتخادا له مع الله وهم لايعبدونها

ولا يسألونها فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به ؟ وأى نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم فى هـذا الباب وغيره علم أن بين السلف وبينهم أبعد مما بين المشرق والمغرب ، والأمر والله أعظم مما ذكرناه وعمى الصحابة قبر دانيال بأمر عمر رضى الله عنه ولما بلغه أن الناس ينتابون الشجرة التى بويع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها أرسل إليها وقطعها قال عيسى بن يونس هو عندنا من حديث بن عون عن نافع فإذا كان هذا فعله فى الشجرة التى ذكرها الله فى القرآن وبايع تحتها الصحابة رضى الله عنهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم فماذا حكمه فيما عداها ؟ وأبلغ من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هدم مسجد الضرار ففيه دليل على هدم المساجد التى هى أعظم فسادا منه كالمبنية على القبور ، وكذلك قبابها فتجب المبادرة إلى هدم مالعن رسول الله صلى الله عليـه وسلم فاعله والله يقيم لدينه من ينصره ويذب عنه ، وكان بدمشق كثير من هذه الأنصاب فيسر الله سبحانه كسرها على يد شيخ الإسلام وحزب الله الموحدين وكانوا يقولون العامة للشىء منها أنه يقبل النذر أى يقبل العبادة من دون الله فإن النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنذور ، ولقد أنـكر السلف التمسح بحجر المقام الذى أمر الله أن يتخذ منه مصلى قال قتادة فى الآية إنما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه ، ولقد تكلفت هذه الأمة شيئا ماتكلفته الأمم قبلها. ذكر لنا من رأى أثر أصابعه فما زالت هـذه الأمة تمسحه حتى اخلولق وأعظم الفتنة بهذه الأنصاب فتنة أصحاب القبور وهى أصل فتنة عباد الأصنام كما ذكر الله فى سورة نوح فى قوله تعالى (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولاسواعا الآية) ذكر السلف فى تفسيرها أن هؤلاء أسماء رجال صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم وتعظيم الصالحين إنما هو باتباع مادعوا إليه دون اتخاذ قبورهم أعياداً وأوثانا فأعرضوا عن المشروع واشتغلوا بالبدع ومن أصغى إلى كلام الله وتفهمه أغناه عن البدع والآراء ، ومن بعد عنه فلابد أن يتعوض بما لاينفعه كما أن من عمر قلبه بمحبة الله وخشيته والتوكل عليه أغناه عن محبة غيره وخشيته والتوكل عليه فالمعرض عن التوحيد مشرك شاء أم أبى ، والمعرض عن اتباع السنة مبتدع شاء أم أبى ، والمعرض عن محبة الله عبد الصور شاء أم أبى ، وهذه الأمور

المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير وهؤلاء من جنس عباد الأصنام ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان فى صورة الميت كما يتمثل لعباد الأصنام، وكذلك السجود للقبر وتقبيله والتمسح به . النوع الثانى أن يسأل الله به وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة اجماعا . النوع الثالث أن يظن أن الدعاء عنده مستجاب وأنه أفضل من الدعاء فى المسجد فيقصد القبر لذلك فهذا أيضا من المنكرات إجماعاً وما علمت فيه نزاعا بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعله.

وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم وعبادتها فى الأرض من قبل نوح وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة فى عبادتها طبق الأرض . قال إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام «واجنبنى وبنىّ أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس » وكفى فى معرفة أنهم أكثر أهل الأرض بما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون ، وقد قال تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) وقال (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) ولولم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها وهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبا لها وتعظيما ويوصى بعضهم بعضا بالصبر عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى ملخصا . وسيأتى بقية لكلام الشيخ ابن القيم فى رسائل الشيخ الآتية إن شاء الله فى مواضع من رسائله رحمه الله متفرقة كما ذكره فى الرسالة التى كتبها حين ارتد أهل حريملا وكذلك ذكره فى رسالته لعبد الله بن سحيم فى الرد على عدو الله سليمان بن سحيم مطوع الرياض؛ وقال العماد بن كثير فى تاريخه وفى سنة من السنين كان للناس شجرة يعظمونها ويربطون عليها الخرق ويخرجون إليها فى يوم من السنة قال لم يشعر الناس إلا والشيخ تقى الدين بن تيمية تحزم وأخذ هو وجماعته الفؤوس وخرج إليها فقطعها قال فوقع الإنكار من العامة عليه بسبب ذلك فرحمه الله ورضى عنه على ماصنع فإن ذلك ربما يفضى إلى الشرك، وطائفة من الكفار يعبدون الشجر. وقد ذكر ابن هشام فى السيرة وغيره أن أهل نجران قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم كانوا يعبدون نخلة طويلة لها عيد فى السنة إذا كان يوم ذلك العيد خرجوا

إلها وألبسوها الحلى وغيره ويعكفون عليها ، وأخبرنى بعض أصحابنا أن ببلاد الهند طائفة يعبدون الشجر يعكفون عليها ويصلحونها ويلبسونها انتهى كلامه رحمه الله .

الفصل الثالث

فى سرد بعض رسائل أرسلها إلى بعض البلدان ، وإلى بعض خواص الاخوان يدعوهم بالقول السديد إلى تجريد التوحيد فمنها الرسالة التى أرسلها إلى أهل الأحسا حين كتبوا الرسائل إلى أهل نجد بالانكار عليه والتشنيع ، ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل سدير والوشم والقصيم قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته خصوصاً محمد بن عبيد وعبد القادر العديلى وابنه وعبد الله بن سحيم وعبد الله بن عضيب وحميدان بن تركى وعلى بن زامل ومحمد أبى الخيل وصالح بن عبد الله ، أما بعد فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فترة من الرسل فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكبره، وزبدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهى عن الشرك وهو أن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم ، فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له ولا يدعى لكشف الضر إلا هو ولا لجلب الخير إلا هو ولا ينذر إلا له ولا يحلف إلا به ولا يذبح إلا له وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له ، وهذا معنى قول لا إله إلا الله فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه وهذا أمر هين عند من لا يعرفه كبير عظيم عند من عرفه ، فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله وأخرجه فى قالب حب الصالحين وتعظيمهم .

والكلام فى هذا ينبنى على قاعدتين عظيمتين .

[الأولى] أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين إبراهيم الخليل وأنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر إلا الله وحده لا شريك له كما قال تعالى « قل من يرزقكم من السماء والأرض الآية » فإذا عرفت أن الكفار يشهدون بهذا كله فاعرف .

[القاعدة الثانية] وهى أنهم يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم وكل من ينتسب إلى شيء من هؤلاء سماه إلهاً ولا يعنى بذلك أنه يخلق أو يرزق بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى والاله فى لغتهم هو الذى يسمى فى لغتنا الذى فيه سر والذين يسمونه الفقراء شيخهم يعنون بذلك أنه يدعى وينفع ويضر إلا أنهم مقرون لله بالتفرد بالخلق والرزق وليس ذلك معنى الإله بل الإله المقصود المدعو المرجو، لكن المشركون فى زماننا أضل من الكفار الذين فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين: أحدها أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة فى الرخاء، وأما فى الشدائد فيخلصون لله الدين كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه الآية) . والثانى أن مشركى زماننا يدعون أناساً لا يوازنون عيسى والملائكة . إذا عرفتم هذا أفلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر عبادة الأصنام هذا يأتى إلى قبر نبى ، وهذا إلى قبر صحابى كالزبير وطلحة ، وهذا إلى قبر رجل صالح وهذا يدعوه فى الضراء وفى غيبته وهذا ينذر له وهذا يذبح للجن وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة ، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك عبادة الأصنام الذى يخرج الرجل من الإسلام ، وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع حتى إن كثيرا ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة فما بالكم لم تفشوه فى الناس وتبينوا لهم أن هذا كفر بالله مخرج عن الإسلام أرأيتم لو أن بعض الناس أو أهل بلدة تزوجوا أخواتهم أو عماتهم جهلا منهم أفيحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتركه لا يعلمهم أن الله حرم الأخوات والعمات ، فإن كنتم تعتذرون أن نكاحهم أعظم مما يفعله الناس اليوم عند قبور الأولياء والصحابة ، وفى غيبتهم عنها فاعلموا أنكم لم تعرفوا دين الإسلام ولا شهادة أن لا إله إلا الله ودليل هذا مما تقدم من الآيات التى بينها الله فى كتابه ، وإن عرفتم ذلك فكيف يحل لكم كتمان ذلك والإعراض عنه ، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فإن كان الاستدلال بالقرآن عندكم هزؤا وجهلا كما هى عادتكم ولا تقبلونه فانظروا فى الإقناع فى باب حكم المرتد وما ذكر فيه من الأمور الهائلة التى ذكر أن الإنسان إذا فعلها فقد ارتد وحل دمه مثل الاعتقاد فى الأنبياء والصالحين وجعلهم وسائط بينه وبين الله ومثل الطيران فى الهواء والمشى فى الماء فإذا كان من

فعل هذه الأمور منكم مثل السائح الأعرج ونحوه تعتقدون صلاحه وولايته ، وقد صرّح فى الاقناع بكفره . واعلموا أنكم لم تعرفوا معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، فإن بان لكم فى كلامى هذا شىء من الغلو من أن هذه الأفاعيل لو كانت حرام فلا تخرج من الإسلام وإن فعل أهل زماننا فى الشدائد فى البر والبحر وعند قبور الأنبياء والصالحين ليست من هذه بينوا لنا الصواب وأرشدونا إليه؟ وإن تبين لكم أن هذا هو الحق الذى لاريب فيه وأن الواجب إشاعته فى الناس وتعليمه النساء والرجال فرحم الله من أدى الواجب عليه وتاب إلى الله وأقر على نفسه فإن التائب من الذنب كمن لاذنب له وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى والسلام .

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سحيم مطوع المجمعة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم حفظه الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد ، فقد وصل كتابك تطلب شيئا من معنى كتاب المويس الذى أرسل لأهل الوشم وأنا أجيبك عن الكتاب جملة فإن كان الصواب فيه فنبهنى وارجع إلى الحق وإن كان الأمر كما ذكرت لك من غير مجازفة بل أنا مقتصر فالواجب على المؤمن أن يدور مع الحق حيث دار وذلك أن كتابه مشتمل على الكلام فى ثلاثة أنواع من العلوم : الأول علم الأسماء والصفات الذى يسمى علم أصول الدين ويسمى أيضا العقائد . والثانى الكلام على التوحيد والشرك . والثالث الاقتداء بأهل العلم واتباع الأدلة وترك ذلك . أما الأول فإنه أنكر على أهل الوشم إنكارهم على من قال ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض ، وهذا الإنكار جمع فيه بين اثنتين : إحداهما أنه لم يفهم كلام بن عيدان وصاحبه ، الثانية أنه لم يفهم صورة المسألة وذلك أن مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف أنهم لايتكلمون فى هذا النوع إلا بما يتكلم الله به ورسوله فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله أثبتوه مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجىء وغير ذلك وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه ورسوله نفوه مثل المثل والند والسمىّ وغير ذلك . وأما مالايوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه مثل الجوهر والجسم والعرض والجهة وغير ذلك لايثبتونه ولا ينفونه فمن نفاه مثل صاحب الخطبة التى أنكرها ابن عيدان وصاحبه فهو عند أحمد والسلف مبتدع ومن أثبته مثل هشام ابن الحكم وغيرهم فهو عندهم مبتدع ، والواجب عندهم السكوت عن هذا النوع

اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. هذا معنى كلام الإمام أحمد الذى فى رسالة المويس أنه قال لا أرى الكلام إلا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن العجب استدلاله بكلام الإمام أحمد على ضده ، ومثاله فى ذلك كمثل حنفى يقول الماء الكثير ولو بلغ قلتين ينجس بمجرد الملاقاة من غير تغير فإذا سئل عن الدليل قال قوله صلى الله عليه وسلم « الماء طهور لاينجسه شيء » فيستدل بدليل خصمه فهل يقول هذا من يفهم ما يقول ، وأنا أذكر لك كلام الحنابلة فى هذه المسألة قال الشيخ تقى الدين بعد كلام له على من قال إنه ليس بجوهر ولا عرض كـكلام صاحب الخطبة قال رحمه الله فهذه الألفاظ لا يطلق إثباتها ولا نفيها كلفظ الجوهر والجسم والتحيز والجهـة ونحو ذلك من الألفاظ ، ولهذا لمـا سئل ابن سريج عن التوحيـد فذكر توحيد المسلمين قال : وأما توحيد أهل الباطل فهو الخوض فى الجواهر والأعراض وإنما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بإنكار ذلك، وكلام السلف والأئمة فى ذم الكلام وأهله مبسوط فى غير هذا الموضع ، والمقصود أن الأئمة كأحمد وغيره لما ذكر لهم أهل البـدع الألفاظ المجملة كلفظ الجسم والجوهر والحـيز لم يوافقوهم لا على إطلاق الإثبات ولا على إطلاق النفى انتهى كلام الشيخ تقى الدين . إذا تدبرت هذا عرفت أن إنكار ابن عيدان وصاحبه على الخطيب الكلام فى هذا هو عين الصواب وقد اتبعا فى ذلك إمامهما أحمد بن حنبل وغيره فى إنكارهم ذلك على المبتدعة ففهم صاحبكم أنهما يريدان إثبات ضد ذلك وأن الله جسم وكذا وكذا ، تعالى الله عن ذلك ، وظن أيضاً أن عقيدة أهل السنة هى نفى أنه لا جسم ولا جوهر ولا كذا ولا كذا ، وقد تبين لـكم الصواب أن عقيدة أهل السنة هى السكوت من أثبت بدّعوه ومن نفى بدّعوه فالذى يقول ليس بجسم ولا ولا هم الجهمية والمعتزلة ، والذين يثبتون ذلك هو هشام وأصحابه والسلف بريئون من الجميع من أثبت بدّعوه ومن نفى بدّعوه فالمويس لم يفهم كلام الأحياء ولا كلام الأموات وجعل النفى الذى هو مذهب الجهمية والمعتزلة مذهب السلف ، وظن أن من أنـكر النفى أنه يريد الإثبات كهشام وأتباعه ولـكن أعجب من ذلك استدلاله على ما فهم بكلام أحمد المتقدم ومن كلام أبى الوفا بن عقيل قال أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ما عرفا الجوهر والعرض فإن رأيت أن طريقة أبى على الجبائى وأبى هاشم خير لك من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت انتهى ، وصاحبكم يدعى أن الرجل لا يكون من أهل السنة حتى

يتبع أبا على وأبا هاشم بنفى الجوهر والعرض ، فإن أنكر الكلام فيهما مثل أبى بكر وعمر فهو عنده على مذهب هشام الرافضى فظهر بما قررناه أن الخطيب الذى يتكلم بنفى العرض والجوهر أخذه من مذهب الجهمية والمعتزلة ، وأن ابن عيدان وصاحبه أنكرا ذلك مثل ما أنكره أحمد والعلماء كلهم على أهل البدع ، وقوله فى الكتاب ومذهب أهل السنة إثبات من غير تعطيل ولا تجسيم ولا كيف ولا أين إلى آخره وهذا من أبين الأدلة على أنه لم يفهم عقيدة الحنابلة ولم يميز بينها وبين عقيدة المبتدعة وذلك أن إنكار الأين من عقائد أهل الباطل وأهل السنة يثبتونه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى الصحيح أنه قال للجارية أين الله ؟ فزعم هذا الرجل أن إثباتها مذهب المبتدعة وأن إنكارها مذهب أهل السنة كما قيل وعكسه بعكسه وأما الجسم فتقدم الكلام أن أهل الحق لا يثبتونه ولا ينفونه فغلط عليهم فى اثباته وأما التعطيل والكيف فصدق فى ذلك فجمع لكم أربعة ألفاظ نصفها حق من عقيدة الحق ونصفها باطل من عقيدة الباطل وساقها مساقا واحدا وزعم أنه مذهب أهل السنة فجهل وتناقض . وقوله أيضا ويثبتون ماأثبته الرسول صلى الله عليه وسلم من السمع والبصر والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام إلى آخره ، وهذا أيضا من أعجب جهله وذلك أن هذا مذهب طائفة من المبتدعة يثبتون الصفات السبع وينفون ما عداها ولو كان فى كتاب الله ويؤولونه . وأما أهل السنة فكل ماجاء عن الله ورسوله أثبتوه وذلك صفات كثيرة لكن أظنه نقل هذا من كلام المبتدعة وهو لا يميز بين كلام أهل الحق من كلام أهل الباطل إذا تقرر هذا فقد ثبت خطؤه من وجوه : الأول أنه لم يفهم الرسالة التى بعثت إليه الثانى أنه بهت أهلها بإثبات الجسم وغيره الثالث أنه نسبهم إلى الرافضة ، ومعلوم أن الرافضة من أبعد الناس عن هذا المذهب وأهله الرابع أنه نسب من أنكر هذه الألفاظ إلى الرفض والتجسيم ، وقد تبين أن الإمام أحمد وجميع السلف ينكرونه فلازم كلامه أن مذهب الإمام أحمد وجميع السلف مجسمة على مذهب الرفض الخامس أنه نسب كلامهما إلى الفرية الجسمية فجعل عقيدة إمامه وأهل السنة فرية جسمية السادس أنه زعم أن البدع اشتعلت فى عصر الإمام أحمد ثم ماتت حتى أحياها أهل الوشم فمفهوم كلامه بل صريحه أن عصر الإمام أحمد وأمثاله عصر البدع والضلال وعصر ابن إسماعيل عصر السنة والحق السابع أنه نسبهما إلى

التعطيل ، والتعطيل انما هو جحد الصفات الثامن بهتهما أنهما نسبا من قبلهما من العلماء إلى التعطيل لكونهما أنكرا على خطيب من المبتدعة وهذا من البهتان الظاهر التاسع أنه نسبهما إلى وارثة هشام الرافضى العاشر أن المسلم أخو المسلم فإذا أخطأ أخوه نصحه سرا وبين له الصواب فإذا عاند أمكنه المجاهرة بالعداوة وهذا لمراسلاته صنف عليها ما علمت وأرسله إلى البلدان اعرفونى اعرفونى تراى جاى من الشام . وأما التناقض وكون كلامه يكذب بعضه بعضاً فمن وجوه منها أنه نسبهما تارة إلى التجسيم وتارة إلى التعطيل ، ومعلوم أن التعطيل ضد التجسيم ، وأهل هذا أعداء لأهل هذا والحق وسط بينهما ، ومنها أنه نسبهما إلى الجهمية وإلى المجسمة والجهمية والمجسمة بينهما من التناقض والتباعد كما بين السواد والبياض وأهل السنة وسط بينهما ومنها أنه يقول مذهب أهل الحق إثبات الصفات ثم يقول ولا أين ولا ولا وهذا تناقض ، ومنها أنه يقول ما أثبته الله ورسوله أثبت ثم يخص ذلك بالصفات السبع فهذا عين التناقض فعقيدته التى نسب لأهل السنة جمعها من نحو أربع فرق من المبتدعة يناقض بعضهم بعضا ويسب بعضهم بعضا ولو فهمت حقيقة هذه العقيدة لجعلتها ضحكة ، ومنها أنه يذكر عن أحمد أن الكلام فى هذه الأشياء مذموم إلا ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعيهم ثم ينقل لكم إثبات كلام المبتدعة ونفيهم ويتكلم بهذه العقيدة المعكوسة ويزعم أنها عقيدة أهل الحق هذا ما تيسر كتابته عجلا على السراج فى الليل والمأمول فيك أنك تنظر فيها بعين البصيرة وتتأمل هذا الأمر واعرض هذا عليه واطلب منه الجواب عن كل كلمة من هذا فإن أجابك بشىء فاكتبه وإن عرفته باطلا وإلا فراجعنى فيه أبينه لك ولا تستحقر هذا الأمر فإن حرصت عليه جدا عرفك عقيدة الإمام أحمد وأهل السنة وعقيدة المبتدعة وصارت هذه الواقعة أنفع لك من القراءة فى علم العقائد شهرين أو ثلاثة بسبب الخطأ والاختلاف مما يوضح الحق ويبين لخبائه . وأما النوع الثانى فهو الكلام فى الشرك والتوحيد وهو المصيبة العظمى والداهية الصما والكلام على هذا النوع والرد على هذا الجاهل يحتمل مجلدا وكلامه فيه كما قال ابن القيم إذا قرأ المؤمن تارة يبكى وتارة يضحك ولكن أنبهك منه على كلمتين : الأولى قوله إنهما نسبا من قبلهما إلى الخروج من الإسلام والشرك الأكبر أفيظن أن قوم موسى لما قالوا اجعل لنا إلها خرجوا من الإسلام أفيظن أن أصحاب رسول

الله صلى الله عليه وسلم لما قالوا اجعل لنا ذات أنواط فخلف لهم أن هذا مثل قول موسى اجعل لنا إلها أنهم خرجوا من الإسلام أيظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعهم يحلفون بآبائهم فنهاهم وقال « من حلف بغير الله فقد أشرك » أنهم خرجوا من الإسلام إلى غير ذلك من الأدلة التي لاتحصر فلم يفرق بين الشرك المخرج عن الملة من غيره ولم يفرق بين الجاهل والمعاند. والكلمة الثانية قوله إن المشرك لايقول لا إله إلا الله ، فياعجبا من رجل يدعى العلم وجاى من الشام بحمل كتب فلم تكلم؟ إذا إنه لايعرف الإسلام من الكفر ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق وبين مسيلمة الكذاب ، أما علم أن مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ويصلى ويصوم ، أما علم أن غلاة الرافضة الذين حرقهم علىّ يقولونها وكذلك الذين يقذفون عائشة ويكذبون القرآن ، وكذلك الذين يزعمون أن جبريل غلط وغير هؤلاء ممن أجمع أهل العلم على كفرهم منهم من ينتسب إلى الإسلام ، ومنهم من لا ينتسب إليه كاليهود وكلهم يقولون لا إله إلا الله وهذا بين عند من له أقل معرفة بالإسلام من أن يحتاج إلى تبيان ، وإذا كان المشركون لا يقولونها فما معنى باب حكم المرتد الذى ذكر الفقهاء من كل مذهب ؟ هل الذين ذكروهم الفقهاء وجعلوهم مرتدين لايقولونها هذا الذى ذكر أهل العلم أنهم أكفر من اليهود والنصارى ، وقال بعضهم من شك فى كفر اتباعه فهو كافر وذكرهم فى الإقناع فى باب حكم المرتد وإمامهم ابن عربى أيظنهم لايقولون لاإله إلا الله لكن هوآت من الشام وهم يعبدون ابن عربى جاعلين على قبره صنما يعبدونه واست أعنى أهل الشام كلهم حاشا وكلا بل لا تزال طائفة على الحق ، وإن قلت واغتربت لكن العجب العجاب استدلاله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى قول لاإله إلا الله ، ولم يطالبهم بمعناها وكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحوا بلاد الأعاجم وقنعوا منهم بلفظها إلى آخر كلامه فهل يقول هذا من يتصور مايقول فنقول أولاهو الذى نقض كلامه وكذبه بقوله دعاهم إلى ترك عبادة الأوثان فإذا كان لم يقنع منهم إلا بترك عبادة الأوثان تبين أن النطق بها لا ينفع إلا بالعمل بمقتضاها وهو ترك الشرك وهذا هو المطلوب ونحن إذا نهينا عن الأوثان المجعولة على قبر الزبير وطلحة وغيرهما فى الشام أو فى غيره فإن قلتم ليس هذا من الأوثان وإن دعاء أهل القبور والاستغاثة بهم فى الشدائد ليست من الشرك مع كون

المشركين الذين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلصون لله فى الشدائد ولا يدعون أوثانهم فهذا كفر وبيننا وبينكم كلام العلماء من الأولين والآخرين الحنابلة وغيرهم وإن أقررتم أن ذلك كفر وشرك وتبين أن قول لا إله الا الله لا ينفع الا مع ترك الشرك ، وهذا هو المطلوب وهو الذى نقول وهو الذى أكثرتم النكير فيه وزعمتم أنه لايخرج إلا من خراسان ، وهذا القول كما فى أمثال العامة لاوجه سميح ولا بنت رجال ، لا أقول صوابا إلا خطأ ظاهرا وسبا لدين الله ولا هو أيضا قول باطل يصدق بعضه بعضاً بل مع كونه خطأ فهو متناقض يكذب بعضه بعضاً لا يصدر إلا ممن هو أجهل الناس . وأما دعواه أن الصحابة لم يطلبوا من الأعاجم إلا مجرد هذه الكلمة ولم يعرفوهم بمعناها فهذا قول من لايفرق بين دين المرسلين ودين المنافقين الذين هم فى الدرك الأسفل من النار فإن المؤمنين يقولونها والمنافقين يقولونها لكن المؤمنين يقولونها مع معرفة قلوبهم بمعناها ، وعمل جوارحهم بمقتضاها والمنافقون يقولونها من غير فهم لمعناها ولا عمل بمقتضاها فمن أعظم المصائب وأكبر الجهل من لا يعرف الفرق بين الصحابة والمنافقين لكن هذا لا يعرف النفاق ولا يظنه فى أهل زماننا بل يظنه فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأما زمانه فصلح بعد ذلك واذا كان زمانه وبلدانه ينزهون عن البدع ومخرجها من خراسان فكيف بالشرك والنفاق ؟ وياويح هذا القائل ما أجرأه على الله وما أجهله بقدر الصحابة وعلمهم حيث ظن أنهم لا يعلمون الناس لا إله الا الله . أما علم هذا الجاهل أنهم يستدلون بها على مسائل الفقه فضلا عن مسائل الشرك فى الصحيحين أن عمر رضى الله عنه لما أشكل عليه قتال مانعى الزكاة لأجل قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » قال أبو بكر فإن الزكاة من حقها فإذا كان منع الزكاة من منع حق لا إله إلا الله فكيف بعبادة القبور والذبح للجن ودعاء الأولياء وغيرهم مما هو دين المشركين . وصرح الشيخ تقى الدين فى اقتضاء الصراط المستقيم بأن من ذبح للجن فالذبيحة حرام من جهتين من جهة أنها مما أهل لغير الله به ومن جهة أنها ذبيحة مرتد فهى كخنزير مات من غير ذكاة ويقول ولو سمى الله عند ذبحها إذا كانت نيته ذبحها للجن ورد على من قال إنه إن ذكر اسم الله حل الأكل منها مع التحريم ، وأما ما سألت عنه من قوله اللهم صل على محمد الى آخره فهذه المحامل التى ذكر غير بعيدة لو كان

الإنكار على الرجل الميت الذى صنفها والإنكار إنما هو على الخطباء والعامة الذين يسمعون فإن كان يزعم أن عامة أهل هذه القرى كل رجل منهم يفهم هذا التأويل فهذا مكابرة وإن كان يعرف أنهم ماقصدوا إلا المعانى التى لاتصلح إلا لله لم يمنع من الإنكار عليهم وتبين أنه شرك كون الذى قالها أولا قصد معنى صحيحا كما لو أن رجلا من أهل العلم كتب إلى عامة أن نكاح الأخوات حلال ففهموا منه ظاهره وجعلوا يتزوجون أخواتهم خاصتهم وعامتهم لم يمنع من الإنكار عليهم وتبين أن الله حرم نكاح الأخوات كون القائل أراد الأخوات فى الدين كما قال إبراهيم عليه السلام لسارة هى أختى وهذا واضح بحمد الله ولكن من انفتح له تحريف الكلم عن مواضعه انفتح له باب طويل عريض ، وأما النوع الثالث وهو الكلام على التقليد والاستدلال فكلامه فيه من أبطل الباطل وأظهر الكذب وهو أيضا كلام جاهل ينقض بعضه بعضا ونحن ما أردنا المعنى الذى ذكروا والكلام على هذا طويل ولكن أنا كتبت له كلاما فى هذا مع رسالة طويلة فاطلبه وراجعه وتأمله وتكلم لله فى سبيل الله بما يرضى الله ورسوله واحذر من فتنة (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فمن نجا منها فقد نجا من شرك كثير ولا تغفل عن قوله فى خطبة شرح الاقناع من عثر على شىء مما طغى به القلم إلى آخره ، وقوله فى آخرها اعلم رحمك الله أن الترجيح إذا اختلفت بين الأصحاب إلى آخره وإن طمعت بالزيارة والمذاكرة من الرأس لعلك أيضا تحقق علم العقائد وتميز بين حقه من باطله وتعرف أيضا علوم الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت فتراى أشير وألزم فإن رأيت أمر الله ورسوله فهو المطلوب وإلا فقد وهبك الله من الفهم ما تميز به بين الحق والباطل إن شاء الله تعالى ، وهذا الكتاب لا تكتمه عن صاحب الكتاب بل اعرضه عليه فإن تاب وأقر ورجع إلى الله فعسى ، وإن زعم أن له حجة ولو فى كلمة واحدة أو أن فى كلامى مجازفة فاطلب الدليل فإن أشكل شىء عليك فراجعنى فيه حتى تعرف كلامى وكلامه ، نسأل الله أن يهدينا وإياك والمسلمين إلى ما يحبه ويرضاه ، وأنت لا تلمنى على هذا الكلام ترانى استدعيته أولا بالملاطفة وصبرت منه على أشياء عظيمة ، والآن أشرفت منه على أمور ما ظننتها لا فى عقله ولا فى دينه : منها أنه كاتب إلى أهل الحساء يعاونهم على سب دين الله ورسوله ، ومنها رسالة كتبها إلى محمد بن عباد مطوع ثرمدا وكان قد أرسل إليه

كتابا فيه كلام حسن فى تقرير التوحيد وغيره وطلب من الشيخ رحمه الله أن يبين له إن كان فيه شيء يخفاه فكتب له رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخ محمد بن عباد وفقه الله لما يحبه ويرضاه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد وصلنا أوراق فى التوحيد فيها كلام من أحسن الكلام وفقك الله للصواب وتذكر فيه أن ودّك نبين لك إن كان فيها شيء غاترك فاعلم أرشدك الله أن فيها مسائل غلط الأولى: قولك أول واجب على كل ذكر وأنثى النظر فى الوجود ثم معرفة العقيدة ثم علم التوحيد، وهذا خطأ وهو من علم الكلام الذى أجمع السلف على ذمه وإنما الذى أتت به الرسل أول واجب هو التوحيد ليس النظر فى الوجود ولا معرفة العقيدة كما ذكرته أنت فى الأوراق أن كل نبي يقول لقومه: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. الثانية قولك فى الإيمان بالله وملائكته إلى آخره والإيمان هو التصديق الجازم بما أتى به الرسول فليس كذلك، وأبو طالب عمه جازم بصدقه والذين يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والذين يقولون الإيمان هو التصديق الجازم هم الجهمية، وقد اشتد نكير السلف عليهم فى هذه المسألة. الثالثة قولك إذا قيل للعامى ونحوه ما الدليل على أن الله ربك ثم ذكرت ما الدليل على اختصاص العبادة بالله وذكرت الدليل على توحيد الألوهية فاعلم أن الربوبية والألوهية يجتمعان ويفترقان كما فى قوله (أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) وكما يقال رب العالمين وإله المرسلين وعند الإفراد يجتمعان كما فى قول القائل من ربك مثاله الفقير والمسكين نوعان فى قوله (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) ونوع واحد فى قوله « افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم » إذا ثبت هذا فقول الملكين للرجل فى القبر من ربك معناه من إلهك لأن الربوبية التى أقرّ بها المشركون مايمتحن أحد بها، وكذلك قوله (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) وقوله (قل أغير الله أبغى ربا) وقوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فالربوبية فى هذا هى الألوهية ليست قسيمة لها كما تكون قسيمة لها عند الاقتران فينبغى التفطن لهذه المسألة. الرابعة قولك فى الدليل على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودليله الكتاب والسنة ثم ذكر الآيات، كلام من لم يفهم المسألة لأن المنكر للنبوة أو الشاك فيها اذا استدللت عليه بالكتاب والسنة يقول كيف تستدل علىّ بشيء ما أتى به الا هو والصواب فى المسألة أن تستدل عليه

بالتحدى بأقصر سورة من القرآن أو شهادة علماء أهل الكتاب كما فى قوله (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل) أو لكونهم يعرفونه قبل أن يخرج كما فى قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) الآية إلى غير ذلك من الآيات التى تفيد الحصر وتقطع الخصم . الخامسة قولك اعلم يا أخى لاعلمت مكروها فاعلم أن هـذه كلمة تضاد التوحيد وذلك أن التوحيد لايعرفه إلا من عرف الجاهلية والجاهلية هى المكروه فمن لم يعلم المكروه لم يعلم الحق فمعنى هذه الكلمة اعلم لاعلمت خيراً ، ومن لم يعلم المكروه ليجتنبه لم يعلم المحبوب . .

وبالجملة فهى كلمة عامية جاهلية ، ولا ينبغى لأهل العلم أن يقتدوا بالجهال . السادسة جزمك بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال « اطلبوا العلم ولو من الصين » فلا ينبغى أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لايعلم صحته ، وهو من القول بلا علم ، فلو أنك قلت وروى أو ذكر فلان أو ذكر فى الكتاب الفلانى لكان هذا مناسبا . وأما الجزم بالأحاديث التى لم تصح فلا يجوز فتفطن لهذه المسألة فما أكثر من يقع فيها . السابعة قولك فى سؤال الملكين : والكعبة قبلتى وكذا وكذا ، فالذى علمناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهما يسألان عن ثلاث : عن التوحيد وعن الدين وعن محمد صلى الله عليه وسلم . فإن كان فى هـذا عندكم رابعة فأفيدونا ، ولا يجوز الزيادة على ماقال الله ورسوله . الثامنة قولك فى الإيمان بالقدر إنه الإيمان بأن لايكون صغير ولا كبير إلا بمشيئة الله وإرادته ، وأن يفعل المأمورات ويترك المنهيات وهذا غلط لأن الله سبحانه له الخلق والأمر والمشيئة والإرادة وله الشرع والدين . إذا ثبت هـذا ففعل المأمورات وترك المنهيات هو الإيمان بالأمر وهو الإيمان بالشرع والدين ، ولا يذكر فى حد الإيمان بالقدر . التاسعة قولك الآيات التى فى الاحتجاج بالقدر كقوله تعالى (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ) الآية ثم قلت : فإياك والاقتداء بالمشركين فى الاحتجاج على الله وحسبك من القدر الإيمان به . فالذى ذكرنا فى تفسير هذه الآيات غير المعنى الذى أردت فراجعه وتأمله بقلبك فإن اتضح لك وإلا فراجعنى فيه لأنه كلام طويل . العاشرة وأخرناها لشدة الحاجة إليها قولك : إن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقروا بتوحيد الربوبية ثم أوردت الأدلة الواضحة على ذلك وإنما قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

عند توحيد الألوهية ، ولم يدخل الرجل فى الإسلام بتوحيد الربوبية إلا إذا انضم إليه توحيد الألوهية فهذا كلام من أحسن الكلام وأبينه تفصيلا ، ولكن العام لما وجهنا إبراهيم كتبوا له علماء سدير مكاتبة وبعثها لنا وهى عندنا الآن ولم يذكروا فيها إلا توحيد الربوبية، فإذا كنت تعرف هذا فلأى شيء ماأخبرت إبراهيم ونصحته إن هؤلاء ماعرفوا التوحيد ، وإنهم منكرون دين الإسلام ، وكذلك أحمد بن يحى راعى رغبه عداوته لتوحيد الألوهية والاستهزاء بأهل العارض لما عرفوه ، وإن كان يقربه أحياناً عداوة ظاهرة لايمكن أنها لاتبلغك ، وكذلك ابن إسماعيل إنه نقض ماأبرمت فى التوحيد وتعرف أن عنده الكتاب الذى صنفه رجل من أهل البصرة كله من أوله إلى آخره فى إنكار توحيد الألوهية وأتاكم به ولد محمد بن سليمان راعى وشيئة وقرأه عندكم وجادل به جماعتنا ، وهذا الكتاب مشهور عند المويس وأتباعه مثل ابن سحيم وابن عبيد يحتجون به علينا ويدعون الناس إليه ويقولون هذا كلام العلماء . فإذا كنت تعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم ما قاتل الناس إلا عند توحيد الألوهية وتعلم أن هؤلاء قاموا وقعدوا ودخلوا وخرجوا وجاهدوا ليلا ونهارا فى صد الناس عن التوحيد يقرءون عليهم مصنفات أهل الشرك لأى شيء لم تظهر عداوتهم وأنهم كفارمرتدون ، فإن كان باين لك أن أحدا من العلماء لايكفرمن أنكرالتوحيد أو أنه يشك فى كفره فاذكره لنا وأفدنا ، وإن كنت تزعم أن هؤلاء فرحوا بهذا الدين وأحبوه ودعوا الناس إليه ، ولما أتاهم تصنيف أهل البصرة فى إنكار التوحيد كفروه وكفروا من عمل به وكذلك لما أتاهم كتاب بن عفالق الذى أرسله المويس لابن إسماعيل وقدم به عليكم العام وقرأه على جماعتكم يزعم فيه أن التوحيد دين ابن تيمية وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه القيامة . إن كنت تقول ماجرى من هذا شيء فهذا مكابرة ، وإن كنت تعرف أن هذا هو الكفر الصراح والردة الواضحة ، ولكن تقول أخشى الناس فالله أحق أن تخشاه . ولاتظن أن كلامى هذا معاتبة وكلام عليك ، فوالله الذى لاإله إلاهو إنه نصيحة لأن كثيرا ممن واجهناه وقرأ علينا يتعلم هذا ويعرفه بلسانه . فإذا وقعت المسألة لم يعرفها بل إذا قال له بعض المشركين نحن نعرف أن رسول الله لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن النافع الضار هو الله يقول جزاك الله خيراً ويظن أن هذا هو التوحيد ونحن نعلمه أكثر من سنة

أن هذا هو توحيد الربوبية الذى أقر به المشركون فالله الله فى التفطن لهذه المسألة فإنها الفارقة بين الكفر والإسلام ، ولو أن رجلا قال : شروط الصلاة تسعة ثم سردها كلها فإذا رأى رجلا يصلى عريانا بلا حاجة أو على غير وضوء أو لغير القبلة لم يدر أن صلاته فاسدة لم يكن قد عرف الشروط ولو سردها بلسانه ، ولو قال الأركان أربعة عشر ثم سردها كلها ثم رأى من لايقرأ الفاتحة ومن لايركع ومن لايجلس للتشهد ولم يفطن أن صلاته باطلة لم يكن قد عرف الأركان ولو سردها فالله الله فى التفطن لهذه المسألة ، ولكن أشير عليك بعزيمة أنك تواصلنا ونتذاكر معك ، وكذلك أيضا من جهة البدع قيل لى إنك تقول فيها شىء مايقوله الذى هو عارف مسئلة البدع ، وصلى الله على محمد وآله وسلم ، ومنها رسالة أرسلها إلى محمد بن عيد من مطاوعة ثرمدا قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى محمد بن عيد وفقنا الله وإياه لما يحبه ويرضاه .

وبعد ، وصل الكراس وتذكرون أن الحق إن بان لكم اتبعتم وفيه كلام غير هذا سر الخاطر من طرفك خاصة بسبب أن لك عقلا . والثانية أن لك عرضا تشح به . والثالثة أن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ماتبيعه بالزهايد ، فأما تقريركم أول الكلام أن الإسلام خمس كأعضاء الوضوء وأنكم تعرفون كلام الله وكلام رسوله وإجماع العلماء أن له نواقض كنواقض الوضوء الثمانية : منها اعتقاد القلب وإن لم يعمل أو يتكلم يعنى إذا اعتقد خلاف ماعلمه الرسول أمته بعد ماتبين له ، ومنها كلام باللسان وإن لم يعمل ولم يعتقد ، ومنها عمل بالجوارح وإن لم يعتقد ويتكلم ولكن من أظهر الإسلام وظننا أنه أتى بناقض لانكفره بالظن لأن اليقين لايعرفه الظن وكذلك لانكفر من لانعرف منه الكفر بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه ، وما قررتم هو الصواب الذى يجب على كل مسلم اعتقاده والتزامه ، ولكن قبل الكلام اعلم أنى عرفت بأربع مسائل : الأولى بيان التوحيد مع أنه لم يطرق آذان أكثر الناس . الثانية بيان الشرك ولو كان فى كلام من ينتسب إلى العلم أو عبادة من دعوة غير الله أو قصده بشىء من العبادة ، ولو زعم أنهم يريدون أنهم شفعاء عند الله مع أن أكثر الناس يظن أن هذا من أفضل القربات كما ذكرتم عن العلماء أنهم

يذكرون أنه قد وقع فى زمانهم . الثالثة تكفير من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ثم أبغضه ونفر الناس عنه وجاهد من صدق الرسول فيه ، ومن عرف الشرك وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بإنكاره وأقر بذلك ليلا ونهارا ثم مدحه وحسنه للناس وزعم أن أهله لايخطئون لأنهم السواد الأعظم . وأما ماذكر الأعداء عنى أنى أكفر بالظن وبالموالاة أو أكفر الجاهل الذى لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله . الرابعة الأمر بقتال هؤلاء خاصة حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فلما اشتهر عنى هؤلاء الأربع صدقنى من يدعى أنه من العلماء فى جميع البلدان فى التوحيد وفى نفى الشرك وردوا على التكفير والقتال . إذا تحققت ما ذكرت لك انبنى الجواب على ماذكرتم فى أول الأوراق من إقراركم بمعرفة نواقض الإسلام بإجماع العلماء بشرط أنكم لاتكفرون بالظن ولا من لاتعرفون فنقول : من المعلوم عند الخاص والعام ماعليه البوادى أوأكثرهم فإن كابر معاند لم يقدر على أن يقول إن عنزة وآل ظفير وأمثالهم كلهم مشاهيرهم والأتباع إنهم مقرون بالبعث ولايشكون فيه ولايقدر أن يقول إنهم يقولون إن كتاب الله عند الحضر وأنهم عانقوه ومتبعون ماأحدث آباؤهم مما يسمونه الحق ويفضلونه على شريعة الله فإن كان للوضوء ثمانية نواقض ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من المائة ناقض فلما بينت ماصرحت به آيات التنزيل وعلمه الرسول أمته وأجمع عليه العلماء من أنكر البعث أوشك فيه أوسب الشرع أوسب الأذان إذا سمعه أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله أوسب من زعم أن المرأة ترث أو أن الإنسان لايؤخذ فى القتل بجريرة أبيه وابنه إنه كافر مرتد قال علماؤكم معلوم أن هذا حال البوادى لاننكره ولكن يقولون لاإله إلا الله وهى تحميهم من الكفر ولو فعلوا كل ذلك ، ومعلوم أن هؤلاء أولى وأظهر من يدخل فى تقريركم فلما أظهرت تصديق الرسول فيما جاء به سبونى غاية المسبة وزعموا أنى أكفر أهل الإسلام وأستحل أموالهم وصرحوا أنه لايوجد فى جزيرتنا رجل واحد كافر ، وأن البوادى يفعلون من النواقض مع علمهم أن دين الرسول عند الحضر وجحدوا كفرهم وأنتم تذكرون أن من رد شيئاً مما جاء به الرسول بعد معرفته أنه كافر . فإذا كان المويس وابن إسماعيل والعديلى وابن عباد وجميع أتباعهم كلهم على هذا فقد صرحتم غاية التصريح أنهم كفار مرتدون وإن

ادعى مدع أنهم يكفرونهم أو ادعى أن جميع البادية لم نتحقق من أحد منهم من النواقض شيئا أو ادعى أنهم لايعرفون أن دين الرسول خلاف ماهم عليه فهذا كمن ادعى أن ابن سليمان وسويد وابن دواس وأمثالهم عباد زهاد فقراء ماشاخوا فى بلد قط ومن ادعى هذا فأسقط الكلام معه . ونقول ثانياً إذا كانوا أكثر من عشرين سنة يقرون ليلا ونهارا سراً وجهاراً أن التوحيد الذى أظهر هـذا الرجل هو دين الله ورسوله لـكن الناس لا يطيعوننا وأن الذى أنكره هو الشرك وهو صادق فى إنكاره ، ولـكن لو يسلم من التكفير والقتال كان على الحق . هذا كلامهم على رؤوس الأشهاد ثم مع هذا يعادون التوحيد ومن مال إليه العداوة التى تعرف ولولم يكفر ويقاتل وينصرون الشرك نصر الذى تعرف مع إقرارهم بأنه مشرك مثل كون المويس وخواص أصحابه ركبوا وتركوا أهليهم وأموالهم إلى أهل قبة الـكواز وقبة رجب سنة يقولون إنه قد خرج من ينكر قببكم وما أنتم عليـه . وقد أحل دماءهم وأموالهم وكذلك ابن إسماعيل وابن ربيعة والمويس أيضاً بعدهم بسنة رحلوا إلى أهل قبة أبى طالب وأغروهم بمن صدق النبى صلى الله عليـه وسلم وأحلوا دماءنا وأموالنا حتى جرى على الناس ماتعرف مع أن كثيراً منهم لم يكفر ولم يقاتل وقررتم أن من خالف الرسول فى عشر معشار هـذا ولو بكلمة أو عقيدة قلب أو فعل فهو كافر فـكيف بمن جاهد بنفسه وماله وأهله ومن أطاعه فى عداوة التوحيد وتقرير الشرك مع إقراره بمعرفة ماجاء به الرسول فإن لم تـكفروا هؤلاء ومن اتبعهم ممن عرف أن التوحيد حق وأن ضده الشرك فأنتم كمن أفتى بانتقاص وضوء من بزغ منه مثل رأس الإبرة من البول وزعم أن من يتغوط ليلا ونهارا وأفتى للناس أن ذلك لاينقض وتبعوه على ذلك حتى يموت أنه لاينقض وضوءه وتذكرون أنى أكفرهم بالموالاة وحاشا وكلا ، ولـكن أقطع أن كفر من عبد قبة أبى طالب لايبلغ عشر كفر المويس وأمثاله كما قال تعالى (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) الآيتين ، وأنا أمثل لك مثالا لعل الله أن ينفعك به لعلمى أن الفتنة كبيرة وأنهم يحتجون بما تعرفون : منها ماذكروا فى الأوراق أنهم لم يقصدوا بحربكم ردّ التوحيد وإحياء الشرك وإنما قصدوا دفع الشر عن أنفسهم خوف البغى عليهم . فنقول لو نقدر أن السلطان ظلم أهل المغرب ظلما عظيما فى أموالهم وبلادهم ومع هذا خافوا استيلاءهم

على بلادهم ظلما وعدوانا ورأوا أنهم لا يدفعونهم إلا باستنجاد الفرنج وعلموا أن الفرنج لايوافقونهم إلا أن يقولوا نحن معكم على دينكم ودنياكم ودينكم هو الحق ودين السلطان هو الباطل وتظاهروا بذلك ليلا ونهارا مع أنهم لم يدخلوا فى دين الفرنج ولم يتركوا الإسلام بالفعل، لكن لما تظاهروا بما ذكرنا ومرادهم دفع الظلم عنهم هل يشك أحد أنهم مرتدون فى أكبر مايكون من الكفر والردة إذا صرحوا أن دين السلطان هو الباطل مع علمهم أنه حق وصرحوا أن دين الفرنج هو الصواب وأنه لايتصور أنهم لايتيهون لأنهم أكثر من المسلمين ولأن الله أعطاهم من الدنيا شيئا كثيرا ولأنهم أهل الزهد والرهبانية فتأمل هـذا تأملا جيداً وتأمل ماصدرتم به الأوراق من موافقتهم به الإسلام ومعرفتكم بالناقض إذا تحققتموه وأنه يكون بكلمة ولو لم تعتقد ويكون بفعل ولو لم يتكلم ويكون فى القلب من الحب والبغض ولو لم يتكلم ولم يعمل تبين لك الأمر اللهم إلا إن كنتم ذاكرين فى أول الأوراق وأنتم تعتقدون خلافه فذاك أمر آخر . وأما ماذكرتم من كلام العلماء فعلى الرأس والعين ، ولكن عنه جوابان : أحدهما أنكم لولم تنقلوا كلام ابن عقيل فى الفنون وكلام الشيخ فى اقتضاء الصراط المستقيم وكلام ابن القيم لقلت لعلهم مخطئون قائلون بمبلغ علمهم هذا كله عندنا فى هذه الكتب كما هو عندكم وابن عقيل ذكر أنهم كفار بهـذا الفعل أعنى دعوة صاحب التربة ودس الرقاع وأنتم تعلمون ذلك ، وأصرح منه كلام الشيخ فى قوله ومن ذلك مايفعله الجاهلون بمكة ياسبحان الله كيف تركتم صريحه فى العبادة بعينها إن هذا من فعله كان مرتدا ، وإن المسلم إذا ذبح للزهرة والجن ولغـير الله فهو مما أهل لغير الله به وهى أيضاً ذبيحة مرتد لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان فصرح أن هذا الرجل إذا ذبح للجن مرة واحدة صار كافراً مرتدا وجميع مايذبحه للأكل بعد ذلك لايحل لأنه ذبيحة مرتد ، وصرح فى مواضع من الكتاب كثيرة بكفر من فعل شيئا من الذبح والدعوة حتى ذكر ثابت بن قرة وأبا معشر البلخى وذكر أنهم كفار مرتدون وأمثالهم مع كونهم من أهل التصانيف ، وأصرح من الجميع كلام ابن القيم فى كثير من كتبه فلما نقلتم بعض العبارة وتركتم بعضها علمت أنه ليس بجهالة ، ولكن الشرهة عليك لو أنك فاعل كما فعل بعض أهل الحسا لما صنف بعضهم كتابا فى الرد علينا يريد أن يبعثه تكلم رجل منهم وقال أحب ماإلى ابن عبد الوهاب وصول هذا

إليه أنتم ماتستحيون فتركوا الرسالة . الجواب الثانى أنه على سبيل التنزل أن الشرك لايكفر من فعله وأنه شرك أصغر أو أنه معصية غير الكفر مع أن جميع ماذكرتم لا يدل على ذلك فإن أردت بينت لك فى غير هذه المرة معانى هذه العبارات من الأدلة من كلام كل رجل كما بينته لك من كلام الشيخ . لكن أنتم مسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكره ونهى عنه، فلو أن رجلا أقر بذلك مع كونه لم يفعله لكنه زينه للناس ورغبهم فيه أليس هذا كافرا مرتدا ولو قدرنا أن الأمر الذى كرهه وصد الناس عنه ما أمر به الرسول إلا أمر استحباب كركعتى الفجر أو أن الذى نهى عنه مانهى عنه إلا نهى تنزيه كأكل بالشمال والنوم للجنب من غير وضوء ولوأن رجلا عرف نهى الرسول وزعم لأجل غرض من الأغراض أن الأكل بالشمال هو الأحب المرضى عند الله وأن الأكل باليمين يضر عند الله وأن الوضوء للجنب إذا أراد النوم يضر عند الله وأن النوم من غير وضوء أحب إلى الله مع علمه بما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ، أليس هذا كلام كافر مرتد فكيف بمن سب دين الله الذى بعث به جميع الأنبياء مع إقراره ومعرفته به ومدح دين المشركين الذى بعث الله الأنبياء بإنكاره ودعا الناس إليه مع معرفته ، ولكن أرى لك أن تقوم فى السحر وتدعو بقلب حاضر بالأدعية المأثورة وتطرح نفسك بين يدى الله أن يهديك لدينه ودين نبيه عليه السلام وصلى الله على محمد وآله وسلم . ومنها رسالة أرسلها جوابا لعبد الله بن سحيم مطوع من أهل المجمعة حين سأله عن الكتاب الذى أرسله عدوالله سليمان بن محمد بن سحيم مطوع أهل الرياض وكانت رسالة أرسلها إلى أهل البصرة والحسا يشنع فيها على الشيخ بالكذب والبهتان والزور والباطل الذى ماجرى وما كان ، وقصده بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ماأظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله وهدم أركان الشرك وإبطال مناهج الضلال والإفك ورام هذا أن يرتقى إلى ذلك بأسباب ويستدعى من كل معاند مكابر جواب ، وإلا فالله تعالى بفضله قد أزال اللبس والحجاب وكشف عن القلوب المظلمات الرين والاحتجاب .

ونص رسالة المجاب: من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد فالذى يحيط به علمكم أنه قد خرج فى قطرنا رجل

مبتدع جاهل مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل جرت منه أمور فضيحة وأحوال شنيعة : منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع وشيء لم يتعد أماكننا بعد فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته. والقصد من ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى فمن بدعه وضلالته أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين فى الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم فى حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمد أيضا إلى مسجد فى ذلك وهدمه وليس داع شرعى فى ذلك إلا اتباع الهوى، ومنها أنه أحرق دلائل الخيرات لأجل قول صاحبها سيدنا ومولانا وأحرق أيضا روض الرياحين وقال هذا روض الشياطين ، ومنها أنه صح عنه أنه يقول لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب أما سمع وجه قوله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب) ومنها أنه ثبت أنه يقول الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء وتصديق ذلك أنه بعث إلى كتابا يقول فيه أقروا أنكم قبلى جهال ضلال ومن أعظمها أن من لم يوافقه فى كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه فى كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله ، ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتابا مع بعض دعاته بخط يده وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم فى زعمه وإلا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل العارض فياعجبا إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره فمن أين علمه ، وعن من أخذه هل أوحى إليه أو رآه مناما أو أعلمه به الشيطان وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض، ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربى ، ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول لأجل أنهم يأخذون النذور ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده ، ومنها أنه ثبت عنه لما قيل له اختلاف الأئمة رحمة قال اختلافهم نقمة، ومنها أنه يقطع بفساد الوقف ويكذب المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا ، ومنها إبطال الجعالة على الحج ، ومنها أنه ترك تمجيد

السلطان فى الخطبة وقال السلطان فاسق لايجوز تمجيده ، ومنها أنه قال الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها هى بدعة وضلالة تهوى بصاحبها إلى النار، ومنها أنه يقول الذى يأخـذه القضاة قديما وحديثا إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة ، هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ماأخذ لإبطال حق أو لاحقاق باطل ، وأن للقاضى أن يقول للخصمين لاأقضى بينكما إلا بجعل، ومنها أنه يقطع بكفر الذى يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ويقول ذلك كفر واللحم حرام،فالذى ذكره العلماء فى ذلك أنه منهى عنه فقط وذكره فى حاشية المنتهى، فبينوا رحمكم الله ذلك للعوام المساكين الذين لبس عليهم وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح، فإن رأيتم أن ذلك صواب فبينوه لنا ونرجع إلى قوله ، وإن رأيتموه خطأ فاردعوه وازجروه وبينوا للناس خطأه فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ فى النفوس فإن الجواب متعين على من وقف عليه ممن له معرفة بحكم الله ورسوله لأن ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل انتهى ماذكره صاحب الرسالة. وقد يسر الله للشيخ الاتصال إليها والوقوف عليها وألهمه الجواب عنها والتنصل عن كثير منها فبين الحق الذى قاله وبين الكذب والزور الذى رماه به أهل الجهالة وهذا نص الرسالة التى كتبها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن سحيم وبعد ألفينا مكتوبك وما ذكرت فيه من ذكرك وما بلغك ولا يخفاك أن المسائل التى ذكرت أنها بلغتكم فى كتاب من العارض جملتها أربعة وعشرون مسألة بعضها حق وبعضها بهتان وكذب،وقبل الكلام فيها لابد من تقديم أصل وذلك أن أهل العلم إذا اختلفوا والجهال إذا تنازعوا ومثلى ومثلكم إذا اختلفنا فى مسألة هل الواجب اتباع أمر الله ورسوله وأهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التى أدركنا الناس عليها . ولو خالفت ماذكره العلماء فى جميع كتبهم ، وإنما ذكرت هذا ولو كان واضحاً لأن بعض المسائل التى ذكرت أناقلتها لكن هى موافقة لما ذكره العلماء فى كتبهم الحنابلة وغيرهم، ولكن هى مخالفة لعادة الناس التى نشئوا عليها فأنكرها على لأجل مخالفة العادة وإلا فقدرأوا تلك فى كتبهم

عيانا وأقروا بها وشهدوا أن كلامى هو الحق لكن أصابهم ماأصاب الذين قال الله فيهم (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين الآية) وهذا هو مانحن فيه بعينه فإن الذى راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بينت ذلك له فأقر به وعندنا كتب يده فى رسائل متعددة أن هذا هو الحق وأقام على ذلك سنين لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغى (أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله إذا كان هذا هو الحق فلأى شىء لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله فتعذروا أنكم ماسألتمونا، قالوا: وإن لم نسألكم كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا وظنوا أن يأتيهم فى هذا غضاضة وأن فيه شرفا لغيره وأيضا لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا إلى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان والله ناصر دينه ولو كره المشركون، وأنت لاتستهون مخالفة العادة على العلماء فضلا عن العوام وأنا أضرب لك مثلا بمسألة واحدة وهى مسئلة الاستجمار ثلاثا فصاعدا من غير عظم ولا روث، وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم، وهو إجماع الأمة لاخلاف فى ذلك، ومع هذا لو يفعله أحد لصار هذا عند الناس أمرا عظيما ولنهوا عن الصلاة خلفه وبدّعوه مع إقرارهم بذلك ولكن لأجل العادة إذا تبين هذا فالمسائل التى شنع بها منها ماهو من البهتان الظاهر وهى قوله إنى مبطل كتب المذاهب وقوله إنى أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شىء وقوله إنى أدعى الاجتهاد وقوله إنى خارج عن التقليد وقوله إنى أقول إن اختلاف العلماء نقمة وقوله إنى أكفر من توسل بالصالحين وقوله إنى أكفر البوصيرى لقوله ياأكرم الخلق وقوله إنى أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب وقوله إنى أنكر زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وقوله إنى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم وإنى أكفر من يحلف بغير الله فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابى فيها أن أقول (سبحانك هذا بهتان عظيم)، ولكن قبله من بهت النبى محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى ابن مريم ويسب الصالحين (تشابهت قلوبهم) وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا فى النار فأنزل الله فى ذلك (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون الآية) وأما المسائل الأخر وهى أنى أقول

لايتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى لا إله إلا الله، ومنها أنى أعرف من يأتينى بمعناها، ومنها أنى أقول الإله هو الذى فيه السر ومنه تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك، ومنها أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمى الله عليها إذا ذبحها للجن فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها . ونبدأ بالكلام عليها لأنها أمّ المسائل وقبل ذلك أذكر معنى لا إله إلا الله فنقول: التوحيد نوعان توحيد الربوبية وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم ، وهذا حق لابد منه لكن لايدخل الرجل فى الإسلام لأن أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار إلى قوله أفلا تتقون) وأن الذى يدخل الرجل فى الإسلام هو توحيد الألوهية ، وهو أن لايعبد إلا الله لاملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله ، فمنهم من يدعو الأصنام ، ومنهم من يدعو عيسى ، ومنهم من يدعو الملائكة فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد من دونه لا الملائكة ولا الأنبياء ، فمن تبعه ووحد الله فهو الذى شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ إليهم فهو الذى جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لايخلق ولا يرزق إلا الله، وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء ، ولما جرى فى هذه الأمة ماأخبر به نبيها صلى الله عليه وسلم حيث قال « لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) فصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين فى الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلانى وأحمد البدوى وعدىّ بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك وحذروهم غاية التحذير والإنذار من جميع المذاهب الأربعة فى سائر الأقطار والأمصار فلم يحصل منهم انزجار بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار . وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر وأنت ذكرت فى كتابك ماتقول ياأخى مالنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم وأنا أقول كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك وأنبهك عليه فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظر مع نفسك ومع غيرك فإن عرفت أن الصواب معى وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء

أعنى دين الإسلام الصرف الذى لايمزج بالشرك والبدع . وأما الإسلام الذى ضده الكفر فلا شك أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم آخر الأمم وعليها تقوم الساعة، فإن فهمت أن كلامى هو الحق فاعمل لنفسك واعلم أن الأمر عظيم والخطب جسيم ، فإن أشكل عليك شيء فسفرك إلى المغرب فى طلبه غير كثير واعتبر لنفسك حيث كتبت لى فيما مضى أن هذا هو الحق الذى لاشك فيه لكن لانقدر على تغيير ، وتكلمت بكلام حسن فلما غربلك الله بولد المويس ولبس عليك وكتب لأهل الوشم يستهزىء بالتوحيد ويزعم أنه بدعة وأنه خرج من خراسان ويسب دين الله ورسوله لم تفطن لجهله وعظم ذنبه وظننت أن كلامى فيه من باب الانتصار للنفس وكلامى هذا لايغيرك فإن مرادى أن تفهم أن الخطب جسيم وأن أكابر أهل العلم يتعلمون هذا ويغلطون فيه فضلا عنا وعن أمثالنا فلعله إن أشكل عليك تواجهنى ، هذا إن عرفت أنه حق وإن كنت إذا نقلت لك عبارات العلماء عرفت أنى لم أفهم معناها وأن الذى نقلت لك كلامهم أخطئوا وأنهم خالفهم أحد من أهل العلم فنبهنى على الحق وأرجع إليه إن شاء الله تعالى . فنقول: قال الشيخ تقى الدين وقد غلط فى مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة حتى قلبوا حقيقته فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفى الصفات وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية، ومنهم من أطال فى تقرير هذا الموضع وظن أنه بذلك قرر الوحدانية وأن الألوهية هى القدرة على الاختراع ونحو ذلك ، ولم يعلم أن مشركى العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد قال الله تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون) الآيات وهذا حق لكن لايخلص به عن الإشراك بالله الذى لايغفره الله بل لابد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله فيكون دينه لله والإله هو المألوه الذى تألهه القلوب ، وأطال رحمه الله الكلام. وقال أيضاً فى الرسالة السنية التى أرسلها إلى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين ويغلون فيه فذكر حديث الخوارج ثم قال فإذا كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور: منها الغلو الذى ذمه الله مثل الغلو فى عدى بن مسافر أو غيره بل الغلو فى على بن أبى طالب بل الغلو فى المسيح ونحوه فكل من غلا فى نبى أو صحابى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدى فلان أغثنى

أو أنا فى حسبك ونحو هذا فهذا كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه إله آخر والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة . وأطال الكلام رحمه الله، فتأمل كلامه فى أهل عصره من أهل النظر الذين يدعون العلم ومن أهل العبادة الذين يدعون الصلاح.

وقال فى الإقناع فى باب حكم المرتد فى أوله : فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته إلى أن قال أو استهزأ بالله أو رسله قال الشيخ أو كان مبغضا لرسوله أو لما جاء به اتفاقا أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم كفر إجماعا إلى أن قال أو أنكر الشهادتين أو إحداهما، فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك وتأمل هل قالوا هذا فى أشياء وجدت فى زمانهم واشتد نكيرهم على أهلها أو قالوها ولم تقع، وتأمل الفرق بين جحد الربوبية والوحدانية والبغض لما جاء به الرسول وقال أيضا فى أثناء الباب : ومن اعتقد أن لأحد طريقا إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم أو لا يجب عليه اتباعه أو أن لغيره خروجا عن اتباعه أو قال أنا محتاج إليه فى علم الظاهر دون علم الباطن أو فى علم الشريعة دون علم الحقيقة أو قال إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى كفر فى هذا كله ، ولو تعرف من قال هذا الكلام فيه وجزم بكفرهم وعلمت ما هم عليه من الزهد والعبادة وأنهم عند أكثر أهل زماننا من أعظم الأولياء لقضيت بالعجب. وقال أيضا فى الباب : ومن سب الصحابة واقترن بسبه دعوى أن عليا إله أو نبى أو أن جبريل غلط فلا شك فى كفر هذا بل لا شك فى كفر من توقف فى تكفيره فتأمل، هذا إذا كان كلامه هذا فى علىّ فكيف بمن ادعى أن ابن عربى أو عبد القادر إله وتأمل كلام الشيخ فى معنى الإله الذى تألهه القلوب. واعلم أن المشركين فى زماننا قد زادوا على الكفار فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين فى الرخاء والشدة ويطلبون منه تفريج الكربات وقضاء الحاجات مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله

فهم لايدعونهم إلا فى الرخاء فإذا جاءتهم الشدائدأخلصوا لله قال الله تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) الآية، وقال أيضا فى الإقناع فى الباب : ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله ، وهو عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه أو يعمل شيئا يؤثر فى بدن المسحور أو قلبه أو عقله ومنه مايقتل ومنه مايمرض ومنه ماياخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومنه مايبغض أحدهما للآخر ويحبب بين اثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته، فتأمل هذا الكلام ثم تأمل ماجرى فى الناس خصوصا الصرف والعطف تعرف أن الكفر ليس ببعيد وعليك بتأمل هذا الباب فى الإقناع وشرحه تأملا جيدا وقف عند المواضع المشكلة وذاكر فيها كما تفعل فى باب الوقف والإجارة يتبين لك إن شاء الله أمر عظيم. وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم فى شرح درر البحار : النذر الذى يقع من أكثر العوام ، وهو أن يأتى إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدى فلان إن رد غائبى أو عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك كذا وكذا باطل إجماعا ، لوجوه: منها أن النذر للمخلوق لايجوز ، ومنها ظن أن الميت يتصرف فى الأمر واعتقاد هذا كفر ، إلى أن قال إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها وينقل إلى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه لاسيما فى مولد أحمد البدوى ، فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه فتأمل قوله من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده . وأما المالكية ، فقال الطرطوشى فى كتاب الحوادث والبدع روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال الله أكبر هـذا كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، لتركبن سنن من كان قبلكم » فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها. وقال صلى الله عليه وسلم « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس » ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل إذا أسلم فى قبيلته غريبا مستخفيا بإسلامه قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف ثم يعود غريبا لكثرة الأهواء

المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء فى الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم ، وروى البخارى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال «والله ماأعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا» وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره . وقال الزهرى دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكى فقلت مايبكيك؟ فقال ماأعرف فيهم شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة وهذه الصلاة قد ضيعت انتهى كلام الطرطوشى ، فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث وفى أى زمان قيلت وفى أى مكان وهل أنكرها أحد من أهل العلم والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادى منها ماوقع من الصحابة وقول الصادق المصدوق إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم اجعل لنا إلها ، ياعجبا إذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلا من المتأخرين غلط فى قوله ياأكرم الخلق، كيف تعجبون من كلامى فيه وتظنونه خيرا وأعلم منهم ، ولكن هذه الأمور لاعلم لكم بها وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا إنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذى أرسلت إلى قبل أن يغربلك الله بصاحب الشام وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق وتعتذر أنك لاتقدر على الإنكار ، ومرادى أن أبين لك كلام الطرطوشى وماوقع فى زمانه من الشرك بالشجر مع كونه فى زمن القاضى أبى يعلى أتظن الزمان صلح بعده. وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة فى كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث وهو فى زمن الشارح وابن حمدان ، وقد وقع من جماعة من النابذين لشريعة الإسلام المنتمين إلى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من اعتقادهم فى مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادىء ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا القسم ماقد عم الابتلاء من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد وإسراج مواضع فى كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى فى منامه أحداً ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون إلى الله ثم يجاوزون ذلك إلى أن يعظم وقع تلك الأماكن فى قلوبهم ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهى بين عيون وشجر وحائط وحجر ، وفى دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعوينة الحمى والشجرة الملعونة خارج باب النصر سهل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط ثم ذكر كلاما طويلا

إلى أن قال أسأل الله الكريم معافاته من كل مايخالف رضاه ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه ، فتأمل ذكره فى هـذا النوع فإنه نبذ لشريعة الإسلام وإنه خروج عن الايمان ثم ذكر أنه عم الابتلاء به فى الشام فأنت قل لصاحبكم هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره وصاحوا بأهله من أقطار الأرض وذكروا أن الدين عاد غريبا ، فهو بين اثنتين إما أن يقول كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضلون خارجون ، وإما أن يدعى أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك ، ولا يخفاك أنى عثرت على أوراق عند ابن عزاز فيها إجازات له من عند مشايخه وشيخ مشايخه رجل يقال له عبدالغنى ويثنون عليـه فى أوراقهم ويسمونه العارف بالله ، وهـذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربى الذى ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون حتى قال ابن المقرى الشافعى من شك فى كفر طائفة ابن عربى فهو كافر ، فإذا كان إمام دين ابن عربى والداعى إليـه هو شيخهم ويثنون عليه أنه العارف بالله فـكيف يكون الأمر ، ولـكن أعظم من هذا كله ماتقدم عن أبى الدرداء وأنس وهما بالشام ذلك الكلام فيه العظيم . واحتج به أهل العلم على أن زمانهم أعظم فـكيف بزماننا؟ وقال ابن القيم رحمه الله فى الهدى النبوى فى الكلام على حديث وفد الطائف لما أسلموا وسألوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم اللات لايهدمها سنة ، ولما تكلم ابن القيم على المسائل المأخوذة من القصة قال: ومنها أنه لايجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوما واحدا فإنها شعائر الشرك والـكفر وهى أعظم المنكرات فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة البتة ، وهـذا حكم المشاهد التى بنيت على القبور التى اتخذت أوثانا تعبد من دون الله والأحجار التى تقصد للتبرك والنذر والتقبيل لايجوز إبقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل أعظم شركا عندها وبها والله المستعان ، ولم يكن أحد من أرباب هـذه الطواغيت يعتقد أنها تخلق وترزق وإنما كانوا يفعلون عندها وبها مايفعله إخوانهم من المشركين اليوم عند طواغيتهم ، فاتبع هؤلاء سنن من قبلهم وسلـكوا سبيلهم شبرا بشبر وذراعا بذراع وسلـكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة وغلب الشرك على أكثر النفوس لغلبة الجهل وخفاء العلم وصار المعروف منكراً والمنكر معروفا والسنة بدعة والبدعة سنة ، ونشأ فى ذلك الصغير

وهرم عليه الكبير وطمست الأعلام واشتدت غربة الإسلام وقلّ العلماء ، وغلب السفهاء وتفاقم الأمر واشتد البأس وظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس انتهى كلامه، وقال أيضا فى الكلام على هذه القصة لما ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ مال اللات وصرفه فى المصالح ، ومنها جواز صرف الإمام الأموال التى تصير إلى هذه الطواغيت فى الجهاد ومصالح المسلمين فيجب عليه أن يأخذ أموال هذه الطواغيت التى تساق إليها ويصرفها على الجند والمقاتلة ومصالح الإسلام كما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم أموال اللات ، وكذا الحكم فى وقفها والوقف عليها باطل ، وهو مال ضائع فيصرف فى مصالح المسلمين فإن الوقف لايصح إلا فى قربة وطاعة لله ولرسوله فلا يصح على مشهد ولا قبر يسرج عليه ويعظم وينذر له ويعبد من دون الله وهـذا مما لايخالف فيه أحد من أئمة الدين ومن اتبع سبيلهم انتهى كلامه فتأمل كلام هذا الرجل الذى هو من أهل العلم وهو أيضا من أهل الشام كيف صرح أنه ظهر فى زمانه فيمن يدعى الإســـلام فى الشام وغيره عبادة القبور والمشاهد والأشجار والأحجار التى هى أعظم من عبادة اللات والعزى أو مثله وإن ذلك ظهر ظهوراً عظيما حتى غلب الشرك على أكثر النفوس وحتى صار الإسلام غريبا بل اشتدت غربته أين هذا من قول صاحبكم لأهل الوشم فى كتابه لما ذكروا له أن فى بلدانكم شيئا من الشرك يأبى الله أن يكون ذلك فى المسلمين وكلام هؤلاء الأئمة من أهل المذاهب الأربعة أعظم وأعظم وأطمّ مما قال ابن عيدان وصاحبه فى أهل زمانهما افترى هؤلاء العلماء أتوا فرية عظيمة ومقالة جسيمة فهذا ما يسر الله نقله من كلام أهل العلم على سبيل العجلة فأنت تأمله تأملا جيدا واجعل تأملك لله مستعيذا بالله من اتباع الهوى ولا تفعل فعلك أولا ، ولما ذكرت لك أنك تتأمل كلامى وكلامه فإن كان كلامى صحيحاً لامجازفة فيه وأن شاميكم لايعرف معنى لا إله إلا الله ولا يعرف عقيدة الإمام أحمد وعقيدة الذين ضربوه فاعرف قدره فهو بغيره أجهل واعرف أن الأمر أمر جليل ، فإن كان كلامى باطلا ونسبت رجلا من أهل العلم إلى هذه الأمور العظيمة بالكذب والبهتان فالأمر أيضا عظيم فأعرضت عن ذلك كله وكتبت لى كتابا فى شئ آخر ، فإن كان مرادك اتباع الهوى أعاذنا الله منه وأنك مع ولد المويس كيف كان فاترك الجواب فإن بعض الناس يذكرون عنك أنك صائر معه لأجل شئ من أمور الدنيا

وإن كنت مع الحق فلا أعذرك من تأمل كلامى هذا وكلامى الأول وتعرضهما على كلام أهل العلم وتحررهما تحريراً جيداً ثم تتكلم بالحق. إذا تقرر هذا فخمس المسائل التى قدمت جوابها فى كلام العلماء وأضيف إليها مسألة سادسة وهى إفتائى بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت، وذلك أنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادة أعظم من عبادة اللات والعزى بأضعاف، وليس فى كلامى مجازفة بل هو الحق لأن عبادة اللات والعزى يعبدونها فى الرخاء ويخلصون لله فى الشدة وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم إياهم فى شدائد البر والبحر فإن كان الله أوقع فى قلبك معرفة الحق والانقياد له والكفر بالطاغوت والتبرى ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك فاكتب لى وبشرنى لأن هذا ليس مثل الخطإ فى الفروع بل ليس الجهل بهذا فضلا عن إنكاره مثل الزنا والسرقة بل والله ثم والله ثم والله إن الأمر أعظم وإن وقع فى قلبك إشكال فاضرع إلى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه. وأما بقية المسائل فالجواب عنها ممكن إذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله وبيننا وبينكم كلام أهل العلم لكن العجب من قولك أنا هادم قبور الصحابة. وعبارة الإقناع فى الجنائز يجب هدم القباب التى على القبور لأنها أسست على معصية الرسول والنبى صلى الله عليه وسلم صح عنه أنه بعث عليا لهدم القبور ومثل صاحب كتابكم لو كتب لكم أن ابن عبد الوهاب ابتدع لأنه أنكر على رجل تزوج أخته فالعجب كيف راج عليكم كلامه فيه، وأما قولى إن الإله الذى فيه السر فمعلوم أن اللغات تختلف فالمعبود عند العرب والإله الذى يسمونه عوامنا السيد والشيخ والذى فيه السر، والعرب الأولون يسمون الألوهية كما يسميها عوامنا السر لأن السر عندهم هو القدرة على النفع والضر وكونه يصلح أن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» وسئل بعض العامة ما فاتحة الكتاب ما فسرت له إلا بلغة بلده، فتارة تقول هى فاتحة الكتاب وتارة تقول هى أم القرآن وتارة تقول هى الحمد وأشباه هذه العبارات التى معناها واحد ولكن إن كان السر فى لغة عوامنا ليس هذا وأن هذا ليس هو الإله فى كلام أهل العلم فهذا وجه الإنكار فبينوا لنا. وأما قول ابن سحيم فى أول الرسالة إنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكائنين فى الجبيلة زيد بن الخطاب وأصحابه وهدم قبورهم وبعثرها

لأجل أنهم فى حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع والدافن لهم خالد بن الوليد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمد أيضاً إلى مسجد فى ذلك وهدمه إلى آخره ، فهذا الكلام ذكر فيه ماهو حق وصدق وذكر فيه ماهو كذب وزور وبهتان ، فالذى جرا من الشيخ رحمه الله وأتباعه أنه هدم البناء الذى على القبور والمسجد المجعول فى المقبرة على القبر الذى يزعمون أنه قبر زيد بن الخطاب رضى الله عنه وذلك كذب ظاهر فإن قبر زيد رضى الله عنه ومن معه من الشهداء لايعرف أين موضعه بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا فى أيام مسيلمة فى هذا الوادى ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم ، ولا يعرف قبر زيد من قبر غيره وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس هذا قبر زيد فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد بالزيارة ويجتمع عنده جمع كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذى على قبره وذلك المسجد المبنى على المقبرة اتباعا لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور والنهى الغليظ الشديد فى بناء المساجد عليها كما يعرف ذلك من له أدنى ملكة من المعرفة والعلم ، وقوله وبعثرها لأجل أنهم فى حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع فكل هـذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ عند الناس بالباطل والفجور ، وكلامه هذا تكذبه المشاهدة ، فإن الموضع الذى فيه تلك القبور موضع سهل لين للحفر وأهل العيينة والجبيلة وغيرهما من بلدان العارض يدفنون موتاهم فى تلك المقبرة وهى أرض سهلة لاحجارة فيهـا ، والحجارة والوعر عن تلك المقبرة شمالا وجنوبا ، ولـكن هذا العدو وأشباهه يرمون هذا الشيخ بالأمور الفظيعة والأهوال الهائلة الشنيعة لـكى ينفر السامعون لذلك عن الدخول فى دين الله وليس ذلك ببدع من الشيطان وحزبه ، والحمد لله رب العالمين ، وهذا آخر الرسالة ، وصلى الله على محمد وآله وسلم .

وقد أجاب الشيخ رحمه الله فى هذه الرسالة عما رماه به عدو الله سليمان ابن سحيم من الزور والـكذب والبهتان وما هو قائل به وذكر دليله من الـكتاب والسنة وأقوال أئمة أهل الإيمان وأعرض عن بعض المسائل لم يجب عنها فى هـذه الرسالة . وقد أجاب عنها فى غيرها فأحسن وأجاد وكشف حجب الضلال عن العباد ، فمن ذلك قوله إنه أبطل الوقف ويكذب بالمروى عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم

وأصحابه أنهم وقفوا وقد كذب وافترى فيما رمى به شيخ الورى . وصورة الوقف التي أنكرها الشيخ رحمه الله وأبطله هو ما كان مخالفا لما ثبت في الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وذلك أن كثيرا من الجهال والعامة إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الإناث ماقسم الله له أو يحرم أولاد الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم وقف ماله وأشهد عليه ، وشرط فيه هذه الشروط المخالفة لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من صفة وقفهم فلما أنكر ذلك الشيخ رحمه الله استعظم ذلك جهال القضاة لأنه مخالف لعادتهم التي جروا عليها ومخالف لما ذكره بعض المتأخرين في كتبهم فشنعوا بذلك على الشيخ وافتروا عليه الكذب العظيم مثل قولهم وكذب المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم وقفوا وحاشاه من ذلك بل ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهو عنده المعمول به المفتى به المحمول على الرأس والعين وهذا نص جوابه عن شبهتهم التي شبهوا بها في ذلك. قال رحمه الله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات جواب عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والإثم ، ونحن نذكر قبل ذلك صورة المسألة ثم نتكلم على الأدلة . وذلك أن السلف اختلفوا في الوقف الذي يراد به وجه الله على غير من يرثه مثل الوقف على الأيتام وصوام رمضان أو المساكين أو أبناء السبيل فقال شريح القاضي وأهل الكوفة لايصح ذلك الوقف حكاه عنهم الإمام أحمد وقال جمهور أهل العلم هذا وقف صحيح واحتجوا بحجج صحيحة صريحة ترد قول أهل الكوفة فهذه الحجج التي ذكرها أهل العلم يحتجون بها على علماء أهل الكوفة مثل قوله «صدقة جارية» ومثل وقف عمر أوقاف أهل المقدرة من الصحابة على جهات البر التي أمر الله بها ورسوله ليس فيها تغيير لحدود الله. وأما مسألتنا فهي إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه وفر من قسمة الله وتمرد عن دين الله مثل أن يريد أن امرأته لاترث من هذا النخل ولاتأكل منه إلا حياة عينها أو يريد أن يزيد بعض أولاده على بعض فراراً من وصية الله بالعدل أو يريد أن يحرم نسل البنات أو يريد أن يحرّم على ورثته بيع هذا العقار لئلايفتقروا بعده ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة بر تقرب إلى الله ويوقف

على هـذا الوجه قاصدا وجه الله فهذه مسألتنا فتأمل هذا بشراشر قلبك ثم تأمل ماذكره من الأدلة فنقول: من أعظم المنكرات وأكبر الكبائر تغيير شرع الله ودينه والتحيل على ذلك بالتقريب إليه وذلك مثل أوقافنا هذه إذا أراد أن يحرم من أعطاه الله من امرأة أو امرأة ابن أو نسل بنات أو غير ذلك أو يعطى من حرمه الله أو يزيد أحدا عما فرض الله أو ينقصه من ذلك ويريد التقرب إلى الله بذلك مع كونه مبعدا عن الله فالأدلة على بطلان هـذا الوقف وعوده طلقاً وقسمه على قسم الله ورسوله أكثر من أن تحصر، ولكن من أوضحها دليل واحد وهو أن يقال لمدعى الصحة إذا كنت تدعى أن هـذا مما يحب الله ورسوله وفعله أفضل من تركه وهو داخل فيما حض عليه النبي صلى الله عليـه وسلم من الصدقة الجارية وغير ذلك فمعلوم أن الإنسان مجبول على حبه لولده وإيثاره على غيره حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فإذا شرع الله لهم أن يوقفوا أموالهم على أولادهم ويزيدوا من شاءوا أو يحرموا النساء والعصبة ونسل البنات فلأى شيء لم يفعل ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليـه وسلم ولأى شيء لم يفعله التابعون ولأى شيء لم يفعله الأئمة الأربعة وغيرهم؟ أتراهم رغبوا عن الأعمال الصالحة ولم يحبوا أولادهم وآثروا البعيد عليهم وعلى العمل الصالح، ورغب فى ذلك أهل القرن الثانى عشر أم تراهم خفى عليهم حكم هذه المسألة ولم يعلموها حتى ظهر هؤلاء فعلموها؟ سبحان الله ما أعظم شأنه وأعز سلطانه، فإن ادعى أحد أن الصحابة فعلوا هذا الوقف فهذا عين الكذب والبهتان والدليل على هذا أن هذا الذى تتبع الكتب وحرص على الأدلة لم يجد إلا ماذكره ونحن نتكلم على ماذكره. فأما حديث أبى هريرة الذى فيه «صدقة جارية» فهذا حق وأهل العلم استدلوا به على من أنكر الوقف على اليتيم وابن السبيل والمساجد ونحن أنكرنا على من غير حدود الله وتقرب بما لم يشرعه ولو فهم الصحابة وأهل العلم هـذا الوقف من هذا الحديث لبادروا إليـه.

وأما حديث عمر أنه تصدق بالأرض على الفقراء والرقاب والضيف وذوى القربى وأبناء السبيل فهذا بعينه من أبين الأدلة على مسألتنا وذلك أن من احتج على الوقف على الأولاد ليس له حجة إلا هـذا الحديث لأن عمر قال لاجناح على من وليه أن يأكل بالمعروف وإن حفصة وليته ثم وليه عبد الله بن عمر فاحتجوا بأكل حفصة

وأخيها دون بقية الورثة وهـذه الحجة من أبطل الحجج ، وقد بينه الشيخ الموفق رحمه الله والشارح وذكرا أن أكل الولى ليس زيادة على غيره وإنما ذلك أجرة عمله كما كان فى زماننا هذا يقول صاحب الضحية لوليها الجلد والأكارع ففى هـذا دليل من جهتين : الأول أن من وقف من الصحابة مثل عمر وغيره لم يوقفوا على ورثتهم ولو كان خيرا لبادروا إليه وهذا المصحح لم يصحح بقوله « ثم أدناك أدناك » فإذا كان وقف عمر على أولاده أفضل من الفقراء وأبناء السبيل فما باله لم يوقف عليهم أتظنه اختار المفضول وترك الفاضل أم تظن أنه هو ورسول الله صلى الله عليـه وسلم الذى أمره لم يفهما حكم الله . الثانى أن من احتج على صحة الوقف على الأولاد وتفضيل البعض لم يحتج إلا بقوله تليه حفصة ثم ذو الرأى وإنه يأكل بالمعروف وقد بينا معنى ذلك وأنه لم يبر أحد وإنما جعل ذلك للولى عن تعبه فى ذلك فإذا كان المستدل لم يجد عن الصحة إلا هذا تبين لك أن قولهم تصدق أبو بكر بداره على ولده وتصدق فلان وفلان ، وأن الزبير خص بعض بناته ليس معناه كما فهموا وإنما معناه أنهم تصدقوا بما ذكر صدقة عامة على المحتاجين فكان أولاده إذا قدموا البلد نزلوا تلك الدار لأنهم من أبناء السبيل كما يوقف الإنسان مسقاة ويتوضأ منها وينتفع بها هو وأولاده مع الناس ، وكما يوقف مسجدا ويصلى فيه . وعبارة البخارى فى صحيحه : وتصدق أنس بدار فكان إذا قدم نزلها وتصدق الزبير بدوره واشترط للمردودة من بناته أن تسكنها فتأمل عبارة البخارى يتبين لك أن ماذكر عن الصحابة مثل من وقف نخلا على المفطرين من الفقراء فى هذا المسجد ويقول إن افتقر أحد من ذريتى فليفطر معهم فأين هذا من وقف الجنف والإثم ، على أن هذه العبارة كلام الحميدى والحميدى فى زمن القاضى أبى يعلى وأجمع أهل العلم على أن مراسيل المتأخرين لا يجوز الاحتجاج بها فمن احتج بها فقد خالف الإجماع هذا لو فرضنا أنه يدل على ذلك فكيف وقد بينا معناه ولله الحمد . إذا تبين لك أن من أجاز الوقف على الأولاد والتفضيل لم يجد إلا حديث عمر ، وقوله ليس على من وليه جناح وأن الموفق وغيره ردوا على من احتج به تبين لك أن حديث عمر من أبين الأدلة على بطلان الوقف الجنف والإثم ، وأما قوله لم يكن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف فهل هذا يدل على صحة وقف الجنف والإثم وما مثله إلا كمن رأى رجلا يصلى فى أوقات النهى

فأنكر عليه فقال (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى) ويقول إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون أو يذكر فضل الصلوات وكذلك مسألتنا إذا قلنا (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين — ولهن الربع مما تركتم) وغير ذلك أو قلنا «إن الله أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث» أو قلنا إن النبى صلى الله عليه وسلم غلظ القول فيمن تصدق بماله كله أو قلنا «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» وادعوا علينا أن الصحابة وقفوا هل أنكرنا الوقف كأهل الكوفة حتى يحتج علينا بذلك. وأما قول أحمد من رد الوقف فكأنما رد السنة فهذا حق ومراده وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما ذكره أحمد فى كلامه، وأما وقف الإثم والجنف فمن رده فقد عمل بالسنة ورد البدعة واتبع القرآن، وأما قوله إن فى صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل بالمعروف وإن زيدا وعمرا أسكنا دارهما التى وقفا، فياسبحان الله من أنكر هذا وهذا كمن وقف مسجدا وصلى فيه وذريته أو وقف مسقاة واستسقى منها وذريته وقول الخرقى والظاهر أنه عن شرط فكذلك وهذا شرط صحيح وعمل صحيح كمن وقف داره على المسجد أو أبناء السبيل أو استثنى سكناها مدة حياته وكل هذا يردون به على أهل الكوفة فإن هذا ليس من وقف الجنف والإثم. وأما قوله «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» وقوله «صدقتك على رحمك صدقة وصلة» وقوله «ثم أدناك أدناك» وأشباه ذلك فكل هذا صحيح لا إشكال فيه لكن لا يدل على تغيير حدود الله. فإذا قال (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) ووقف الإنسان على أولاده ثم أخرج نسل الإناث محتجا بقوله «ثم أدناك أدناك» أو صلة الرحم فمثله كمثل رجل أراد أن يتزوج خالة أو عمة فقيرة فتزوجها يريد الصلة واحتج بتلك الأحاديث فإن قال إن الله حرم نكاح الخالات والعمات. قلنا وحرم تعدى حدود الله التى حد فى سورة النساء قال (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) فإذا قال الوقف ليس من هذا، قلنا هذا مثل قوله من تزوج خالته إذا تزوجها لفقرها ليس من هذا فإذا كان عندكم بين المسألتين فرق فبينوه. وأما قول عمر إن حدث بى حادث فإن ثمغى صدقة هذا يستدلون به على تعليق الوقف بالشرط وبعض العلماء يبطله، فاستدلوا على صحته، وأما القول بأن عمر وقفه على الورثة فياسبحان الله كيف يكابرون النصوص ووقف عمر وشرطه ومصارفه ثمغى وغيرها معروفة مشهورة وأما قول عمر إلا سهمى الذى بخيبر أردت أن أتصدق بها فهذا دليل

على أهل الكوفة كما قدمناه ، فأين فى هذا دليل على صحة هذا الوقف الملعون الذى بطلانه أظهر من بطلان أصحاب(٧) بكثير ، وأما وقف حفصة الحلى على آل الخطاب فياسبحان الله هل وقفت على ورثتها أوحرمت أحدا أعطاه الله أو أعطت أحدا حرمه الله أو استثنت غلة مدة حياتها فاذا وقف محمد بن سعود نخلا على الضعيف من آل مقرن أو مثل ذلك هل أنكرنا هذا وهذا وقف حفصة فأين هذا مما نحن فيه، وأما قولهم إن عمر وقف على ورثته فإن كان المراد ولاية الوقف فهو صحيح وليس مما نحن فيه فإن كان مراد القائل إنه ظن أنه وقف يدل على صحة مانحن فيه فهذا كذب ظاهر ترده النقول الصحيحة فى صفة وقف عمر، وأما كون حفصة وقفت على أخ لها يهودى فهو لايرثها ولا ننكر ذلك، وأما كلام الحميدى فتقدم الكلام عنه . وسر المسألة أنك تفهم أن أهل الكوفة يبطلون الوقف على المساجد وعلى الفقراء والقرابات الذين لايرثونهم فرد عليهم أهل العلم بتلك الأدلة الصحيحة ومسألتنا هى إبطال هذا الوقف الذى يغير حدود الله وإيتاء حكم الجاهلية وكل هـذا ظاهر لاخفاء فيه ، ولـكن إذا كان الذى كتبه يفهم معناه وأراد به التلبيس على الجهال كما فعل غيره فالتلبيس يضمحل ،وإن كان هذا قدر فهمه وأنه مافهم هذا الذى تعرفه العوام فالخلف والخليفة على الله، وأما ختمه الكلام بقوله(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فيالها من كلمة ماأجمعها ووالله إن مسألتنا هذه من إنكارها وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم حدود الله والعدل بين الأولاد ونهانا عن تغيير حدود الله والتحيل على محارم الله وإذا قدرنا أن مراد صاحب هـذا الوقف وجه الله لأجل من أفتاه بذلك، فقد نهانا رسول الله صلى الله عليـه وسلم عن البدع فى دين الله ولو صحت نية فاعلها فقال «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وفى لفظ «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» هذا نص الذى قال الله فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قال (وإن تطيعوه تهتدوا) وقال(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فمن قبل ماآتاه الرسول وانتهى عما نهى وأطاعه ليهتدى واتبعه ليكون محبوبا عند الله فليوقف كما أوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما وقف عمر رضى الله عنه وكما وقفت حفصة وغيرهم من الصحابة وأهل العلم ، وأما هذا الوقف المحدث الملعون المغير لحدود الله فهذا الذى قال الله فيه بعد ماحد المواريث والحقوق للأولاد

End of Waqfs

والزوجات وغيرهم (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) وقد علمتم ماقال الرسول فيمن أعتق ستة من العبيد وماردّ وأبطل من ذلك فهوشبيه بمن أوقف ماله كله خالصا لوجه الله على مسجد أوصوّام أوغير ذلك ، فكيف بما هوأعظم وأطم من هذه الأوقاف؟ وأما قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) فوالله الذى لا إله إلا هو إن فعل الخير اتباع ماشرع الله وإبطال من غير حدود الله والإنكار على من ابتدع فى دين الله، هذا هو فعل الخير المعلق به الفلاح خصوصا مع قوله صلى الله عليه وسلم «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» وقوله «لا ترتكبوا ماارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» وقوله «لعن الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وأكلوا ثمنها» فليتأمل اللبيب الخالى عن التعصب والهوى الذى يعرف أن وراءه جنة ونارا الذى يعلم أن الله يطلع على خفيات الضمير هذه النصوص ويفهمها فهما جيدا ثم ينزلها على مسئلة وقف الجنف والإثم فيتبين له الحق إن شاء الله، وصلى الله على محمد وآله وسلم. هذا آخر ماذكره الشيخ رحمه الله فى الرد على من أجاز الوقف الجنف وبيان الوقف الصحيح الموافق لما فعله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأما قول عدو الله ابن سحيم فى تشنيعه على الشيخ رحمه الله إنه أحرق دلائل الخيرات لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا فهذا من الكذب والزور ، وقد أجاب الشيخ رحمه الله عن هذا فى بعض رسائله بقوله : وأما دلائل الخيرات فلذلك سبب وذلك أنى أشرت على من قبل نصيحتى من إخوانى أن لا يصير فى قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن. وأما إحراقه والنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى لفظ كان فهذا من البهتان. وأما قوله وأحرق أيضا روض الرياحين وسماه روض الشياطين فهذا من الكذب والزور المبين . وأما إنكار الشيخ رحمه الله فيه ماخالف الكتاب والسنة وأنكره غيره من علماء المسلمين من ترّهات الصوفية وشطحاتهم التى تخالف السنة المحمدية وتمجه الطباع التى سلمت من العصبية وتنفر عنه الأسماع التى هى عن وقر الباطل خلية فأين الغارة لله تعالى والغضبية وأين النصرة لسنة نبيه والحمية عند سماع مثل بعض الحكايات

الردية كما ذكر فى بيع الجنة وغرفها العلية عند الحكاية السادسة والستين والأربعمائة وفى غيرها مثل كون الولى يجر على مركب فى الهواء من الذهب مثل قول بعضهم إن البر فى يمينه والبحر فى شماله فهذا مقام الربوبية بلا خفاء ولا إشكال ، وليس وراءه ضلال ودعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين وعلمهم بما سيقع من الغيب فى العالمين وأمثال هذه الحكايات وأشكال هذه التزاوير والخرافات الصادرة فمن لم يكن له إلى منهاج السنة التفات ولم يبال بما وقع فيه من الهلكات وما صدر منه على منصب الشرع من الجنايات وما أتى به من البهتان والزور مما تضيق عند سماعه القلوب والصدور ، (ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) ولولم يكن فيه إلا ما ذكره فى خاتمة ذلك الكتاب من ذلك الكلام الذى هو هتك للشريعة من غير ارتياب وسلوك للغى من كل باب مثل ماذكر عن بعضهم من ترك الصلوات وكشف العورات بحضرة الناس وكون هذا فى العذر له وجه التماس كما جرى لموسى مع الخضر حسبما فى القرآن قد ذكر ، فقد ذكر كافة العلماء أن من ادعى أنه يسعه الخروج عن الشريعة الغراء فقد أتى ضلالا وكفرا ، وأن تلك الدعوى تصيره مرتدا فيقيم عليه أهل الحق حدا حتى يرجع عما خرق به الدين وتعدى . وأما قوله ومن أعظمها أن من لم يوافقه فى كل ماقال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه فى كل ما قال قال أنت موحد ولو كان فاسقا محضا أو مكاسا ، وبهذا ظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله فمراده بذلك أن من وافق الشيخ على توحيد الله وتبرأ من عبادة الأوثان تاج وشمسان وإدريس وقريوه والمغربى وتبرأ من الشرك وأهله سماه موحدا ومن لم يوافقه على توحيد الله وإخلاص العبادة له بجميع أنواعها ، واستمر على عبادة المخلوقين مع الله وسب دين الله الذى يدعو إليه هذا الشيخ يقطع بكفره . وهذا الخبيث وأشباهه لا يعرفون الشرك فى العبادة ويظنون أن الشرك إذا جعل الإنسان مخلوقا مع الله فى التدبير والملك والإحياء والإماتة والنفع والضرر . وأما كونه يجعل المخلوقين وسائط بينه وبين الله يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وقصده بذلك التقرب بهم إلى الله وطلب شفاعتهم فهذا عند هؤلاء المشركين من أعظم القربات وأفضل الطاعات ومن أنكر هذا كفروه وبدّعوه وخرجوه ونسبوه إلى السفه والضلال كما فعل إخوانهم من المشركين حيث حكى الله عنهم أنهم

قالوا لنوح عليه السلام حين أمرهم بالتوحيد وإخلاص الدعوة لله (إنا لنراك فى ضلال مبين) وقال قوم هود لهود عليه السلام (إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين – إلى قوله – أجئتنا لنعبدالله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) . وأما قوله ومن وافقه فى كل ماقال قال أنت موحد ولو كان فاسقا أو مكاسا فمراده بذلك أن من وافقه على إخلاص العبادة والدعوة لله وتاب وأناب إلى الله مما كان يفعله من الشرك بالله و دعوة الصالحين وغيرهم من الأحياء والأموات وعرف معنى قوله لا إله إلا الله وأنها نفى وإثبات فشطرها الأول نفى الإلهية مطلقا . والثانى إثباتها لله دون ماسواه من أهل السموات والأرض ، ومن الأحياء والأموات سماه مؤمنا موحدا ولو كان فاسقا أو مكاسا ، وهو صادق فى ذلك. وذلك أن الإنسان إذا عرف التوحيد وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ رحمه الله مؤمن موحد ولو كان فاسقا أو مكاسا وكذلك عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة وذلك أن الإنسان إذا دخل فى الإسلام وحكم بإسلامه لايخرجه من الإسلام مايفعله من الكبائر كالسرقة والزنا وشرب المسكر وأخذ الأموال ظلما وعدوانا وإنما يخرجه من الإسلام إلى الكفر الشرك بالله وإنكار ماجاء به الرسول من الدين بعد معرفته بذلك وإقامة الحجة عليه وقد قال تعالى (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فثبت بهذه الآية المحكمة أن جميع الذنوب ماخلا الشرك بالله معلقة بالمشيئة قد يغفرها لمن يشاء من عباده وأن الشرك بالله لايغفره إلا بالتوبة ومن مات عليه فهو من أهل النار المخلد فيها ولو كان من أعبد الناس وأزهدهم ولا ينفع مع الشرك بالله عمل البتة ، ولكن هذا الرجل وأشباهه لايعرفون إلا ظلم الأموال والمعاصى . وأما ظلم الشرك الذى قال الله فيه (إن الشرك لظلم عظيم) وقال فيه رسوله صلوات الله وسلامه عليه لما سئل «أى الذنب أعظم؟ أن تجعل لله ندا وهو خلقك» . وأما قوله ومنها إبطاله الجعالة على الحج فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذى يبطله الشيخ رحمه الله من ذلك ماأبطله غيره من علماء المسلمين، وهو أنه لايحج إلا لأن يعطى أجرة أو جعلا على ذلك فهذا عمله باطل ولا ثواب له فى الآخرة لأنه قصد بعمله الدنيا ومن قصد بعمله الذى يبتغى به وجه الله الدنيا فليس له فى الآخرة من نصيب . وصح فى الشرح الكبير والمغنى أنه

لايجوز الاستئجار للحج قالا وهو مذهب أبى حنيفة وإسحاق لأنها عبادة يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة فلم يجز أخذ الأجرة عليها كالصلاة. قال الشيخ تقى الدين رحمه الله: والمستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج لاأن يحج ليأخذو مثله كرزق أخذ على عمل صالح يفرق بين من قصد الدين والدنيا وسيلة والأشبه أن عكسه ليس له فى الآخرة من نصيب. والأعمال التى يختص فاعلها أن يكون من أهل القربة هل يجوز إيقاعها على غير وجه القربة فمن قال لايجوز ذلك لم يجز الإجارة عليها لأنها بالعوض تقع غير قربة وإنما الأعمال بالنيات والله تعالى لايقبل من العمل إلاما أريد به وجهه، ومن جوّز الإجارة جوز إيقاعها على غير وجه القربة. وقال تجوز الإجارة عليها لما فيها من نفع المستأجر انتهى، ذكره عنه فى الاختيارات فهذا الذى ذكره الشيخ رحمه الله لمن استفتاه فى الجعالة على الحج. وأما قوله إنه ترك تمجيد السلطان فى الخطبة فهو صادق فى ذلك، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثة، وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة، ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين. وأما قوله وأبطل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة وليلتها فهذا الكلام مع بشاعة لفظه فيه إيهام وإبهام وتشنيع بظاهره عند العوام وتنفير لهم عن توحيد الملك العلام فإن الشيخ رحمه الله لم ينه عن ذلك ولم يبطله إلا الفعل الذى يفعل فى كثير من البلدان، وقد أبطله جماعة قبله من الأعيان وأنكره جمع من نقاد هذا الشان، وقالوا لايتقرب به إلى الله تعالى ولايدان، لأنه بدعة محضة أظهرها فى مقام العبادة الشيطان وأشرب حبها من هو فى الحماقة والتعصب كالولدان، خير الهدى هدى الرسول وما ورد عن خلفائه مقبول وما حدث بعد القرن السابع وكان بعده متواليا متتابعا حتى صير واتخذ دينا ومنهجا جاء به الشارع وكان للنفوس إليه أعظم داع ووازع فلا يسوغ لذوى العقول من حملة الشرع ومما رسى المنقول أن يسكتوا عنه فلا ينتهروا صاحبه ولا يزجروه ولا يزيلوه فوراً ويغيروه ولايعترضوه وينكروه فضلاعن كونهم يرتضون فعله ويقرون أربابه وأهله وليت من دان لله تعالى به عرف دين من أصله ووضعه حتى يعترض على من أنكره ومنعه، فقد ذكر السيوطى فى كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل أن أول ماحدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد السبعمائة فى زمن الناصر بن قلاوون

ولا شك أن ما كان من الدين إذ ذاك متخذا مجعول ، ومؤسسا شرعه منحول ليس مأخوذا به ولا معمول، أما يخاف مغتر من شؤم ذنبه وسخطه لمولاه وربه فى توسله وتوصله إليه وتقربه بعمل لم يشرعه سبحانه ولم يأذن به ، فويل لمن يحرف الكلم عن مواضعه وينتحل فى الدين ماليس واضعه ويحسن ذلك فى مواقعه ويضلل من قام حسبة لله فى تهيئة موانعه،ماجوابه إذا قام بين يدى مولاه فيما أسداه من الدين وأبداه وزاد على ماجاء به الرسول وأتاه أظن أن تأسيس دينه ناقص فكمله ومحياه قبيح فحسنه وجمله نعوذ بالله مما تقوله الغلاة ونسأله أن يجنبنا طريق الغواة ولا حول ولا قوة إلا بالله، وليعلم القارىء لهذا الكتاب والواقف على هذا الخطاب أن خلاصة البيان عن ذلك فى الجواب أن الذى أنكره من غير شك ولا ارتياب هو مايفعل فى غالب الأمصار ويعمل فى كثير من الأقطار لاسيما الحرمين كما صح بالمشاهدة والأخبار ، وذلك أنه يصعد ثلاثة أو أكثر على رءوس المنار ويقرءون آيات من القرآن ويصلون على النبى بأرفع صوت وإعلان ويأتون بقبيح الألحان وأصوات تحاكى غناء القيان ويمططون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة وينقلونها من معناها إلى معنى، وكفى بهذا إثماً ووهنا وتغييرا لما أراد الله بأسمائه وصفاته . لقد خسر والله من ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً. وأما قوله ومنها أنه يقول إن الذى يأخذه القضاة قديما وحديثا إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة إن ذلك رشوة وهـذا قول يخالف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ماأخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل وأن للقاضى أن يقول لاحكم بينكم إلا بجعل فقد تقدم جواب الشيخ رحمه الله تعالى عن ذلك فى فصل ذكر المسائل فى المسألة السادسة حين سئل عن ذلك فأجاب وأجاد وأصاب فى ذلك منهج السداد فليراجع فى محله،وقول هذا الجاهل الغبى إن الرشوة ماأخذ لإبطال حق إلى آخره وقوله إن هذا هو نص جميع الأمة فهذا لايشك عاقل فضلا عن عارف فاضل أنها دعوى مردودة قبيحة وحجة واهية فضيحة لاتصدر ممن له فى أدنى العلوم ممارسة ومذاكرة ومدارسة ، فالكتب من المذاهب الأربعة مصرحة بضد مااختلقه ووضعه والخلاف فيها عنهم مسطر والنزاع محرر فيها ومقرر، ومحل الخلاف المسطور والنزاع المقرر المشهور فيما إذا أخذ من كلا الخصمين وكانا فى المأخوذ منهما مستويين لايزيد منهما أحد على أحد فيما دفع إليه ونقد ولم

يكن القضاء متعينا عليه وإلا فلا شك فى حرمة مادفع إليه ، وأن يكون فقيرا محتاجا وإلا فلا يسلك لذلك فجاجا ، وأن لايضر ذلك بالخصوم وإلا فالاتفاق على كونه رشوة من المعلوم، وأن يأذن له فى الأخذ السلطان، وأن يمنعه القضاء عن التكسب فى ذلك الزمان ، وأن يكون ذلك بقدر الحاجة كما وضح المجيز لذلك منهاجه، وأن لايزيد على أجرة العمل كما اشترطه من أباحه ونقل ، وأن لايوجد متطوع بالقضاء ، وأن يكون لكل من الخصمين بما دفع رضا إذ لايحل مال امرىء بغير طيب نفس وإن لم يكن فلا ريب أنه نجس ، هذه المسألة هى محل النزاع وما سوى ذلك فهو محرم بالإجماع ، وقد سد ولله الحمد أصحاب مالك جميع تلك المناهج والمسالك ولم يجيزوا للقاضى أخذ شىء أصلا ولم يأذنوا أن ينتهج لذلك سبلا ، وعباراتهم فى الكتب المحررة الصحيحة وافية بالمراد صريحة ونص التبصرة لابن فرحون الإمام تبين مناهج الأحكام : ويلزم القاضى أمور : منها أنه لايقبل الهدية ولو كافأ عليها أضعافها إلا من خواص القرابة كالولد والوالد والعمة والخالة وبنت الأخ لأن الهدية تورث إدلال المهدى وإغضاء المهدى إليه وفى ذلك ضرر القاضى ودخول الفساد عليه، وقيل إن الهدية تطفىء نور الحكمة . وقال ربيعة : إياك والهدية فإنها ذريعة الرشوة. وأجاز أشهب قبولها من غير الخصمين إذا كان صديقا وكافأه عليها أو كان قريبا . وقال سحنون: لايقبلها إلا من ذى رحم. ولابن سحنون عن مالك : لاينبغى لأمير ولا لعامل صدقة أن ينزل على أحد من أهل عمله ولا يقبل له هدية ولا منفعة . قال ابن حبيب : لم تختلف العلماء فى كراهة الهدية للسلطان الأكبر وإلى القضاة والعمال وجباة المال ، وهذا قول مالك ومن قبله من أهل العلم والسنة، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وهذا من خواصه ، والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم مما يتقى على غيره منها. ولما رد عمر بن عبد العزيز الهدية قيل له كان النبى صلى الله عليه وسلم يقبلها فقال كانت له هدية ولنا رشوة. وقال صلى الله عليه وسلم «يأتى على الناس زمان يستحل فيه السحت بالهدية» وقال ابن عبد الغفور : وما أهدى إلى الفقيه رجاء العون على خصمه أو فى مسألة تعرض عنده رجاء قضاء حاجته على خلاف المعمول به فلا يحل له قبولها وهى رشوة يأخذها ، وكذلك إذا تنازع عنده خصمان فأهديا إليه جميعا أو أحدهما يرجو كل واحد منهما أن يعينه فى حجته أو عند حاكم إذا كان ممن يسمع فلا يحل له الأخذ منهما ولا من أحدهما. قال ابن فرحون:

وأرزاق الأعوان الذين يوجههم الإمام فى مصالح الناس ورفع المدعى عليه وغير ذلك تكون من بيت المال كالحكم فى رزاق القضاة ، ولا ينبغى للقاضى أن يجعل لهم شيئا فى أموال المسلمين ، وإذا كان لهم رزق من بيت المال فلا يجوز لهم أخذ شىء على القضايا التى يبعثون فيها ، كما لا يجوز للقضاة أخذ شىء ، فإن لم يصرف لهم شىء من بيت المال دفع القاضى للطالب طابعا يوقع به الخصم إلى مجلس الحكم ، فإن لم يرتفع واضطر إلى الأعوان فليجعل القاضى لهم شيئا من رزقه إذا أمكنه وقوى عليه إذ رفع المطلوب مما يلزمه ، فإن عجز عن ذلك فأحسن الوجوه أن يكون الطالب هو المستأجر على النهوض فى إحضار المطلوب ورفعه فيتفق مع المعين على ذلك بما يراه إلا أن يتبين رد الجواب بالطالب وأنه امتنع من الحضور بعد أن دعاه ، فإن أجرة المعين الذى يحضره على المطلوب انتهى المقصود منه ، ونحو هذا عبارة متأخرى مذهبهم مثل خليل وشراحه فإنها صريحة فى ذلك فانظر رحمك الله إلى كلام هؤلاء الأئمة وتغليظهم فى هذا الأمر هذا التغليظ وسدهم الباب على القاضى أن يأخذ شيئا من الخصمين أو أحدهما سواء كان له فى بيت المال رزق أو لم يكن وسواء كان غنيا أو فقيرا . وقد حرم ذلك مطلقا أيضا من أصحاب الشافعى الزركشى صاحب المنهاج كالسبكى وشريح الرويانى واشترط الماوردى من أصحاب الشافعى لجواز الأخذ من الخصمين عشرة شروط : (أحدها) أن يكون فقيرا . (ثانيها) أن يقطعه النظر عن كسبه . (ثالثها) أن يكون أجرة على الخصمين معا بالسوية بينهما لأنه لو أخذه أو الاكثر من أحدهما تطرقت إليه التهمة والريبة . (رابعها) أن يأذن له السلطان فى الأخذ ، فإن لم يأذن امتنع عليه . (خامسها) أن لا يوجد متطوع بالقضاء ، فإن وجد امتنع الأخذ لأنه لا ضرورة إليه . (سادسها) أن يعجز الإمام عن القيام برزقه من بيت المال ، فمتى أمكن الإمام القيام به من بيت المال لم يجز له أن يأخذ شيئا منهما (سابعها) أن يكون ما يأخذه غير مضر بالخصمين فمتى أضر بهما المأخوذ لم يجز له أن يأخذ شيئاً منهما . (ثامنها) أن يكون المأخوذ بقدر حاجته أى الناجزة حال الحكومة فيما يظهر ، وقال غير الماوردى : أن لا يزيد على أجرة عمله . قال بعضهم : والظاهر أن كلا منهما شرط انتهى . (تاسعها) أن يعلم الخصمين قبل التحاكم إليه أن من عادته الأخذ من الخصوم ، فإن لم يعلما ذلك إلا بعد الحكم لم يجز له أن يأخذ شيئا منهما ولا من أحدهما . (عاشرها) أن يكون قدر المأخوذ معلوما يتساوى فيه الخصوم

وإن تفاضلوا فى المطلب، فإن فاضل بينهم لم يجز إلا أن يتفاضلوا فى الزمان ثم قال بعد كلام : فمن أراد السلامة لدينه والخلاص من ورطة هذا الخلاف وهذه التشديدات العظيمة فليترك القضاء أو يتطوع به والله سبحانه يرزقه من حيث لايحتسب كما قال تعالى فى كتابه العزيز (ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لايحتسب) وأما من يتولى القضاء ليتأثل به الأموال على اختلاف أنواعها فهو الذى أخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه فى النار وبأنه ذبح بغير سكين وبغير ذلك من المصائب التى تلحقه فى الدنيا والآخرة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) انتهى ماذكره الماوردى رحمه الله. نقله ابن حجر فى فتاويه وقال فى الإنصاف للحنابلة : إذا لم يكن له ما يكفيه ففى جواز أخذه من الخصمين وجهان وأطلقهما فى الفروع والرعاية الكبرى والحاوى الصغير : أحدهما يجوز . والثانى لايجوز واختاره فى الرعايتين والنظم . قلت وهو الصواب أيضا ، وفى باب أدب القاضى : الرشوة مايعطى بعد طلبه ، والهدية الدفع إليه ابتداء قاله فى الترغيب و ذكره عنه فى الفروع فى باب حكم الأرضين المغنومة . قال أحمد رحمه الله فيمن ولى شيئا من أمر السلطان : لا أجيز له أن يقبل شيئاً يروى «هدايا الأمراء غلول» والحاكم خاصة لاأجيز له إلا ممن كان له به خلطة ووصلة ومكافأة قبل أن يلى انتهى . وروى ابن أبى حاتم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال «من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة ويرد عليه حقا فأهدى له هدية فقبلها فذاك السحت » فقلنا يا أبا عبد الرحمن إنا كنا نعد السحت الرشوة فى الحكم فقال عبد الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وروى أيضا فى تفسيره بإسناده عن مسروق قال : القاضى إذا أكل الهدية فقد أكل السحت وإذا قبل الرشوة بلغت به الكفر . وروى أبو حيان فى تفسيره أن أبا حنيفة قال : إذا ارتشى الحاكم يعزل . قال أبو حيان : ومن أعظم السحت الرشا فى الحكم وهى المشار إليها فى قوله (أكالون للسحت) قال الحسن : كان الحاكم فى بنى إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها فى كمه فأراه إياها فتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب انتهى . وأما قوله ومنها أن يقطع بكفر الذى يذبح الذبيحة ويسمى عليها ويجعلها لله تعالى ويدخل مع ذلك دفع شر الجن ويقول ذلك كفر واللحم حرام والذى ذكره العلماء فى ذلك أنه ينهى عنه فقط ذكره فى حاشية المنتهى والذى ذكره الشيخ

رحمه الله فى الذبح للجن أو غيرهم أنه كفر يكفر به المسلم إذا ذبحه تعظيما له وتقربا إليه وإرادة أن يدفع عنه السوء والمكروه الذى جعل به . وقد نص العلماء رحمهم الله على أن ذلك كفر وردة قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم فى باب تحريم الذبح لغير الله : قوله صلى الله عليه وسلم «لعن الله من ذبح لغير الله» أما الذبح لغير الله تعالى فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى كمن ذبح للصليب أو للصنم أو لموسى أو عيسى صلى الله عليهما وسلم أو للكعبة ونحو ذلك فكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانيا أو يهوديا نص عليه الشافعى واتفق عليه أصحابنا ، فإن قصد بذلك تعظيم المذبوح له غير الله والعبادة له كان ذلك كفر ،فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك صار بالذبح مرتدا انتهى ، وقد قال الشيخ تقى الدين [فى اقتضاء الصراط المستقيم] فى الكلام على قوله تعالى وما أهل به لغير الله ظاهره أن ماذبح لغير الله تعالى سواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هـذا أظهر من تحريم ماذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه، كما أن ماذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله تعالى له بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم ، وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقى هـذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم لـكن يجتمع فى الذبيحة مانعان ، ومن هذا مايفعل بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه ، فانظر رحمك الله كيف صرح هذا الإمام بأن الذبح للجن كفر وردة عن الإسلام وأن الذبيحة تحرم ولو سمى الله عليها لأنها تصير ذبيحة مرتد ، وكذلك تصريح الإمام النووى رحمه الله بأن الذابح إذا قصد تعظيم المذبوح له والعبادة له كان ذلك كفرا وإن كان مسلما قبل ذلك صار بالذبح مرتدا ولا يخالف فى ذلك أحد من أئمة الإسـلام بل كلهم مجمعون على ذلك وهـذا هو الذى يقول الشيخ رحمه الله إنه كفر وردة إذا ذبح للجن تقربا إليهم وقصده بذلك أن يبرىء مريضه من شكواه ، ومن العجب أن ذلك يفعل فى بلدان العارض وغيرها لاينكره أحد من علمائهم على من فعله بل منهم من يفتى الجهال بذلك ويقول اذبحوا على هذا الصبى أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن ولا تسموا عليها وقصده بذلك أن الجن يزيلون ذلك المرض إذا ذبحت لهم تلك الذبيحة . فلما

أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم أن ذلك كفر وردة ينكر ذلك عليه من يزعم أنه من العلماء فهل يشك أحد من العلماء أن ذلك كفر وشرك وعبادة للجن ، نعوذ بالله من الطبع على القلب . وأما من ذبح مخلصا لله فى ذلك النية وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه فهذا عمل خالص لله لاينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر فضلا عن أن يجعله كفراً وردة ، ولكن هذا الخبيث يفترى الكذب الظاهر على الشيخ رحمه الله عداوة منه لدين الله ورسوله وحنقا وحسدا لهذا الشيخ وأتباعه أن خصهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ، (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) .

فصل

ومنها رسالة كتبها الشيخ رحمه الله إلى سليمان بن سحيم صاحب تلك الرسالة التى شنع بها على الشيخ المتقدمة قبل ذلك وجوابها وكان الشيخ رحمه الله قد أرسل له وتلطف له قبل ذلك فلما تبين للشيخ أنه معاند للحق والإيمان ومن أعوان أهل الشرك والطغيان كتب له هذه الرسالة وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الذى يعلم به سليمان بن سحيم أنك أزعجت قرطاسة فيها عجائب ، فإن كان هذا قدر فهمك فهذا من أفسد الأفهام ، وإن كنت تلبس به على الجهال فما أنت برابح وقبل الجواب نذكر لك أنك أنت وأباك مصرحون بالكفر والشرك والنفاق ، ولكن صائر لكم عند خمامة فى معكال قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء ونداريكم وودنا أن الله يهديكم ويهديهم وأنت إلى الآن أنت وأبوك لاتفهمون شهادة أن لا إله إلا الله أنا أشهد بهذا شهادة يسألنى الله عنها يوم القيامة أنك لاتعرفها إلى الآن ولا أبوك ونكشف لك هذا كشفاً بيناً لعلك تتوب إلى الله وتدخل فى دين الإسلام إن هداك الله وإلا تبين لكل من يؤمن بالله واليوم الآخر حالكما والصلاة وراءكما وقبول شهادتكما وحظكما ووجوب عداوتكما كما قال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) وأكشف ذلك بوجوه : (الأول) أنكم

تقرون أن الذى يأتيكم من عندنا هو الحق وأنت تشهد به ليلا ونهارا ، وإن جحدت هذا شهد عليك الرجال والنساء ثم مع هذه الشهادة أن هذا دين الله أنت وأبوك مجتهدان فى عداوة هـذا الدين ليلا ونهارا ومن أطاعكما وتبهتون وترمون المؤمنين بالبهتان العظيم وتصورون على الناس الأكاذيب الكبار فكيف تشهد أن هـذا دين الله ثم تتبين فى عداوة من تبعه . (الوجه الثانى) أنك تقول إنى أعرف التوحيد وتقر أن من جعل الصالحين وسائط فهو كافر والناس يشهدون عليك أنك تروح المولد وتقرأه لهم وتحضرهم وهم ينحون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعدّ لذلك فإذا كنت تعرف أن هـذا كفر فكيف تروح لهم وتعاونهم عليـه وتحضر كفرهم . (الوجه الثالث) أن تعليقهم التمائم من الشرك بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر تعليق التمائم صاحب الإقناع فى أول الجنائز وأنت تكتب الحجب وتأخذ عليها شرطا حتى إنك كتبت لامرأة حجابا لعلها تحبل وشرطت لك حمرين وطالبتها تريد الحمرين فكيف تقول إنى أعرف التوحيد وأنت تفعل هذه الأفاعيل؟ وإن أنكرت فالناس يشهدون عليك بهذا. (الوجه الرابع) أنك تكتب فى حجبك طلاسم ، وقد ذكر فى الإقناع أنها من السحر والسحر يكفر صاحبه فكيف تفهم التوحيد وأنت تكتب الطلاسم، وإن جحدت فهذا خط يدك موجود . (الوجه الخامس) أن الناس فيما مضى عبدوا الطواغيت عبادة ملأت الأرض بهـذا الذى تقر أنه من الشرك ينخونهم ويندبونهم ويجعلونها وسائط وأنت وأبوك تقولان نعرف هذا لكن ماسألونا فإذا كنتم تعرفونه كيف يحل لكم أن تتركا الناس يكفرون ماتنصحونهم ولولم يسألوكم . (الوجه السادس) أنا لما أنكرنا عبادة غير الله بالغتم فى عداوة هـذا الأمر وإنكاره وزعمتم أنه مذهب خامس وأنه باطل وإن أنكرتما فالناس يشهدون عليكم بذلك وأنتم مجاهرون به فكيف تقولون هذا كفر ، ولكن ماسألونا عنه فإذا قام من يبين للناس التوحيد قلتم إنه مغير الدين وآت بمذهب خامس فإذا كنت تعرف التوحيد وتقر أن كلامى هـذا حق فكيف تجعله تغييرا لدين الله وتشكونا عند أهل الحرمين، والأمور التى تدل على أنك أنت وأباك لاتعرفان شهادة أن لاإله إلا الله لاتحصر لكن ذكرنا الأمور التى لاتقدر تنكرها وليتك تفعل فعل المنافقين الذين قال فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) لأنهم يخفون نفاقهم

وأنت وأبوك تظهران للخاص والعام . وأما الدليل على أنك رجل معاند ضال على علم مختار الكفر على الإسلام، فمن وجوه : (الأول) أنى كتبت ورقة لابن صالح من سنتين فيها تكفير الطواغيت شمسان وأمثاله وذكرت فيها كلام الله ورسوله وبينت الأدلة فلما جاءتك نسختها بيدك لموسى بن سليم ثم سجلت عليها وقلت ماينكر هذا إلا أعمى القلب وقرأها موسى فى البلدان وفى منفوحة وفى الدرعية وعندنا ثم راح بها للقبلة فإذا كنت من الأول موافقا لنا على كفرهم وتقول ماينكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فالعلم الذى جاءك بعد هذا يبين لك أنهم ليسوا بكفار بينه لنا . (الوجه الثانى) أنى أرسلت لك رسالة الشيخ تقى الدين التى يذكر فيها أن من دعا نبياً أو صحابياً أو ولياً مثل أن يقول ياسيدى فلان انصرنى وأغثنى أنه كافر بالإجماع فلما أتتك استحسنتها وشهدت أنها حق وأنت تشهد به الآن فما الموجب لهذه العداوة . (الوجه الثالث) أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله وأنه الحق وقلته على رءوس الأشهاد ، وإذا خلوت مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر . (الوجه الرابع) أن عبد الرحمن الشنيفى ومن معه لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق وشهدت أن الطواغيت كفار وتبرأت من طالب الحمضى وعبد الكريم وموسى بن نوح فأى شىء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذى تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق؟ (الوجه الخامس) أنك لما خرجت من عند الشيوخ وأتيت عند الشنيفى جحدت الكلام الذى قلت فى المجلس، فإن كان الكلام حقا فلأى شىء تجحده وأنت وأبوك مقران أنكما لاتعرفان كلام الله ورسوله لكن تقولان نعرف كلام صاحب الإقناع وأمثاله ؟ وأنا أذكر لك كلام صاحب الإقناع أنه مكفرك ومكفر أباك فى غير موضع من كتابه : الأول أنه ذكر فى أول سطر من أحكام المرتد أن الهازل بالدين يكفر وهذا مشهور عنك وعن ابن أحمد بن نوح الاستهزاء بكلام الله ورسوله وهذا كتابكم كفركم . الثانى أنه ذكر فى أوله أن المبغض لما جاء به الرسول كافر بالإجماع ولو عمل به وأنت مقر أن هذا الذى أقول فى التوحيد أمر الله ورسوله والنساء والرجال يشهدون عليكم أنكم مبغضون لهذا الدين مجتهدون فى تنفير الناس عن الكذب والبهتان على أهله فهذا كتابكم كفركم . الثالث أنه ذكر من أنواع الردة إسقاط حرمة القرآن وأنتم كذلك تستهزئون بمن يعمل به وتزعمون أنهم جهال

وأنتم علماء . الرابع أنه ذكر أن من ادعى فى على بن أبى طالب ألوهية أنه كافر ، ومن شك فى كفره فهو كافر وهذه مسألتك التى جادلت بها فى مجلس الشيوخ ، وقد صرح فى الإقناع بأن من شك فى كفرهم فهو كافر فكيف بمن جادل عنهم وادعى أنهم مسلمون وجعلنا كفارا لما أنكرنا عليهم . الخامس أنه ذكر أن السحر يكفر بتعلمه وتعليمه والطلاسم من جملة السحر ،فهذه ستة مواضع فى الإقناع فى باب واحد أن من فعلها فقد كفر ، وهى دينك ودين أبيك. فإما أن تبرءوا من دينكم هذا وإلا فأجيبوا عن كلام صاحب الإقناع وكلامناهذا لغيرك الذين عليهم الشرهة مثل الشيوخ أو من يصلى وراءك كادوا أن الله يهديهم ويعزلونك أنت وأبوك عن الصلاة بالناس لئلا تفسد عليهم دينهم وإلا فأنا أظنك لاتقبل ولا يزيدك هـذا الكلام إلا جهالة وكفرا. وأما الكلام الذى لبست به على الناس فأنا أبينه إن شاء الله كلمة كلمة وذلك أن جملة المسائل التى ذكرت أربعا : الأولى النذر لغير الله تقول إنه حرام ليس بشرك . الثانية أن من جعل بينه وبين الله وسائط كفر . أما الوسائط بأنفسهم فلا يكفرون . الثالثة عبارة العلماء أن المسلم لايجوز تكفيره بالذنوب . الرابعة التذكير ليلة الجمعة لاينبغى الأمر بتركه هذه المسائل التى ذكرت . فأما المسألة الأولى فدليلك قولهم إن النذر لغير الله حرام بالإجماع فاستدللت بقولهم حرام على أنه ليس بشرك فإن كان هـذا قدر عقلك فكيف تدعى المعرفة ؟ ياويلك ماتصنع بقول الله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) فهذا يدل على أن الشرك حرام ليس بكفر ياهذا الجاهل الجهل المركب ماتصنع بقول الله تعالى (قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن) إلى قوله (وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا) هل يدل هذا التحريم على أنه لايكفر صاحبه ؟ ياويلك فى أى كتاب وجدته إذا قيل لك هذا حرام إنه ليس بكفر، فقولك إن ظاهر كلامهم أنه ليس بكفر كذب وافتراء على أهل العلم بل يقال ذكر أنه حرام. وأما كونه كفرا فيحتاج إلى دليل آخر والدليل عليه أنه صرح فى الإقناع أن النذر عبادة ومعلوم أن لاإله إلا الله معناها لايعبدوا إلا الله . فإذا كان النذر عبادة وجعلتها لغيره كيف لايكون شركا ؟ وأيضا مسألة الوسائط تدل على ذلك والناس يشهدون أن هؤلاء الناذرين يجعلونهم وسائط وهم مقرون بذلك. وأما استدلالك بقوله من قال أنذروا لى وأنه إذا رضى وسكت لا يكفر فبأى دليل ؟

غاية مايقال إنه سكت عن الأخذ الراضى وعلم من دليل آخر والدليل الآخر أن أن الرضى بالكفر كفر صرح به العلماء وموالاة الكفار كفر وغير ذلك هذا إذا قدر أنهم لايقولونه فكيف وأنت وغيرك تشهد عليهم أنهم يقولون ويبالغون فيه ويقصون على الناس الحكايات التى ترسخ الشرك فى قلوبهم ويبغض إليهم التوحيد ويكفرون أهل العارض لما قالوا لايعبدون إلا الله . وأما قولك مارأينا للترشيح معنى فى كلام العلماء فمن أنت حتى تعرف كلام العلماء ؟ . وأما الثانية وهى أن الذى يجعل الوسائط هو الكافر . وأما المجعول فلا يكفر فهذا كلام تلبيس وجهالة ، ومن قال إن عيسى وعزيرا وعلى بن أبى طالب وزيد بن الخطاب وغيرهم من الصالحين يلحقهم نقص بجعل المشركين إياهم وسائط حاشا وكلا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وإنا كفرنا هؤلاء الطواغيت أهل الخرج وغيرهم بالأمور التى يفعلونها هم منها أنهم يجعلون آباءهم وأجدادهم وسائط ، ومنها أنهم يدعون الناس إلى الكفر ، ومنها أنهم يبغضون عند الناس دين محمد صلى الله عليه وسلم ويزعمون أن أهل العارض كفروا لما قالوا لايعبد إلا الله وغير ذلك من أنواع الكفر وهذا أمر أوضح من الشمس يحتاج إلى تقرير ولكن أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله وتلبس على الجهال الذين يكرهون دين الإسلام ويحبون الشرك ودين آبائهم وإلا فهؤلاء الجهال لو أن مرادهم اتباع الحق عرفوا أن كلامك من أفسد مايكون . وأما المسألة الثالثة وهى من أكبر تلبيسك الذى تلبس به على العوام أن أهل العلم قالوا لايجوز تكفير المسلم بالذنب وهذا حق ولكن ليس هذا مانحن فيه وذلك أن الخوارج يكفرون من زنى أو من سرق أو سفك الدم بل كل كبيرة إذا فعلها المسلم كفر . وأما أهل السنة فمذهبهم أن المسلم لايكفر إلا بالشرك ونحن ما كفرنا الطواغيت وأتباعهم إلا بالشرك وأنت رجل من أجهل الناس تظن أن من صلى وادعى أنه مسلم لايكفر فإذا كنت تعتقد ذلك فما تقول فى المنافقين الذين يصلون ويصومون ويجاهدون قال الله تعالى فيهم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار) وما تقول فى الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم» أتظنهم ليسوا من أهل القبلة ماتقول فى الذين اعتقدوا فى على بن أبى طالب رضى الله عنه مثل اعتقاد كثير من الناس فى عبد القادر وغيره فأضرم لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه ناراً فأحرقهم بها

وأجمعت الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس أنكر تحريقهم بالنار وقال يقتلون بالسيف أتظن هؤلاء ليسو من أهل القبلة أم أنت تفهم الشرع وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايفهمونه أرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا من منع الزكاة ، فلما أرادوا التوبة قال أبو بكر لانقبل توبتكم حتى تشهدون أن قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار أتظن أن أبا بكر وأصحابه لايفهمون ، وأنت وأبوك الذين تفهمون ياويلك أيها الجاهل الجهل المركب إذا كنت تعتقد هذا وأن من أم القبلة لايكفر فما معنى هذه المسائل العظيمة الكثيرة التى ذكرها العلماء فى باب حكم المرتد التى كثير منها فى أناس أهل زهد وعبادة عظيمة ، ومنها طوائف ذكر العلماء أن من شك فى كفرهم فهو كافر ولو كان الأمر على زعمك لبطل كلام العلماء فى حكم المرتد إلا مسألة واحدة وهى الذى يصرح بتكذيب الرسول وينتقل يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا ونحوهم هذا هو الكفر عندك ياويلك ماتصنع بقوله صلى الله عليه وسلم « لاتقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمة الأوثان » وكيف تقول هذا وأنت تقر أن من جعل الوسائط كفر فإذا كان أهل العلم فى زمانهم حكموا على كثير من أهل زمانهم بالكفر والشرك أتظن أنكم صلحتم بعدهم ياويلك. وأما مسألة التذكير فكلامك فيها من أعجب العجاب أنت تقول بدعة حسنة والنبى صلى الله عليه وسلم يقول « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » ، ولم يستثن شيئا تشير علينا به فنصدقك أنت وأبوك لأنكم علماء ونكذب رسول الله والعجب من نقلك الإجماع فتجمع مع الجهالة المركبة الكذب الصريح والبهتان فإذا كان فى الإقناع فى باب الأذان قد ذكر كراهيته فى مواضع متعددة أتظن أنك أعلم من صاحب الإقناع أم تظنه مخالفا للإجماع ، وأيضا لما جاءك عبد الرحمن الشنيفى أقررت لهم أن التذكير بدعة مكروهة فمتى هذا العلم جاءك؟ وأما قولك أمر الله بالصلاة على نبيه على الإطلاق فأيضاً أمر الله بالسجود على الإطلاق فى قوله اركعوا واسجدوا فيدل هذا على السجود للأصنام أو يدل على الصلاة فى أوقات النهى . فإن قلت ذاك قد نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم قلنا وكذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن البدع وذكر أن كل بدعة ضلالة ومعلوم أن هـذا حادث من زمن طويل وأنكره أهل العلم منهم صاحب الإقناع ، وقد ذكر السيوطى فى كتاب الأوائل أن أول ماحدث التذكير يوم الجمعة لنهيؤ الناس لصلاتها بعد السبعمائة فى زمن الناصر بن قلاوون

فأرنا كلام واحد من العلماء أرخص فيه وجعله بدعة حسنة فليس عندك إلا الجهل المركب والبهتان والكذب . وأما استدلالك بالأحاديث التى فيها إجماع الأمة والسواد الأعظم وقوله « من شذ شذ فى النار » و « يد الله على الجماعة »، وأمثال هذا فهذا أيضا من أعظم ماتلبس به على الجهال وليس هذا معنى الأحاديث بإجماع أهل العلم كلهم فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإسلام سيعود غريباً فكيف يأمرنا باتباع غالب الناس ، وكذلك الأحاديث الكثيرة منها قوله « يأتى على الناس زمان لايبقى من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه » وأحاديث عظيمة كثيرة يبين صلى الله عليه وسلم أن الباطل يصير أكثر من الحق وأن الدين يصير غريبا ، ولو لم يكن فى ذلك إلا قوله صلى الله عليه وسلم « ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة » هل بعد هذا البيان بيان ياويلك، كيف تأمر بعد هذا باتباع أكثر الناس ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذى ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به وأن الذى يعرف الدين أقل ممن لايعرفه والذى يضيع الصلوات أكثر من الذى يحافظ عليها والذى يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها ، فإن كان الصواب عندك اتباع هؤلاء فبين لنا وإن كان عنزة وآل ظفير وأشباههم من البوادى هو السواد الأعظم ولقيت فى علمك وعلم أبيك أن اتباعهم حسن فاذكر لنا ونحن نذكر كلام أهل العلم فى معنى تلك الأحاديث ليتبين للجهال الذين موهت عليهم . قال ابن القيم رحمه الله فى أعلام الموقعين : واعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض . وقال عمرو بن ميمون سمعت ابن مسعود يقول « عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة » وسمعته يقول « سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن وقتها فصل الصلاة وحدك » وهى الفريضة « ثم صل معهم فإنها لك نافلة » . قلت ياأصحاب محمد ماأدرى ماتحدثون قال : وما ذاك ؟ قلت تأمرنى بالجماعة ثم تقول صل الصلاة وحدك . قال ياعمرو بن ميمون لقد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية أتدرى ماالجماعة ؟ قلت لا ، قال جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة والجماعة ماوافق الحق وإن كنت وحدك. وقال نعيم بن حماد : إذا فسدت الجماعة فعليك بما كان عليه الجماعة قبل أن تفسد الجماعة وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ . وقال بعض الأئمة وقد ذكر له السواد الأعظم أتدرى ماالسواد الأعظم هو محمد بن أسلم الطوسى وأصحابه الذين جعلوا

السواد الأعظم والحجة والجمهور والجماعة فجعلوهم عيارا على السنة وجعلوا السنة بدعة وجعلوا المعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم فى الأعصار والأمصار وقالوا « من شذ شذ فى النار » وعرف المتخلفون أن الشاذ ماخالف الحق وإن كان عليه الناس كلهم إلا واحدا فهم الشاذون ، وقد شذ الناس كلهم فى زمن أحمد بن حنبل إلا نفرا يسيرا فكانوا هم الجماعة ، وكانت القضاة يومئذ والمفتون والخليفة وأتباعهم كلهم هم الشاذون ، وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة ولما لم تحمل ذلك عقول الناس قالوا للخليفة يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون على الباطل وأحمد وحده على الحق فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة انتهى كلام ابن القيم بإسلامه ولدام سلامه . هذا كلام الصحابة فى تفسير السواد الأعظم وكلام التابعين وكلام السلف وكلام المتأخرين حتى ابن مسعود ذكر فى زمانه أن أكثر الناس فارقوا الجماعة، وأبلغ من هذه الأحاديث المذكورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غربة الإسلام وتفرق هذه الأمة أكثر من سبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة فإن كنت وجدت فى علمك وعلم أبيك ما يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء وإن عنزة وآل ظفير والبوادى يجب علينا اتباعهم فأخبرونا . كتبه محمد بن عبد الوهاب وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ومنها رسالة أرسلها إلى أهل الرياض ومنفوحة وهو إذ ذاك مقيم فى بلد العيينة وكتب إلى عبد الله بن عيسى قاضى الدرعية يسجل تحتها بما رآه من الكلام ليكون ذلك سببا لقبول الجهال والطغام ، وهذا نص الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هـذا الكتاب من المسلمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد قال الله تعالى (والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد) وذلك أن الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم ليبين للناس الحق من الباطل ، فبين صلى الله عليه وسلم للناس جميع ما يحتاجون إليه فى أمر دينهم بيانا تاما ، وما مات صلى الله عليه وسلم حتى ترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها. فإذا عرفت ذلك فهؤلاء الشياطين من مردة الإنس الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له إذا رأوا من يعلم الناس

ماأمرهم به محمد صلى الله عليه وسلم من شهادة أن لاإله إلا الله وما نهاهم عنه مثل الاعتقاد فى المخلوقين الصالحين وغيرهم قاموا يجادلون ويلبسون على الناس ويقولون كيف تكفرون المسلمين كيف تسبون الأموات آل فلان أهل ضيف آل فلان أهل كذا وكذا ومرادهم بهذا لئلا يتبين معنى لاإله إلا الله ويتبين الاعتقاد فى الصالحين النفع والضر ودعاؤهم كفر ينقل عن الملة فيقولون الناس لهم إنكم قبل ذلك جهال لأى شئ لم تأمرونا بهذا . وأنا أخبركم عن نفسى والله الذى لاإله إلا هو لقد طلبت العلم وأعتقد من عرفنى أن لى معرفة وأنا ذلك الوقت لاأعرف معنى لاإله إلا الله ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذى منّ الله به ، وكذلك مشايخى مامنهم رجل عرف ذلك ، فمن زعم من علماء العارض أنه عرف معنى لاإله إلا الله أو عرف معنى الإسلام قبل هـذا الوقت أو زعم عن مشايخه أن أحداً عرف ذلك فقد كذب وافترى ولبس على الناس ومدح نفسه بما ليس فيه. وشاهد هذا أن عبد الله بن عيسى مانعرف فى علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه ، وهذا كلامه واصل إليكم إن شاء الله فاتقوا الله عباد الله ولا تكبروا على ربكم ولا نبيكم واحمدوه سبحانه الذى منّ عليكم ويسر لكم من يعرفكم بدين نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تكونوا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار ، إذا عرفتم ذلك فاعلموا أن قول الرجل : لاإله إلا الله نفى وإثبات ، إثبات الألوهية كلها لله وحده ونفيها عن الأنبياء والصالحين وغيرهم ، وليس معنى الألوهية أنه لايخلق ولا يرزق ولا يدبر ولا يحيى ولا يميت إلا الله فإن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرون بهذا كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلاتتقون) فتفكروا عباد الله فيما ذكر الله عن الكفار أنهم مقرون بهذا كله لله وحده لاشريك له، وإنما كان شركهم أنهم يدعون الأنبياء والصالحين ويندبونهم وينذرون لهم ويتوكلون عليهم يريدون منهم أنهم يقربونهم إلى الله كما ذكر الله عنهم ذلك فى قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) إذا عرفتم ذلك فهؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم من أهـل الخرج وغيرهم مشهورون عند الخاص والعام بذلك وأنهم يترشحون له ويأمرون به الناس

كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ، ومن جادل عنهم أو أنكر على من كفرهم أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلا فلا يخرجهم إلى الكفر فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق لايقبل خطه ولا شهادته ولا يصلى خلفه بل لايصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) ومصداق هذا أنكم إذا رأيتم من يخالف هذا الكلام وينكره فلا يخلو إما أن يدعى أنه عارف فقولوا له هذا الأمر العظيم لايغفل عنه فبين لنا مايصدقك من كلام العلماء إذا لم تعرف كلام الله ورسوله فإن زعم أن عنده دليلا فقولوا له يكتبه حتى نعرضه على أهل المعرفة ويتبين لنا أنك على الصواب ونتبعك فإن نبينا صلى الله عليه وسلم قد بين لنا الحق من الباطل ، وإن كان المجادل يقر بالجهل، ولا يدعى المعرفة .

فيا عباد الله كيف ترضون بالأفعال والأقوال التى تغضب الله ورسوله ، وتخرجكم عن الإسلام اتباعا لرجل يقول إنى عارف فإذا طالبتموه بالدليل عرفتم أنه لاعلم عنده أو اتباعا لرجل جاهل وتعرضون عن طاعة ربكم وما بينه نبيكم صلى الله عليه وسلم وأهل العلم بعده، واذكروا ما قص الله عليكم فى كتابه لعلكم تعتبرون فقال : (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون) ، وهؤلاء أهلكهم الله بالصيحة وأنتم الآن إذا جاءكم من يخبركم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنكم فريقان تختصمون أفلا تخافون أن يصيبكم من العذاب ما أصابهم .

والحاصل أن مسائل التوحيد ليست من المسائل التى هى من فن المطاوعة خاصة بل البحث عنها أو تعلمها فرض لازم على العالم والجاهل والمحرم والمحل والذكر والأنثى ، وأنا لا أقول لكم : أطيعونى ولكن الذى أقول لكم إذا عرفتم أن الله أنعم عليكم وتفضل عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والعلماء بعده فلا ينبغى لكم معاندة محمد صلى الله عليه وسلم. وقولكم إننا نكفر المسلمين كيف تفعلون كذا كيف تفعلون كذا ، فإنا لم نكفر المسلمين بل ما كفرنا إلا المشركين. وكذلك أيضا من أعظم الناس ضلالا متصوفة فى معكال وغيره مثل ولد موسى بن جوعان وسلامة بن مانع وغيرهما يتبعون مذهب ابن عربى وابن الفارض ، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربى من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفرا من اليهود والنصارى فكل من لم يدخل فى دين

محمد صلى الله عليه وسلم ويتبرأ من دين الاتحادية فهو كافر بريء من الاسلام ولا تصح الصلاة خلفه ولا تقبل شهادته، والعجب كل العجب أن الذى يدعى المعرفة يزعم أنى لا أعرف كلام الله ولا كلام رسوله بل يدعى أنى أعرف كلام المتأخرين مثل الاقناع وغيره وصاحب الإقناع قد ذكر أن من شك فى كفر هؤلاء السادة والمشائخ فهو كافر، سبحان الله، كيف يفعلون أشياء فى كتابهم وأن من فعلها كفر، ومع هذا يقولون نحن أهل المعرفة وأهل الصواب وغيرنا صبيان جهال والصبيان يقولون أظهروا لنا كتابكم ويأبون عن إظهاره، أما فى هذا ما يدل على جهالتهم وضلالتهم، وكذلك أيضا من جهالة هؤلاء وضلالتهم إذا رأوا من يعلم الشيوخ وصبيانهم أو البدو شهادة أن لا إله إلا الله قالوا: قولوا لهم يتركون الحرام وهذا من عظيم جهلهم فإنهم لا يعرفون إلا ظلم الأموال؛ وأما ظلم الشرك فلا يعرفون وقد قال الله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم) وأين الظلم الذى إذا تكلم الإنسان بكلمة منه أو مدح الطواغيت أو جادل عنهم خرج من الاسلام، ولو كان صائما قائما من الظلم الذى لا يخرج من الاسلام بل إما أن يؤدى إلى صاحبه بالقصاص وإما أن يغفره الله فبين الموضعين فرق عظيم.

وبالجملة رحمكم الله إذا عرفتم ماتقدم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد بين الدين كله فاعلموا أن هؤلاء الشياطين قد أحلوا كثيرا من الحرام فى الربا والبيع وغير ذلك وحرموا عليكم كثيرا من الحلال وضيقوا ما وسعه الله فإذا رأيتم الاختلاف فاسألوا عما أمر الله به ورسوله ولا تطيعونى ولا غيرى، وسلام عليكم ورحمة الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى هدانا للاسلام ومنّ علينا باتباع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد، فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن: إن أول واجب على كل ذكر وأنثى معرفة شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذى أرسل الله بها جميع رسله وأنزل لأجلها جميع كتبه وجعلها أعظم حقه على عباده كما ذكر الله لنا فى كتابه وعلى لسان رسوله فى مواضع لاتحصى، منها قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وقال (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) الآية،

وقد أمر الله عباده بالاستجابة لهذه الكلمة فقال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردّ له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) وتوعد سبحانه أفضل الخلق وأكرمهم سيد ولد آدم والنبيين قبله على مخالفتها فقال : (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فكيف بغيرهم من سائر الخلق ، وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) فمن نصح نفسه وأهله وعياله وأراد النجاة من النار فليعرف شهادة أن لا إله إلا الله ، فإنها العروة الوثقى وكلمة التقوى لا يقبل الله من أحد عملا إلا بها لا صلاة ولا صوما ولا حجاً ولا صدقة ولا جميع الأعمال الصالحة إلا بمعرفتها والعمل بها، وهي كلمة التوحيد وحق الله على العبيد ، فمن أشرك مخلوقا فيها من ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو وليّ أو صحابي وغيره أو صاحب قبر أو جني أو غيره أو استغاث به أو استعان به فيما لا يطلب إلا من الله أو نذر له أو ذبح له أو توكل عليه أو رجاه أو دعاه دعاء استغاثة أو استعانة أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته أو لجلب نفع أو كشف ضر فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) القائلين (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كما ذكر الله عنهم في كتابه وهم مخلدون في النار وإن صاموا وصلوا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين) الآية وغيرها من الآيات ، وكذلك من ترشح بشيء من ذلك أو أحب من ترشح له أو ذب عنه وجادل عنه فقد أشرك شركا لا يغفر ولا يقبل ولا تصح منه الأعمال الصالحة الصوم والحج وغيرها (إن الله لا يغفر أن يشرك به) ولا يقبل عمل المشركين ، وقد نهى الله نبيه وعباده عن المجادلة عمن فعل ما دون الشرك من الذنوب بقوله (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) الآية، فكيف بمن جادل عن المشركين وصدّ عن دين رب العالمين فالله الله عباد الله لا تغتروا بمن لا يعرف شهادة أن لا إله إلا الله وتلطخ بالشرك وهو لا يشعر فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم ، فلله الحمد على ما علمنا من دينه ولا يهولنكم اليوم أن هذا الأمر غريب فإن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ» واعتبروا بدعاء أبينا إبراهيم عليه السلام بقوله في دعائه (واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام.

رب إنهن أضللن كثيراً من الناس) ولولا ضيق هذه الكراسة وأن الشيخ محمدا أجاد وأفاد بما أسلفه من الكلام فيها لأطلنا الكلام. وأما الاتحادى ابن عربى صاحب الفصوص المخالف للنصوص وابن الفارض الذى لدين الله محارب وبالباطل للحق معارض فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد المرسلين، فإن ابن عربى وابن الفارض ينتحلان نحلا تكفرهما وقد كفرهم كثير من العلماء العاملين فهؤلاء يقولون كلاما أخشى المقت من الله فى ذكره فضلا عمن انتحله فإن لم يتب إلى الله من انتحل مذهبهما وجب هجره وعزله عن الولاية إن كان ذا ولاية من إمامة أو غيرها فإن صلاته غير صحيحة لا لنفسه ولا لغيره فإن قال جاهل أرى عبد الله توه يتكلم فى هذا الأمر فيعلم أنه إنما تبين لى الآن وجوب الجهاد فى ذلك علىّ وعلى غيرى لقوله تعالى (وجاهدوا فى الله حق جهاده) إلى أن قال(ملة أبيكم إبراهيم)وصلى الله على محمد وآله وسلم .

ومنها الرسالة التى أرسلها إلى بعض البلدان قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من المسلمين، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد، فاعلموا رحمكم الله أن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس بشيرا ونذيرا مبشرا لمن اتبعه بالجنة ومنذرا لمن لايتبعه بالنار وقد علمتم إقرار كل من له معرفة أن التوحيد الذى بينا للناس هو الذى أرسل الله به رسله حتى كل مطوع معاند يشهد بذلك وأن الذى عليه غالب الناس من الاعتقادات فى الصالحين وفى غيرهم هو الشرك الذى قال الله فيه(إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فإذا تحققتم هذا وعرفتم أنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال كانوا على دين الله ورسوله ونحن ما جئناكم فى التكفير والقتال لكن ننصحكم بهذا الذى قطعتم أنه دين الله ورسوله إن كنتم تعلمونه وتعملون به إن كنتم من أمة محمد باطنا وظاهرا ، أنا أبين لكم هذه بمسألة القبلة أن النبى صلى الله عليه وسلم وأمته يصلون والنصارى يصلون لكن قبلته صلى الله عليه وسلم وأمته بيت الله وقبلة النصارى مطلع الشمس فالكل منا يصلى ولكن اختلفنا فى القبلة ولو أن رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقر بهذا ولكن يكره من يستقبل القبلة ويحب من يستقبل

الشمس أتظنون أن هذا مسلم ، وهذا ما نحن فيه فالنبي صلى الله عليه وسلم بعثه الله بالتوحيد وأن لايدعى مع الله أحد لانبي ولا غيره ، والنصارى يدعون عيسى رسول الله ويدعون الصالحين يقولون ليشفعوا لنا عند الله فإذا كان كل مطواع مقرا بالتوحيد فاجعلوا التوحيد مثل القبلة واجعلوا الشرك مثل استقبال المشرق مع أن هذا أعظم من القبلة وأنا أنصحكم لله وأنجاكم لا تضيعوا حظكم من الله وتحبون دين النصارى على دين نبيكم فماظنكم بمن واجه الله وهو يعلم من قلبه أنه عرف أن التوحيد دينه ودين رسوله وهو يبغضه ويبغض من اتبعه ويعرف أن دعوة غيره هو الشرك ويحبه ويحب من اتبعه أتظنون أن الله يغفر لهذا والنصيحة لمن خاف عذاب الآخرة. وأما القلب الخالى من ذلك فلا والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام قال فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد زاده الله من الإيمان وأعاذه من نزغات الشيطان . أما بعد فالسبب فى المكاتبة أن راشد بن عربان ذكر لنا عنك كلاما حسنا أسرّ الخاطر وذكر عنك أنك طالب منى المكاتبة بسبب ما يجيبك من كلام العدوان من الكذب والبهتان وهذاهو الواجب من مثلك أنه لايقبل كلاما إلا إذا تحققه ، وأنا أذكر لك أمرين قبل أن أذكر لك صفة الدين : الأمر الأول أنى أذكر لمن خالفنى أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وأقول لهم الكتب عندكم انظروا فيها ولا تأخذوا من كلامى شيئاً لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس . والأمر الثانى أن هذا الذى أنكروا علىّ وأبغضونى وعادونى من أجله إذا سألوا عنه كل عالم فى الشام واليمن أو غيرهم يقول هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ولكن ما أقدر أن أظهره فى مكانى لأجل أن الدولة ما يرضون ، وابن عبدالوهاب أظهره لأن الحاكم فى بلده ما أنكره بل لما عرف الحق اتبعه هذا كلام العلماء وأظن أنه وصلك كلامهم فأنت تفكر فى الأمر الأول وهو قولى لا تطيعونى ولا تطيعوا إلا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى فى كتبكم وتفكر فى الأمر الثانى أن كل عاقل مقرّ به لكن مايقدر أن يظهره . فقدم لنفسك ماينجيك عند الله. واعلم أنه لاينجيك إلا اتباع

رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدنيا زائلة والجنة والنار ماينبغى للعاقل أن ينساهما.
وصورة الأمر الصحيح أنى أقول ما يدعى إلا الله وحده لاشريك له كما قال تعالى فى كتابه (لاتدعوا مع الله أحداً) وقال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم (قل إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) فهذا كلام الله والذى ذكره لنا رسول الله ووصانا به ونهى الناس أن لا يدعوه فلما ذكرت لهم أن هذه المقامات التى فى الشام والحرمين وغيرهم أنها على خلاف أمر الله ورسوله وأن دعوة الصالحين والتعلق بهم هو الشرك بالله الذى قال الله فيه (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) فلما أظهرت هذا أنكروه وكبر عليهم وقالوا أجعلتنا مشركين وهذا ليس إشراكا. هذا كلامهم وهذا كلامى أسنده عن الله ورسوله وهذا هو الذى بينى وبينكم فإن ذكر عنى شىء غير هذا فهو كذب وبهتان، والذى يصدق كلامى هذا أن العالم ما يقدر أن يظهره حتى من علماء الشام، من يقول هذا هو الحق ولكن لايظهره إلا من يحارب الدولة وأنت ولله الحمد ما تخاف إلا الله، نسأل الله أن يهدينا وإياكم إلى دين الله ورسوله والله أعلم.
ومنها رسالة أرسلها إلى السويدى عالم من أهل العراق وكان قد أرسل له كتابا وسأله عما يقول الناس فيه، فأجابه بهذه الرسالة وهى :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن بن عبد الله سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد فقد وصل كتابك وسر الخاطر جعلك الله من أئمة المتقين ومن الدعاة إلى دين سيد المرسلين وأخبرك أنى ولله الحمد متبع ولست بمبتدع عقيدتى ودينى الذى أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة لكنى بينت للناس إخلاص الدين لله ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذى لايشرك فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل، وهو الذى دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم وهو الذى عليه أهل السنة والجماعة وبينت لهم أن أول من أدخل الشرك فى هذه الأمة هم الرافضة الملعونة الذين يدعون عليا وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات وأنا صاحب منصب فى قريتى مسموع الكلمة فأنكر هذا بعض الرؤساء لأنه خالف

عادة نشئوا عليها وأيضاً ألزمت من تحت يدى بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك من فرائض الله ونهيتهم عن الربا وشرب المسكر وأنواع من المنكرات فلم يمكن الرؤساء القدح فى هذا وعيبه لكونه مستحسنا عند العوام فجعلوا قدحهم وعداوتهم فيما آمر به من التوحيد وأنهى عنه من الشرك ولبسوا على العوام أن هذا خلاف ما عليه أكثر الناس وكبرت الفتنة جدا وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورجله : منها إشاعة البهتان بما يستحى العاقل أن يحكيه فضلا عن أن يفتريه ، ومنها ما ذكرتم أنى أكفر جميع الناس إلا من اتبعنى وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة . ويا عجبا كيف يدخل هذا فى عقل عاقل هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون ، وكذلك قولهم إنه يقول لو أقدر أهدم قبة النبى صلى الله عليه وسلم لهدمتها . وأما دلائل الخيرات فله سبب وذلك أنى أشرت على من قبل نصيحتى من إخوانى أن لا يصير فى قلبه أجل من كتاب الله ويظن أن القراء فيه أجل من قراءة القرآن . وأما إحراقه والنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم بأى لفظ كان فهذا من البهتان . والحاصل أن ما ذكر عنا من الأسباب غير دعوة الناس إلى التوحيد والنهى عن الشرك فكله من البهتان ، وهذا لو خفى على غيركم فلا يخفى على حضرتكم ولو أن رجلا من أهل بلدكم ولو كان أحب الخلق إلى الناس قام يلزم الناس الإخلاص ويمنعهم من دعوة أهل القبور وله أعداء وحساد أشد منه رياسة وأكثر أتباعا وقاموا يرمونه بما تسمع ويوهمون الناس أن هذا تنقص بالصالحين وأن دعوتهم من إجلالهم واحترامهم تعلمون كيف يجرى عليه ومع هذا وأضعافه فلا بد من الإيمان بما جاء به الرسول ونصرته كما أخذ الله على الأنبياء قبله وأممهم فى قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) فلما فرض الله الإيمان لم يجز ترك ذلك وأنا أرجو أن الله يكرمك بنصر دينه ونبيه وذلك بمقتضى الاستطاعة ولو بالقلب والدعاء وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » فإن رأيت عرض كلامى على من ظننت أنه يقبل من إخواننا فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ومن أعجب ما جرى من الرؤساء المخالفين أنى لما بينت لهم كلام الله وما ذكر أهل التفسير فى قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقوله (ما نعبدهم إلا ليقربونا

إلى الله زلفى) وما ذكر الله من إقرار الكفار فى قوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض) الآية وغير ذلك ، قالوا القرآن لا يجوز العمل به لنا ولأمثالنا ولا بكلام الرسول ولا بكلام المتقدمين ولا نطيع إلا ما ذكره المتأخرون ، قلت لهم أنا أخاصم الحنفى بكلام المتأخرين من الحنفية والمالكى والشافعى والحنبلى كل أخاصمه بكتب المتأخرين من علمائهم الذين يعتمدون عليهم فلما أبوا ذلك نقلت لهم كلام العلماء من كل مذهب وذكرت ما قالوا بعد ما حدثت الدعوة عند القبور والنذر لها فعرفوا ذلك وتحققوه ولم يزدهم إلا نفورا.

وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعد ما عرفه سبه ونهى الناس عنه وعادى من فعله فهذا هو الذى أكفره ، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك.

وأما القتال فلم نقاتل أحدا إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة وهم الذين أتونا فى ديارنا ولا أبقوا ممكنا ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكذلك من جاهر بسب دين الرسول بعد ما عرفه والسلام .

ومنها رسالة أرسلها إلى مطاوعة أهل الدرعية وهو إذ ذاك فى بلد العيينة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب وعبد الله بن عبد الرحمن حفظهم الله تعالى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فقد ذكر لى أحمد أنه مشكل عليكم الفتيا بكفر هؤلاء الطواغيت مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس والذين يعبدونهم مثل طالب وأمثاله ، فيقال أولا دين الله تعالى ليس لى دونكم فإذا أفتيت أو عملت بشىء وعلمتم أنى مخطىء وجب عليكم تبيين الحق لأخيكم المسلم وإن لم تعلموا وكانت المسألة من الواجبات مثل التوحيد فالواجب عليكم أن تطلبوا وتحرصوا حتى تفهموا حكم الله ورسوله فى تلك المسألة ، وما ذكر أهل العلم قبلكم فإذا تبين حكم الله ورسوله بيانا كالشمس فلا ينبغى لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرده لكونه مخالفا لهواه أو لما عليه أهل وقته ومشايخه فإن الكفر كما قال ابن القيم فى نونيته .

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما   جاء الرسول به لقول فلان

فانظر لعلك هكذا دون التى   قد قالها فتبوء بالخسران

ومتى لم تتبين لكم المسألة لم يحل لكم الإنكار على من أفتى أو عمل حتى يتبين

لكم خطؤه بل الواجب السكوت والتوقف فإذا تحققتم الخطأ بينتموه ولم تهدروا جميع المحاسن لأجل مسألة أو مائة أو مائتين أخطأت فيهن فإنى لا أدعى العصمة وأنتم تقرون أن الكلام الذى بينته فى معنى لا إله إلا الله هو الحق الذى لاريب فيه، سبحان الله إذا كنتم تقرون بهذا فرجل بين الله به دين الإسلام ، وأنتم ومشايخكم ومشايخهم لم يفهموه ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحى الذى وضعه للعرب بل دين عمرو عندهم دين صحيح ويسمونه رقة القلب والاعتقاد فى الأولياء، ومن لم يفعل فهو متوقف لايدرى ما هذا ولا يفرق بينه وبين دين محمد صلى الله عليه وسلم،فالرجل الذى هداكم الله به لهذا إن كنتم صادقين لو يكون أحب إليكم من أموالكم وأولادكم لم يكن كثيرا فكيف يقال أفتى فى مسألة الوقف أفتى فى كذا أفتى فى كذا كلها ولله الحمد على الحق إلا أنها مخالفة لعادة الزمان ودين الآباء وأنا إلى الآن أطلب الدليل من كل من خالفنى فإذا قيل له استدل أو اكتب أو اذكر حاد عن ذلك وتبين عجزه لكن يجتهدون الليل والنهار فى صد الجهال عن سبيل الله ويبغونها عوجا، اللهم إلا إن كنتم تعتقدون أن كلامى باطل وبدعة مثل ما قال غيركم ، وأن الاعتقاد فى الزاهد وشمسان والمطيوية والاعتماد عليهم هو الدين الصحيح وكل ما خالفه بدعة وضلالة فتلك مسألة أخرى إذا ثبت هذا فتكفير هؤلاء المرتدين انظروا فى كتاب الله من أوله إلى آخره والمرجع فى ذلك إلى ماقاله المفسرون والأئمة،فإن جادل منافق بكون الآية نزلت فى الكفار فقولوا له هل قال أحد من أهل العلم أولهم وآخرهم إن هذه الآيات لاتعم من عمل بها من المسلمين من قال هذا قبلك، وأيضا فقولوا له هذا رد على إجماع الأمة فإن استدلالهم بالآيات النازلة فى الكفار على من عمل بها ممن انتسب إلى الإسلام أكثر من أن تذكر،وهذا أيضا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن فعل مثل هذه الأفاعيل مثل الخوارج العباد الزهاد الذين يحقر الإنسان الصحابة عندهم وهم بالإجماع لم يفعلوا ما فعلوا إلا باجتهاد وتقرب إلى الله وهذه سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن خالف الدين ممن له عبادة واجتهاد مثل تحريق على رضى عنه من اعتقد فيه بالنار وأجمع الصحابة على قتلهم وتحريقهم إلا ابن عباس رضى الله عنهما خالفهم فى التحريق فقال ، يقتلون بالسيف وهؤلاء الفقهاء من أولهم إلى آخرهم عقدوا باب حكم المرتد للمسلم إذا فعل كذا وكذا

ومصداق ذلك فى هذه الكتب الذى يقول المخالف جمعوا فيها الثمر وهم أعلم منا وهم وهم، انظروا فى متن الإقناع فى باب حكم المرتد هل صرح أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم أنه كافر بإجماع الأمة ، وذكر فيمن اعتقد فى على بن أبى طالب ما يعتقده طالب فى حسين وإدريس أنه لاشك فى كفره بل لا يشك فى كفر من شك فى كفره، وأنا ألزم عليكم أنكم تحققون النظر فى عبارات الإقناع وتقرءونها قراءة تفهم وتعرفون ماذكر فى هذا وما ذكر فى التشنيع علىّ من الأصدقاء عرفتم شيئا من مذاهب الآباء وفتنة الأهواء، وإذا تحققتم ذلك وطالعتم الشروح والحواشى، فإذا إنى لم أفهمه وله معنى آخر فارشدونى، وعسى الله أن يهدينا وإياكم وإخواننا لما يحب ويرضى ولا يدخل خواطركم غلظة هذا الكلام ، فالله سبحانه يعلم قصدى به والسلام.

ومنها رسالة أرسلها أيضا إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى وعبد الوهاب ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد ذكر لى أنكم زعلانين على فى هذه الأيام بعض الزعل ولا يخفاك أنى زعلان زعلا كبيرا وناقد عليكم نقوداً أكبر من الزعل ، ولكن وابطناه واظهراه ومعى فى هذه الأيام بعض تنغص المعيشة والكدر مما يبلغنى عنكم والله سبحانه إذا أراد أمراً فلا رادّ له وإلا ماخطر على البال أنكم ترضون لأنفسكم بهذا ثم من العجب كفكم عن نفع المسلمين فى المسائل الصحيحة وتقولون لا يتعين علينا الفتيا ثم تبالغون فى مثل هذه الأمور مثل التذكير الذى صرحت الأدلة والإجماع وكلام الإقناع بإنكاره ولا ودى أنكم بعد ماأنزلكم الله هذه المنزلة وأنعم عليكم بما تعلمون وما لاتعلمون وجعلكم من أكبر أسباب قبول الناس لدين ربكم وسنة نبيكم وجهادكم فى ذلك وصبركم على مخالفة دين الآباء أنكم ترتدون على أعقابكم ، وسبب هذا أنه ذكر لى عنكم أنكم ظننتم أنى أعنيكم ببعض الكلام الذى أجبت به من اعتقد حل الرشوة وأنه مزعلكم فياسبحان الله كيف أعنيكم به وأنا كاتب لكم تسجلون عليه وتكونون معى أنصارا لدين الله وقيل لى إنكم ناقدون علىّ بعض الغلظة فيه على ملقاه والأمر أغلظ مما ذكرنا ولولا أن الناس إلى الآن ماعرفوا دين الرسول وأنهم يستنكرون الأمر الذى لم يألفوه لكان شأن آخر ، بل والله الذى لا إله إلا هو لو

يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم لا أجد فى نفسى حرجا من ذلك ، ولكن إن أراد الله أن يتم هذا الأمر تبين أشياء لم تخطر لكم على بال وإن كانت من المسائل التى إذا طلبتم الدليل بينا أنهامن إجماع أهل العلم وبالحاظر لايخفاكم أن معى غيظ عظيم ومضايقة من زعلكم وأنتم تعلمون أن رضا الله ألزم والدين لامحاباة فيه وأنتم من قديم لاتشكون فىّ والآن غايتكم قريبة وداخلتكم الريبة وأخاف أن يطول الكلام فيجرى فيه شيء يزعلكم وأنا فىّ بعض الحدة فأنا أشير عليكم وألزم أن عبد الوهاب يزورنا سواء كان يومين وإلا ثلاثة ، وإن كان أكثر يصير قطعا لهذه الفتنة ويخاطبنى وأخاطبه من الرأس ، وإن كان كبر عليه الأمر فيوصى لى وأعنى له فإن الأمر الذى يزيل زعلكم ويؤلف الكلمة ويهديكم الله بسببه نحرص عليه ولو هو أشق من هـذا اللهم إلا أن تكونوا ناظرين شيئاً من أمر الله فالواجب عليكم اتباعه والواجب علينا طاعتكم والانقياد لكم وإن أبينا كان الله معكم وخلقه ، ولا يخفاكم أنه وصلنى أمس رسالة فى صفة مذاكرتكم فى التذكير وتطلبون منى جوابا عن أدلتكم وأنتم ضحكتم على ابن فيروز وتسافهتموه وتساخفتم عقله فى جوابه وانحرفتم تعدلون عدالة لكن ماأنا بكاتب لهم جوابا لأن الأمر معروف أنه منكم وأخاف أن أكتب لهم جوابا فينشرونه فيزعلكم وأشوف غايتكم قريبة وتحملون الأمر على غير محمله والسلام .

ومنها رسالة كتبها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعدفقد ، وصل كتابك وما ذكرت فيه من الظن والتجسس وقبول خبر الفاسق فكل هذا حق وأريد به باطل ، والعجب منك إذا كنت من خمس سنين تجاهد جهادا كبيرا فى رد دين الإسلام فإذا جاءك مساعد أو ابن راجح وإلا صالح بن سليم وأشباه هؤلاء الذين تلقنهم شهادة أن لاإله إلا الله وأن عبادة المخلوقات كفر وأن الكفر بالطاغوت فرض قمت تجاهد وتبالغ فى نقض ذلك والاستهزاء به ، وليس الذى يذكر هذا عنك بعشرة ولا عشرين ولا ثلاثين ولا أنت بمتخف فى ذلك ثم تظن فى خاطرك أن هذا يخفى علىّ وأنا أصدقك إذا قلت ماقلت ولو أن الذى جرى عشرة أو عشرون

أو ثلاثون مرة أمكن تعداد ذلك. وأحسن ماذكرت أنك تقول (ربنا ظلمنا أنفسنا) وتقر بالذنب وتجاهد فى إطفاء الشرك وإظهار الإسلام كما جاهدت فى ضده ويصير ماتقر به كأن لم يكن، فإن كنت تريد الرفعة فى الدنيا والجاه حصل لك بذلك مالايحصل بغيره من الأمور بأضعاف مضاعفة، وإن أردت به الله والدار الآخرة فهى التجارة الرابحة وأتتك الدنيا تبعاً، وإن كنت تظن فى خاطرك أنا نبغى أن نداهنك فى دين الله ولو كنت أجل عندنا مما كنت فأنت مخالف فإن كنت تتهمنى بشىء من أمور الدنيا فلك الشرهة، فإن كان أنى أدعو لك فى سجودى وأنت وأبوك أجل الناس إلى وأحبهم عندى، وأمرك هـذا أشق على من أمر أهل الحسا خصوصاً بعد مااستركبت أباك وخربته فعسى الله أن يهدينا وإياك لدينه القيم ويطرد عنا الشيطان ويعيذنا من طريق المغضوب عليهم والضالين.

ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن محمد بن سويلم وثنيان بن سعود قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى الأخوين أحمد بن محمد وثنيان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فقد ذكر لى عنكم أن بعض الأخوان تكلم فى عبد المحسن الشريف يقول إن أهل الحسا يحبون على يدك وأنك لابس عمامة خضراء والإنسان لايجوز له الإنكار إلا بعد المعرفة فأول درجات الإنكار معرفتك أن هذا مخالف لأمر الله وأما تقبيل اليد فلا يجوز إنكار مثله وهى مسألة فيها اختلاف بين أهل العلم، وقد قبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا، وعلى كل حال فلا يجوز لهم إنكار كل مسألة لايعرفون حكم الله فيها. وأما لبس الأخضر فإنها أحدثت قديما تمييزا لأهل البيت لئلا يظلمهم أحد أو يقصر فى حقهم من لايعرفهم، وقد أوجب لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس حقوقا فلا يجوز لمسلم أن يسقط حقهم ويظن أنه من التوحيد بل هو من الغلو ونحن ماأنكرنا إكرامهم إلا لأجل الألوهية أو إكرام المدعى لذلك، وقيل إنه ذكر عنه أنه معتذر عن بعض الطواغيت، وهذه مسألة جليلة ينبغى التفطن لها وهى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فالواجب عليهم إذا ذكر لهم عن أحد منكرا عدم العجلة

فاذا تحققوه أتوا صاحبه ونصحوه فإن تاب ورجع وإلا أنكر عليه وتكلم فيه ، فعلى كل حال نبهوهم على مسئلتين : الأولى عدم العجلة ولا يتكلمون إلا مع التحقق فإن التزوير كثير . الثانية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف المنافقين بأعيانهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله فإذا ظهر منهم وتحقق مايوجب جهادهم جاهدهم وغير ذلك عبدالرحمن بن عقيل رجع إلى الحق ولله الحمد، ولكن ودى أن أقرأ عليه رسالة ابن شلهوب وغيرها وأنت ياأحمد على كل حال أرسل المجموع مع أول من يقبل وأرسلها فيه خذه من سليمان لاتغفل تراك خالفت خلافا كبيرا فى هذا المجموع والسلام.

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الله بن سويلم حين غضب على ابن عمه أحمد فى شدته على المنافقين قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عبد سويلم ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ،فقد ذكر لى ابن زيدان أنك ياعبد الله زعل على أحمد بعض الزعل لما تكلم فىّ بعض المنافقين ، ولا يخفاك أن بعض الأمور كما قال تعالى (وتحسبونه هينا وهو عندالله عظيم) وذلك أنى لاأعرف شيئاً يتقرب به إلى الله أفضل من لزوم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال الغربة فإن انضاف إلى ذلك الجهاد عليها للكفار والمنافقين كان ذلك تمام الإيمان . فإذا أراد أحد من المؤمنين أن يجاهد فأتاه بعض إخوانه فذكر له أن أمرك للدنيا أخاف أن يكون هـذا من جنس الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، فأنتم تأملوا تفسير الآية ثم نزلوه على هذه الواقعة، وأيضاً فى صحيح مسلم «أن أبا سفيان مرّ على بلال وسلمان وأجناسهما فقالوا ماأخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها فقال أبوبكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ثم أتى النبى صلى الله عليـه وسلم فذكر له ذلك فقال : ياأبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك» ومن أفضل الجهاد جهاد المنافقين فى زمن الغربة . فإذا خاف أحد منكم من بعض إخوانه قصدا مسيئا فلينصحه برفق وإخلاص لدين الله وترك الرياء والقصد الفاسد ولا يفل عزمه عن الجهاد ولا يتكلم فيه بالظن السىء وينسبه إلى ما لايليق ولا يدخل خاطرك شىء من النصيحة . فلو أدرى أنه يدخل

خاطرك ماذكرته وأنا أجد فى نفسى أن ودى من ينصحنى كلما غلطت والسلام .
ومنها رسالة كتبها إلى أحمد بن ابراهيم مطوع مرات من بلدان الوشم وكان قد أرسل إليه رسالة فأجابه الشيخ بهذه .

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن إبراهيم هدانا الله وإياه .

وبعد ماذكرت من مسألة التكفير وقولك ابسط الكلام فيها فلو بيننا اختلاف أمكننى أن أبسط الكلام أو أمتنع ، وأما إذا اتفقنا على الحكم الشرعى لاأنت بمنكر الكلام الذى كتبت إليك ، ولا أنا بمنكر العبارات التى كتبت إلىّ وصار الخلاف فى أناس معينين أقروا أن التوحيد الذى ندعو إليه دين الله ورسوله وأن الذى ننهى عنه فى الحرمين والبصرة والحسا هو الشرك بالله ولكن هؤلاء المعينون هل تركوا التوحيد بعد معرفته وصدوا الناس عنه أم فرحوا به وأحبوه ودانوا به وتبرءوا من الشرك وأهله ، فهذه ليس مرجعها إلى طالب العلم بل مرجعها إلى علم الخاص والعام . مثال ذلك إذا صح أن أهل الحسا والبصرة يشهدون أن التوحيد الذى نقول دين الله ورسوله . وأن هذا المفعول عندهم فى الأحياء والأموات هو الشرك بالله . ولكن أنكروا علينا التكفير والقتال خاصة . والمرجع فى المسألة إلى الحضر والبدو والنساء والرجال هل أهل قبة الزبير وقبة الكواز تابوا من دينهم وتبعوا ما أقروا به من التوحيد وهم على دينهم ولو يتكلم الإنسان بالتوحيد فسلامته على أخذ ماله ، فإن كنت تزعم أن الكواوزة وأهل الزبير تابوا من دينهم وعادوا من لم يتب فتبعوا ماأقروا به وعادوا من خالفه هذا مكابرة ، وإن أقررتم أنهم بعد الإقرار أشد عداوة ومسبة للمؤمنين والمؤمنات كما يعرفه الخاص والعام وصار الكلام فى أتباع المويس وصالح بن عبد الله هل هم مع أهل التوحيد أم هم مع أهل الأوثان بل أهل الأوثان معهم وهم حزبة العدو وحاملو الراية فالكلام فى هذا نحيله على الخاص والعام فودى أنك تسرع بالنفور فتتوجه إلى الله وتنظر نظر من يؤمن بالجنة والخلود فيها ويؤمن بالنار والخلود فيها وتسأله بقلب حاضر أن يهديك الصراط المستقيم هذا مع أنك تعلم ماجرى من ابن إسماعيل وولد ابن ربيعة سنة الحبس لما شكونا عند أهل قبة أبى طالب يوم يكسيه صاية وجميع من معك من خاص وعام معهم إلى الآن وتعرف روحة المويس واتباعه لأهل قبة الكواز ، وسية طالب يوم

يكسيه صاية ويقول لهم طالع أناس ينكرون قببكم ، وقد كفروا وحل دمهم ومالهم وصار هـذا عندك وعند أهل الوشم وعند أهل سدير والقصيم من فضائل المويس ومناقبه وهم على دينه إلى الآن مع أن المكاتيب التى أرسلها علماء الحرمين مع المزيودى سنة الحبس عندنا إلى الآن تتناك ، وقد صرحوا فيها أن من أقر بالتوحيد كفر وحل ماله ودمه وقتل فى الحل والحرم ويذكرون دلائل على دعاء الأولياء فى قبورهم ، منها قوله تعالى (لهم مايشاءون عند ربهم) فإن كانت ليست عندك ولا صبرت إلى أن تجىء فأرسل إلى ولد محمد بن سليمان فى وشيقر ولسيف العتيق يرسلونها إليك ويجيبون عن قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) أنهم يدعون على أنهم المعطون المانعون بالأصالة، وأما دعوتهم على أنهم شفعاء فهو الدين الصحيح ومن أنكره قتل فى الحل والحرم وأيضا جاءنا بعض المجلد الذى صنفه القبانى واستكتبوه أهل الحسا وأهل نجد وفيه نقل الإجماع على تحسين قبة الكواز وأمثالها وعبادتها وعبادة سية طالب ويقول فى تصنيفه إنه لم يخالف فى تصنيفه إلا ابن تيمية وابن القيم وعشرة أنا عاشرهم فالجميع اثنا عشر ، فإذا كان يوم القيامة اعتزلوا وحدهم عن جميع الأمة وأنتم إلى الآن على ماتعلم مع شهادتكم أن التوحيد دين الله ورسوله وأن الشرك باطل وأيضا مكاتيب أهل الحسا موجودة فأما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل أعنى سبابة التوحيد واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام وهو رجل من الحنابلة وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة ومع هذا صنف مصنفا أرسله إلينا قرر فيه أن هـذا الذى يفعل عند قبر يوسف وأمثاله هو الدين الصحيح واستدل فى تصنيفه بقول النابغة :

أيا قـبر النبى وصاحبيه ... ووا مصيبتنا لو تعلمونا

وفى مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر :

وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعـة ... سواك بمغن عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول أبلغ من هذا كله وهو شهادة البدو والحضر والنساء والرجال إن هؤلاء الذين يقولون التوحيد دين الله ورسوله ، ويبغضونه أكثر من بعض اليهود والنصارى ويسبونه ويصدون الناس عنه ويجاهدون فى زواله وتثبيت

كتاب الله عند الحضر لكن كذبوا وكفروا واستهزءوا عنادا . ومع هذا تنكرون علينا كفرهم وتصرحون بأن من قال لا إله إلا الله لا يكفر ثم تذكر فى كتابك أنك تشهد بكفر العالم العابد الذى ينكر التوحيد ولا يكفر المشركين ويقول هؤلاء السواد الأعظم ما يتيهون . فإن قلتم إن الأولين وإن كانوا علماء فلم يقصدوا مخالفة الرسول بل جهلوا وأنتم وأمثالكم تشهدون ليلا ونهارا أن هذا الذى أخرجنا للناس من التوحيد وإنكار الشرك إنه دين الله ورسوله وأن الخلاف منا التكفير والقتال ، ولو قدرنا أن غيركم يعذر بالجهل فأنتم مصرحون بالعلم والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الرحمن بن ربيعة مطوع أهل ثادق ، وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم : من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الرحمن ابن ربيعة سلمه الله تعالى :

وبعد ، فقد وصل كتابك تسأل عن مسائل كثيرة وتذكر أن مرادك اتباع الحق ، منها مسألة التوحيد ، ولا يخفاك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له « إن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإنهم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات » إلى آخره . فإذا كان الرجل لا يدعى إلى الصلوات الخمس إلا بعد ما يعرف التوحيد ويقاد له فكيف بمسائل جزئية اختلف فيها العلماء . فاعلم أن التوحيد الذى دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم إفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهم فمن ذلك لا يدعى إلا إياه كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) فمن عبد الله ليلا ونهارا ثم دعا نبياً أو وليا عند قبره فقد اتخذ إلهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله لأن الإله هو المدعو كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد وغيره ومن ذبح لله ألف أضحية ثم ذبح لنبى أو غيره فقد جعل إلهين اثنين كما قال تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) الآية . والنسك هو الذبح وعلى هذا فقس . فمن أخلص العبادات كلها ولم يشرك فيها غيره فهو الذى شهد أن لا إله إلا الله ومن جعل فيها مع الله غيره فهو المشرك الجاحد لقوله لا إله إلا الله وهذا الشرك الذى ذكره اليوم قد طبق مشارق الأرض ومغاربها إلا الغرباء المذكورين فى الحديث

(وقليل ماهم) وهذه المسألة لاخلاف فيها بين أهل العلم من كل المذاهب . فإذا أردت مصداق هـذا فتأمل باب حكم المرتد فى كل كتاب وفى كل مذهب وتأمل ماذكروه فى الأمور التى تجعل المسلم مرتدا يحل دمه وماله: منها من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم كيف حكى الإجماع فى الإقناع على ردته ثم تأمل ماذكروه فى سائر الـكتب ، فإن عرفت أن فى المسألة خلافا ولو فى بعض المذاهب فنبهنى ، وإن صح عندك الإجماع على تـكفير من فعل هذا أو رضيه أو جادل فيه فهذه خطوط الويس وابن إسماعيل وأحمد بن يحى عندنا فى إنـكار هذا الدين والبراءة منه ومن أهله وهم الآن مجتهدون فى صد الناس عنه . فإن استقمت على التوحيد وتبينت فيه ودعوت الناس إليـه بعداوة هؤلاء خصوصا ابن يحى لأنه من أنجسهم وأعظمهم كفرا وصبرت على الأذى فى ذلك فأنت أخونا وحبيبنا وذلك محل المذاكرة فى المسائل التى ذكرت ، فإن بان الصواب معك وجب علينا الرجوع إليك ، وإن لم تستقم على التوحيد علماً وعملا ومجاهدة فليس هذا محل المراجعة فى المسائل والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها جوابا لرجل من أهل الحسا يقال له أحمد بن عبد الـكريم وكان قد عرف التوحيـد وكفر المشركين ، ثم إنه حصل له شبهة فى ذلك ، بسبب عبارات رآها فى كلام الشيخ تقى الدين ففهم منها غير مراد الشيخ رحمه الله ، قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن عبد الـكريم ، سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

أما بعد ، فقد وصل مكتوبك تقرر المسألة التى ذكرت وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته ثم ورد منك مراسلة تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام وعلى أى شىء يدل كلامه على أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة (اللات والعزى) وسب دين الرسول بعد ماشهد به مثل سب أبى جهل أنه لايكفر بعينه بل العبارة صريحة واضحة فى تكفير مثل ابن فيروز وصالح ابن عبد الله وأمثالهما كفرا ظاهرا ينقل عن الملة فضلا عن غيرهما . هذا صريح واضح فى كلام ابن القيم الذى ذكرت وفى كلام الشيخ الذى أزال عنك الإشكال فى كفر من عبد الوثن الذى على قبر يوسف وأمثاله ودعاهم فى الشدائد والرخاء

وسب دين الرسل بعد ما أقر به ودان بعبادة الأوثان بعد ما أقر بها ، وليس في كلامي هذا مجازفة بل أنت تشهد به عليهم ولكن إذا أعمى الله القلب فلا حيلة فيه . وأنا أخاف عليك من قوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لايفقهون) والشبهة التي أدخلت عليك هذه البضيعة التي في يدك تخاف تغدى أنت وعيالك إذا تركت بلد المشركين وشاك في رزق الله . وأيضا قرناء السوء أضلوك كما هي عادتهم ، وأنت والعياذ بالله تنزل درجة درجة أول مرة في الشك وبلد الشرك وموالاتهم والصلاة خلفهم وبراءتك من المسلمين مداهنة لهم ثم بعد ذلك طحت على ابن غنام وغيره وتبرأت من ملة إبراهيم وأشهدتهم على نفسك باتباع المشركين من غير إكراه لكن خوف ومداراة ، وغاب عنك قوله تعالى في عمار بن ياسر وأشباهه (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) إلى قوله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) فلم يستثن الله إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان بشرط طمأنينة قلبه . والإكراه لايكون على العقيدة بل على القول والفعل . فقد صرح بأن من قال المكفر أو فعله فقد كفر إلا المكره بالشرط المذكور وذلك أن ذلك بسبب إيثار الدنيا لابسبب العقيدة فتفكر في نفسك هل أكرهوك وعرضوك على السيف مثل عمار أم لا ؟ وتفكر هل هذا بسبب أن عقيدته تغيرت أم بسبب إيثار الدنيا ، ولم يبق عليك إلا رتبة واحدة وهي : أنك تصرح مثل ابن رفيع تصريحا بسبة دين الأنبياء وترجع إلى عبادة العيدروس وأبي حديدة وأمثالهما ، ولكن الأمر بيد مقلب القلوب ، فأول ماأنصحك به أنك تفكر هل هذا الشرك الذي عندكم هو الشرك الذي ظهر نبيك صلى الله عليه وسلم ينهى عنه أهل مكة أم شرك أهل مكة نوع آخر أغلظ منه أم هذا أغلظ ؟ فإذا أحكمت المسألة وعرفت أن غاب من عندكم سمع الآيات وسمع كلام أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين وأقر به وقال أشهد أن هذا هو الحق ونعرفه قبل ابن عبد الوهاب ثم بعد ذلك يصرح بمسبة ماشهد أنه الحق ويصرح بحسن الشرك واتباعه وعدم البراءة من أهله فتفكر هل هذه مسألة أو مسألة الردة الصريحة التي ذكرها أهل العلم في الردة ، ولكن العجب من دلائلك التي ذكرت كأنها أتت ممن لايسمع ولا يبصر . أما استدلالك بترك النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده تكفير المنافقين وقتلهم فقد صرح الخاص والعام ببديهة العقل أنهم لو يظهرون كلمة واحدة أو فعلا واحدا من

عبادة الأوثان أو مسبة التوحيد الذى جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم يقتلون أشر قتلة ، فإن كنت تزعم أن الذين عندكم أظهروا اتباع الدين الذى تشهد أنه دين الرسول صلى الله عليه وسلم وتبرءوا من الشرك بالقول والفعل ، ولم يبق إلا أشياء خفية تظهر على صفحات الوجه أو فلتة لسان فى السر وقد تابوا من دينهم الأول وقتلوا الطواغيت وهدموا البيوت المعبودة ، فقل لى ، وإن كنت تزعم أن الشرك الذى خرج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر من هذا فقل لى وإن كنت تزعم أن الإنسان إذا ظهر الإسلام لايكفر إذا أظهر عبادة الأوثان وزعم أنها الدين وأظهر سب دين الأنبياء وسماه دين أهل العارض وأفتى بقتل من أخلص لله الدين وإحراقه وحل ماله فهذه مسألتك ، وقد قررتها وذكرت أن من زمن النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لم يقتلوا أحدا ولم يكفروه من أهل الملة ، أما ذكرت قول الله تعالى (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) إلى قوله (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) واذكر قوله (ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها) إلى قوله (فخذوهم واقتلوهم) الآية ، واذكر قوله فى الاعتقاد فى الأنبياء (أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) واذكر ماصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أشخص رجلا معه الراية إلى من تزوج امرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله فأى هذين أعظم؟ تزوج امرأة الأب أو سب دين الأنبياء بعد معرفته، واذكر أنه قدهمّ بغزو بنى المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة حتى كذّب الله من نقل ذلك، واذكر قوله فى أعبد هـذه الأمة وأشدهم اجتهاداً « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة » واذكر قتال الصديق وأصحابه مانعى الزكاة وسبى ذراريهم وغنيمة أموالهم ؛ واذكر إجماع الصحابة على قتل أهـل مسجد الـكوفة وكفرهم وردتهم لما قالوا كلمة فى تقرير نبوة مسيلمة ، ولـكن الصحابة اختلفوا فى قبول توبتهم لما تابوا والمسألة فى صحيح البخارى وشرحه فى الـكفالة ، واذكر إجماع الصحابة لما استفتاهم عمر على أن من زعم أن الخمر تحل للخواص مستدلا بقوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) مع كونه من أهل بدر وأجمع الصحابة على كفر من اعتقد فى علىّ مثل اعتقاد هؤلاء فى عبد القادر وردتهم وقتلهم فأحرقهم على بن أبى طالب رضى الله عنه وهم أحياء فخالفه ابن عباس فى الإحراق

وقال يقتلون بالسيف مع كونهم من أهل القرن الأول أخذوا العلم عن الصحابة، واذكر إجماع أهل العلم من التابعين وغيرهم على قتل الجعد بن درهم وأمثاله . قال ابن القيم :

شكر الضحية كل صاحب سنة   لله درك من أخى قربان

ولو ذهبنا نعدد من كفره العلماء مع ادعائه الإسلام وأفتوا بردته وقتله لطال الكلام لكن من آخر ما جرى قصة بنى عبيد ملوك مصر وطائفتهم وهم يدعون أنهم من أهل البيت ويصلون الجمعة والجماعة ونصبوا القضاة والمفتين وأجمع العلماء على كفرهم وردتهم وقتالهم وأن بلادهم بلاد حرب يجب قتالهم ولو كانوا مكرهين مبغضين لهم ، واذكر كلامه فى الإقناع وشرحه فى الردة كيف ذكروا أنواعا كثيرة موجودة عندكم، ثم قال منصور : وقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية . هذا لفظه بحروفه ثم ذكر قتل الواحد منهم وحكم ماله هل قال واحد من هؤلاء من الصحابة من أصحابه إلى زمن منصور إن هؤلاء يكفر أنواعهم لا أعيانهم . وأما عبارة الشيخ التى لبسوا بها عليك فهى أغلظ من هذا كله ولو نقول بها لكفرنا كثيرا من المشاهير بأعيانهم فإنه صرح فيها بأن المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة ، فإن كان المعين لا يكفر إلا إذا قامت عليه الحجة فمن المعلوم أن قيامها ليس معناه أن يفهم كلام الله ورسوله مثل فهم أبى بكر رضى الله عنه بل إذا بلغه كلام الله ورسوله وخلا من شىء يعذر به فهو كافر كما كان الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن مع قول الله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) وقوله : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) ، وإذا كان كلام الشيخ ليس فى الشرك والردة بل فى المسائل الجزئيات سواء كانت من الأصول أو الفروع ، ومعلوم أنهم يذكرون فى كتبهم فى مسائل الصفات أو مسالة القرآن أو مسألة الاستواء أو غير ذلك مذهب السلف ، ويذكرون أنه الذى أمر الله به ورسوله والذى درج عليه هو وأصحابه ثم يذكرون مذهب الأشعرى أو غيره ويرجحونه ويسبون من خالفه ، فلو قدرنا أنها لم تقم الحجة على غالبهم قامت على هذا المعين الذى يحكى المذهبين مذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ثم يحكى مذهب الأشعرى ومن معه فكلام الشيخ فى هذا النوع يقول إن السلف كفروا النوع . وأما المعين فإن عرف الحق وخالف كفر بعينه وإلا لم يكفروا. وأنا أذكر لك من كلامه ما يصدق

هذا لعلك تنتفع إن هداك الله وتقوم عليك الحجة قياما بعد قيام وإلافقد قامت عليك وعلى غيرك قبل هذا. وقال رحمه الله فى اقتضاء الصراط المستقيم فى الكلام على قوله وما أهل به لغير الله ظاهره أنه ماذبح لغير الله حرم سواء لفظ به أو لم يلفظ وهذا أظهر من تحريم ماذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه فإن عبادة الله والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه فى فواتح الأمور فكذلك الشرك بالنسك لغيره أعظم من الاستعانة باسمه وعلى هذا لو ذبح لغير الله متقربا إليه وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقى هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين لاتباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع فى الذبيحة مانعان . ومن هذا الباب ما قد يفعله الجاهلون بمكة وغيرها من الذبح للجن انتهى كلامه بحروفه ، فانظر كلامه لمن ذبح لغير الله وسمى الله عليه عند الذبح أنه مرتد تحرم ذبيحته ولو ذبحها للأكل ، لكن هذه الذبيحة تحرم من جهتين من جهة أنها مما أهل به لغير الله وتحرم أيضا لأنها ذبيحة مرتد يوضح ذلك ماذكرته أن المنافقين إذا أظهروا نفاقهم صاروا مرتدين فأين هذا من نسبتك عنه أنه لا يكفر أحد بعينه . وقال أيضاً فى أثناء كلامه على المتكلمين ومن شاكلهم لما ذكر عن أئمتهم شيئاً من أنواع الردة والكفر . وقال رحمه الله وهذا إذا كان فى المقالات الخفية فقد يقال إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التى يكفر صاحبها لكن ذلك يقع فى طوائف منهم فى الأمور الظاهرة التى يعلم المشركون واليهود والنصارى أن محمدا صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من النبيين والملائكة وغيرهم فإن هذا أظهر شرائع الإسلام ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا فى هذه الأنواع فكانوا مرتدين، وكثير منهم تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة وتارة يعود إليه مع مرض فى قلبه ونفاق والحكاية عنهم فى ذلك مشهورة . وقد ذكر ابن قتيبة من ذلك طرفا فى أول مختلف الحديث. وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف فى الردة كما صنف الفخر الرازى فى عبادة الكواكب ، وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين هذا لفظه بحروفه ، فانظر كلامه فى التفرقة بين المقالات الخفية وبين ما نحن فيه فى كفر المعين وتأمل تكفيره رؤوسهم فلانا وفلانا بأعيانهم وردتهم ردة صريحة وتأمل تصريحه بحكاية الإجماع على ردة الفخر الرازى عن الإسلام مع كونه عند علمائكم من الأئمة الأربعة هل يناسب هذا لما فهمت من كلامه أن المعين

لا يكفر ولو دعا عبد القادر فى الرخاء والشدة ولو أحب عبد الله بن عون وزعم أن دينه حسن مع عبادته أبى حديدة ولو أبغضك واستنجسك مع أنك أقرب الناس إليه لما رآك ملتفتا بعض الالتفات إلى التوحيد مع كونك توافقهم على شىء من شركهم وكفرهم . وقال الشيخ أيضاً فى رده على بعض المتكلمين وأشباههم والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة وفيهم زهد وأخلاق فهذا لا يوجب السعادة إلا بالإيمان بالله وحده وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن . وأهل الرأى والعلم بمنزلة الملك والإمارة فكل منهم لا ينفعه ذلك إلا أن يعبد الله وحده لا شريك له ويتخذه إلها دون ما سواه وهو معنى قول لا إله إلا الله . وهذا ليس فى حكمتهم ليس فيها إلا أمر بعبادة الله وحده والنهى عن عبادة المخلوقات بل كل شرك فى العالم إنما حدث برى جنسهم فهم الآمرون بالشرك الفاعلون له ومن لم يأمر منهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلا . وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحا ما فقد يرجح غيره المشركين وقد يعرض عن الأمرين جميعا فتدبر هذا فإنه نافع جدا وكذلك الذين كانوا فى ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل. والتوحيد الذى جاءت به الرسل لابد فيه من التوحيد بإخلاص الدين كله لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شىء لا يعرفونه ، والتوحيد الذى يدّعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات فلو كانوا موحدين بالكلام وهو أن يصفوا الله بما وصفته به رسله لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفى فى النجاة بل لابد أن يعبد الله وحده ويتخذه إلها دون ما سواه ، وهو معنى قوله : لا إله إلا الله فكيف وهم فى القول معطلون جاحدون ولا مخلصون انتهى. فتأمل كلامه واعرضه على ما غرك به الشيطان من الفهم الفاسد الذى كذّبت به الله ورسوله وإجماع الأمة وتحيزت به إلى عبادة الطواغيت فإن فهمت هذا وإلا أشير عليك أنك تكثر من التضرع والدعاء إلى من الهداية بيده فإن الخطر عظيم فإن الخلود فى النار جزاء الردة الصريحة ما يسوى بضيعة تربح تومانا أو نصف تومان وعندنا ناس يجيئون بعيالهم بلا مال ولا جاعوا ولا شحذوا وقد قال الله فى هذه المسألة (يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون ، وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى إخوانه من أهل سدير بسبب أمر جرى بين أهل الحوطة من بلدان سدير قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فيجرى عندكم أمور تجرى عندنا من سابق وننصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها ، وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكرا وهو مصيب لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان ، وقد قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) الآية ، وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » وأهل العلم يقولون الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث أن يعرف مايأمر به وينهى عنه ويكون رفيقا فيما يأمر به وينهى عنه صابرا على ما جاءه من الأذى ، وأنتم محتاجون للحرص على فهم هذا والعمل به فإن الخلل إنما يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه ، وأيضا يذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره ، فالله الله فى العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا فى صلاح دينه ودنياه ؛ وسبب هذه المقالة التى وقعت بين أهل الحوطة أن صار أهل الدين واجبا عليهم إنكار المنكر فلما غلظوا الكلام صار فيه اختلاف بين أهل الدين فصار فيه مضرة على الدين والدنيا ، وهذا الكلام وإن كان قصيرا فمعناه طويل فلازم لازم تأملوه وتفقهوا فيه واعملوا به فإن عملتم به صار نصرا للدين واستقام الأمر إن شاء الله ، والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أميرا وغيره أن ينصح برفق خفية مايشترف أحد ، فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلا يقبل منه بخفية ، فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهرا إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر عنا خفية ، وهذا الكتاب كل أهل بلد ينسخون منه نسخة ويجعلونها عندهم ثم يرسلونه لحرمه والمجمعة ثم للغاط والزلفى والله أعلم .

ومنها رسالة أرسلها إلى أحمد بن يحي مطوع من أهل رغبة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى أحمد بن يحيى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ما ذكرت من طرف مراسلة سليمان فلا ينبغى أنها تزعلك : الأولى أنه لو خالف فمثلك يحلم ولا يأتى بغايته هذا ولا أكثر منه . وثانيا أنك إذا عرفت أن كلامه ماله فيه قصد إلا الجهر فى الدين ولو صار مخطئا فالأعمال بالنيات التى هذه مقصده يغتفر له ولو جهل عليك ، ونحن ملزمون عليك لزمة جيدة وربك ونبيك ودينك لزمتهم لزمة تتلاشى فيها كل لزمة وهذه الفتنة الواقعة ليست فى مسائل الفروع التى مازال أهل العلم يختلفون فيها من غير نكير ولكن هذه فى شهادة أن لا إله إلا الله والكفر بالطاغوت، ولا يخفاك أن الذى عادانا فى هذا الامر هم الخاصة الذين ليسوا بالعامة ، هذا ابن إسماعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم فى إنكار دين الإسلام الذى حكاه فى الاقناع فى باب حكم المرتد الإجماع من كل المذاهب أن من لم يدن به فهو كافر وكاتبناهم ونقلنا لهم العبارات وخاطبناهم بالتى هى أحسن وما زادهم ذلك إلا نفورا ، وزعموا أن أهل العارض ارتدوا لما عرفوا شيئا من التوحيد وأنت تفهم أن هذا لايسعك التكفى عنه ، فالواجب عليك نصر أخيك ظالما ومظلوما وأن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة فلا تعذر لا عند الله ولا عند خلقه من الدخول فى هذا الأمر فإن كان الصواب معنا ، فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله . وإن كان الصواب معهم أو معنا شىء من الحق وشىء من الباطل أو معنا غلو فى بعض الأمور . فالواجب منك مذاكرتنا ونصيحتنا وتورينا عبارات أهل العلم لعل الله أن يردنا بك إلى الحق وإن كان إذا حررت المسألة إذ أنها من مسائل الاختلاف ، وأن فيها خلافا عند الحنفية أو الشافعية أو المالكية فتلك مسألة أخرى .

وبالجملة فالأمر عظيم ولا نعذرك من تأمل كلامنا وكلامهم ثم تعرضه على كلام أهل العلم ثم تبين فى الدعوة إلى الحق وعداوة من حاد الله ورسوله منا أو من غيرنا والسلام .

ومنها رسالة أرسلها إلى عبدالله بن عيسى مطوع الدرعية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن عيسى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد ، فقد قال ابن القيم فى أعلام الموقعين (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما

يتبعون أهواءهم) فقسم الأمر إلى أمرين لاثالث لهما : إما الاستجابة للرسول وإما اتباع الهوى وذكر كلاما فى تقرير ذلك إلى أن قال ، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ماجاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم عليه يعنى الآيات فى النساء (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) قال : والطاغوت كل ماتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاوع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لايعلمون أنه طاعة لله فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن طاعة الله ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته وهؤلاء لم يسلكوا طريق الناجين من هذه الأمة وهم الصحابة ومن تبعهم قال الله (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) والزبر الكتب أى كل فرقة صنفوا كتبا أخذوا بها وعملوا بها دون كتب الآخرين كما هو الواقع سواء وقال (يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه) قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف . وتسودّ وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، هذا كله كلام ابن القيم . وقال الشيخ تقى الدين فى كتاب الإيمان قال الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية وفى حديث عدى بن حاتم أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم «إنا لسنا نعبدهم . قال أليس يحرمون ماأحل الله فتحرمونه ويحلون ماحرم الله فتحلونه قات بلى قال : فتلك عبادتهم» رواه الإمام أحمد والترمذى وغيره وقال أبو العالية إنهم وجدوا فى كتاب الله ماأمروا به وما نهوا عنه فقالوا لن نسبق أحبارنا بشىء فما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقوله (ونبذوه وراء ظهورهم) انتهى كلام ابن تيمية ، فتأمل هذا الكلام بشراشر قلبك ثم نزله على أحوال الناس وحالك وتفكر فى نفسك وحاسبها بأى شىء تدفع هـذا الكلام وبأى حجة تحتج يوم القيامة على ما أنت عليه فإن كان عندك شبهة فاذكرها فأنا أبينها إن شاء الله تعالى والمسألة مثل الشمس ولـكن من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وإن لم يتسع عقلك لهـذا فتضرع إلى الله بقلب حاضر خصوصا فى الأسحار أن يهديك للحق ويريك الباطل باطلا ، وفرّ بدينك فإن الجنة والنار قدامك والله المستعان ، ولا تستهجن هذا الكلام فوالله ماأردت به إلا الخير ، وصلى

الله على محمد وآله وسلم . ومنها رسالة أرسلها إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الوهاب بن عبد الله بن عيسى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد أن تفضلتم بالسؤال فنحمد الله إليكم الذى لا إله إلا هو ونحن بخير وعافية جعلكم الله كذلك وأحسن من ذلك . وأبلغوا لنا الوالد السلام سلمه الله من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وغير ذلك فى نفسى عليه بعض الشىء من جهة المكاتيب لما حبسها عنا هجسنا فيه الظن الجميل ثم بعد ذلك سمعنا بعض الناس يذكر أنه معطيها بعض السفهاء يقرءونها على الناس ، وأنا أعتقد فيه المحبة وأعتقد أيضاً أن له غاية وعقلا وهو صاحب إحسان علينا وعلى أهالنا فلا ودى يعقبه بالأذى ويكدر هذه المحبة بلا منفعة فى العاجل والآجل ، وأنا إلى الآن ما تحققت ذلك وهو حبس فيه بالهاجوس الجيد وذكر أيضاً عنه بعض الناس بعض الكلام الذى يشوش الخاطر ، فإن كان يرى أن هذا ديانة ويعتقده من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأنا ولله الحمد لم آت الذى أتيت بجهالة وأشهد الله وملائكته أنه إن أتانى منه أو ممن دونه فى هذا الأمر كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين وأترك قول كل إمام اقتديت به حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يفارق الحق ، فإن كانت مكاتيب أولياء الشيطان وزخرفة كلامهم الذى أوحى إليهم ليجادل فى دين الله لما رأى أن الله يريد أن يظهر دينه على غرته . وأصغت إليها أفئدتكم فاذكروا لى حجة مما فيها أو كلها أو فى غيرها من الكتب مما تقدرون عليه أنتم ومن وافقكم فإن لم أجاوبعنها بجواب فاصل بين يعلم كل من هداه الله أنه الحق وأن تلك هى الباطل فأنكروا علىّ وكذلك عندى من الحجج الكثيرة الواضحة ما لا تقدرون أنتم ولاهم أن تجيبوا عن حجة واحدة منها ، وكيف لكم بملاقاة جند الله ورسوله . وإن كنتم تزعمون أن أهل العلم على خلاف ما أنا عليه وهذه كتبهم موجودة ومن أشهرهم وأغلظهم كلام الإمام أحمد كلهم على هذا الأمر لم يشذ منهم رجل واحد ولله الحمد ولم يأت عنهم كلمة واحدة أنهم أرخصوا لمن لم يعرف الكتاب والسنة فى أمركم هذا فضلا عن أن يوجبوه ، وإن زعمتم أن المتأخرين معكم

فهؤلاء سادات المتأخرين وقادتهم ابن تيمية وابن القيم، وابن رجب عندنا له مصنف مستقل فى هذا، ومن الشافعية الذهبى وابن كثير وغيرهم وكلامهم فى إنكار هذا أكثر من أن يحصر وبعض كلام الإمام أحمد ذكره ابن القيم فى الطرق الحكمية فراجعه. ومن أدلة شيخ الإسلام (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) الآية، فقد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة بعده بهذا الذى تسمونه الفقه وهو الذى سماه الله شركا واتخاذهم أربابا لا أعلم بين المفسرين فى ذلك اختلافا. والحاصل أن من رزقه الله العلم يعرف أن هذه المكاتيب التى أتتكم وفرحتم بها وقرأتموها على العامة من عند هؤلاء الذين تظنون أنهم علماء كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوّا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) إلى قوله (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) لكن هذه الآيات ونحوها عندكم من العلوم المهجورة، بل أعجب من هذا أنكم لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله ولا تنكرون هذه الأوثان التى تعبد فى الخرج وغيره التى هى الشرك الأكبر بإجماع أهل العلم، وأنا لا أقول هذا.

الفصل الرابع

فى المسائل التى سئل عنها فأجاب وتركت كثيرا منها لئلا يطول الكتاب.

سئل رحمه الله عن معنى لا إله إلا الله، فأجاب بقوله: اعلم رحمك الله أن هذه الكلمة هى الفارقة بين الكفر والإسلام وهى كلمة التقوى وهى العروة الوثقى وهى التى جعلها إبراهيم كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون، وليس المراد بقولها باللسان مع الجهل بمعناها فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار فى الدرك الأسفل من النار مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد بقولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها وبغض ماخالفها ومعاداته كما قال النبى صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله مخلصا» وفى رواية «خالصا من قلبه» وفى رواية «صدقا من قلبه» وفى حديث آخر «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله» إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة، فاعلم أن هذه الكلمة نفى وإثبات: نفى الألوهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد صلى الله عليه وسلم حتى جبريل فضلا عن غيرهما

من الأولياء والصالحين . إذا فهمت ذلك فتأمل هـذه الألوهية التى أثبتها لله ونفيتها عن محمد وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة خردل فاعلم أن هذه الألوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السر والولاية والإله معناه الولى" الذى فيه السر وهو الذى يسمونه الفقراء الشيخ ويسميه العامة السيد وأشباه هذا ، وذلك أنهم يظنون أن الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى أن الإنسان يلتجىء إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله . فالذى يزعمه أهل الشرك فى زماننا أنهم وسائط هم الذين يسمونهم الأولون الآلهة والواسطة هو الإله فقول الرجل لا إله إلا الله إبطال للوسائط ، وإذا أردت أن تعرف هذا معرفة تامة فذلك بأمرين : الأول أن تعرف أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم وقتلهم ونهب أموالهم واستحل نساءهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية ، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحى ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله كما قال تعالى (قل من يرزقـكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر؟ فسيقولون الله) وهذه مسألة عظيمة مهمة وهى أن تعرف أن الـكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الإسلام ولم يحرم دماءهم وأموالهم وكانوا أيضا يتصدقون ويحجون ويعتمرون ويتعبدون ويتركون أشياء من المحرمات خوفا من الله عز وجل . ولـكن الأمر الثانى هو الذى كفرهم وأحل دماءهم وأموالهم وهو أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية وهو أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا ملك مقرب ولا نبى مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر وأشباه ذلك ، وتمام هذا أن تعرف أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يدعون الصالحين مثل الملائـكة وعيسى وعزير وغيرهم من الأولياء فكفروا بهذا مع إقرارهم بأن الله هو الخالق الرازق المدبر إذا عرفت هذا عرفت معنى لا إله إلا الله وعرفت أن من ناجى نبياً أو ملـكا أو ندبه واستغاث به فقد خرج من الإسلام وهكذا هو الـكفر الذى قاتلهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قال قائل من المشركين نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لـكن هؤلاء الصالحون مقربون ونحن ندعوهم وننذر لهم وندخل عليهم ونستغيث بهم نريد بذلك الوجاهة والشفاعة وإلا فنحن

نفهم أن الله هو المدبر فقل كلامك هذا مذهب أبي جهل وأمثاله فإنهم يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والأولياء يريدون ذلك كما قال الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فإذا تأملت هذا تأملا جيدا عرفت أن الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبية وهو التفرد بالخلق والرزق والتدبير فهم يناجون عيسى والملائكة والأولياء يقصدون أنهم يقربونهم إلى الله ويشفعون لهم عنده وعرفت أن الكفار خصوصاً النصارى من يعبد الله الليل والنهار ويزهد في الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا في صومعة عن الناس ؛ ومع هذا هو كافر عدو الله مخلد في النار بسبب اعتقاده في عيسى أو غيره من الأولياء يدعوه ويذبح له وينذر له فقد تبين لك كيف صفة الإسلام الذى دعا إليه نبيك صلى الله عليه وسلم وتبين لك أن كثيرا من الناس عنه بمعزل وتبين لك معنى قوله صلى الله عليه وسلم « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فالله الله ياإخواني تمسكوا بأصل دينكم وأوله وآخره وأسه ورأسه شهادة أن لا إله إلا الله واعرفوا معناه وأحبوها وأحبوا أهلها واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم وابغضوا من أحبهم وجادل عنهم ومن لم يكفرهما وقال ما عليّ منهم أو قال ما كلفني الله بهم فقد كذب هذا على الله وافترى فقد كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانهم وأولادهم فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لاتشركون به شيئاً. اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين. ولنختم الكلام بآية ذكرها الله في كتابه تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم كفرا من الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) فقد سمعتم أن الله سبحانه ذكر عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر تركوا السادة والمشايخ فلم يدعوا أحدا منهم ولم يستغيثوا به بل أخلصوا لله وحده لاشريك له واستغاثوا به وحده . فإذا جاء الرخاء أشركوا. وأنت ترى المشركين من أهل زماننا ، ولعل بعضهم يدّعى أنه من أهل العلم وفيه زهد واجتهاد وعبادة إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله مثل معروف أو عبد القادر الجيلاني وأجلّ من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير ، وأجلّ من هؤلاء مثل

رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله المستعان ، وأعظم من ذلك وأطم أنهم يستغيثون بالطواغيت والكفرة والمردة مثل شمسان وإدريس ويوسف وأمثالهم والله سبحانه أعلم . المسأله الثانية سئل رحمه الله عن قوله تعالى فى سورة هود (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لايبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فأجاب بقوله ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مايفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه فمن ذلك العمل الصالح الذى يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلة وإحسان إلى الناس ونحو ذلك وكذلك ترك ظلم أو كلام فى عرض مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصا لله لكنه لايريد ثوابه فى الآخرة إنما يريد أن يجازى به بحفظ ماله وتنميته أو حفظ أهله وعياله أو إدامة النعم عليهم ونحو ذلك ، ولا همة لهم فى طلب الجنة والهرب من النار فهذا يعطى ثواب عمله فى الدنيا ، وليس له فى الآخرة من نصيب . وهذا النوع ذكره ابن عباس وقد غلط فيه بعض مشايخنا بسبب عبارة ذكرها فى الإقناع فى أول باب النية لما قسم الإخلاص إلى مراتب وذكر هذا ظن أنه يسمى إخلاصا مدحا له وليس كذلك وإنما أراد أنه يسمى رياء وإلا فهو عمل حابط فى الآخرة . النوع الثانى وهو أكبر من الأول وأخوف ، وهو الذى ذكر مجاهد فى الآية أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالا صالحة ونيته رياء الناس لاطلب ثواب الآخرة . وكما ذكر لمعاوية حديث أبى هريرة فى الثلاثة الذين أول من تسعر بهم النار وهم الذى تعلم العلم ليقال عالم وتصدق ليقال جواد وجاهد ليقال شجاع فبكى معاوية بكاء شديدا ثم قرأ هذه الآية . النوع الثالث أن يعمل الأعمال الصالحة ويقصد بها مالا مثل الحج لمال يأخذه لالله أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لأجل المغنم فقد ذكر أيضا هذا النوع فى تفسير هذه الآية كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعس عبد الدينار [1] » إلى آخره .

وكما يتعلم الرجل العلم لأجل مدارسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم أو يتعلم القرآن

---

(١) سقط من أصل الطبعة الأولى أربع كراريس وأثبتناها هنا وهى من قوله : إلى آخره إلى قوله وقال الشيخ رحمه الله ورضى عنه قوله تعالى « واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان » الآية . عبد المحسن أبا بطين .

أو يواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد كما هو واقع كثيرا، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا لأجل المدح والجلالة فى أعين الناس ولا يحصل لهم طائل . والنوع الأول أعقل من هؤلاء كلهم لأنهم عملوا لله وحده لاشريك له لكن لم يطلبوا الخير الكثير العظيم الدائم وهو الجنة ولم يرهبوا من الشر العظيم وهو النار . النوع الرابع أن يعمل الإنسان بطاعة الله مخلصا فى ذلك لله وحده لاشريك له لكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم شرك أو كفر أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله فى الدار الآخرة لأنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام تمنع قبول أعمالهم فهذا النوع أيضاً قد ذكر فى الآية عن أنس ابن مالك وغيره وكان السلف يخافون منها . قال بعضهم : لو أعلم أن الله يقبل منى سجدة واحدة لتمنيت الموت لأن الله يقول « إنما يتقبل الله من المتقين » فهذا قصد وجه الله والدار الآخرة ، لكن فيه من حب الدنيا والرياسة والمكث والمال ماحمله على ترك كثير من أمر الله ورسوله أو أكثر فصارت الدنيا أكبر قصده ولذلك قبل قصد الدنيا، وذلك القليل كأنه لم يكن كقوله صلى الله عليه وسلم « فإنك لم تصل » والأول أطاع الله ابتغاء وجه الله لكن أراد الثواب فى الدنيا وخاف على الحظوء العيال مثل مايقول الفسقة فصح أن يقال قصد الدنيا والثانى والثالث واضح، لكن بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالبا ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالا كثيرة أو قليلة قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما . وقد قال بعضهم القرآن كثيرا مايذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله ولهذا خاف السلف من حبوط الأعمال . وأما الفرق بين الحبوط والبطلان فلا أعلم بينهما فرقا والله أعلم. المسئلة الثالثة قال رحمه الله سألنى الشريف عما نقاتل عليه وعما نكفر به الرجل ، فأجبته وبينت له أيضا الكذب الذى بهت به الأعداء فسألنى أن أكتب له فأقول أركان الإسلام الخمسة أولها الشهادتان ثم الأركان الأربعة، فالأربعة إذا أقر بها وتركها تهاونا ونحن وإن قاتلناه على فعلها فلا نكفره بتركها، والعلماء اختلفوا فى كفر

التارك لها كسلا من غير جحود ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم وهو الشهادتان، وأيضاً نكفره بعد التعريف إذا عرف وأنكر فنقول : أعداؤنا على أنواع . النوع الأول من عرف أن التوحيد دين الله ورسوله الذى أظهرناه للناس وأقر أيضا أن هذه الاعتقادات فى الحجر والشجر والبشر الذى هو دين غالب الناس هى الشرك بالله الذى بعث الله رسوله ينهى عنه ويقاتل أهله ليكون الدين كله لله ومع ذلك لم يلتفت إلى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ولا ترك الشرك ، فهذا كافر نقاتله بكفره لأنه عرف دين الرسول فلم يتبعه وعرف دين الشرك فلم يتركه مع أنه لا يبغض دين الرسول ولا من دخل فيه ولا يمدح الشرك ولا يزينه للناس . النوع الثانى من عرف ذلك كله ولكنه تبين فى سب دين الرسول مع أعدائه أنه عامل به وتبين فى مدح من عبد يوسف والأشعرى ومن عبد أبا على والخضر من أهل الكويت وفضلهم على من وحد الله وترك الشرك . فهذا أعظم من الأول وفيه قوله تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وهو ممن قال الله فيه (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون) . النوع الثالث من عرف التوحيد وأحبه واتبعه وعرف الشرك وتركه ، ولكن يكره من دخل فى التوحيد ويحب من بقى على الشرك ، فهذا أيضاً كافر وهو ممن ورد فيه قوله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) . النوع الرابع من سلم من هذا كله ولكن أهل بلده مصرحون بعداوة التوحيد واتباع الشرك وساعون فى قتالهم ويتعذر عليهم تركه وظنه يشق عليه ويقاتل أهل التوحيد من أهل بلده ويجاهد بماله ونفسه فهذا أيضا كافر فإنهم لو يأمرون بترك صوم رمضان ولا يمكنه الصيام إلا بفراقهم فعل ولو يأمرونه بتزويج امرأة أبيه ولا يمكنه ذلك إلا بمخالفتهم فعل وموافقتهم على الجهاد معهم بنفسه وماله مع أنهم يريدون بذلك قطع دين الله ورسوله أكثر ممن ذكر لكثير وهذا أيضاً كافر وهو ممن قال الله فيه (ستجدون آخرين يريدون أن يؤمنوكم ويأمنوا قومهم إلى قوله سلطانا مبيناً) فهذا الذى نقول . وأما الكذب والبهتان ، فمثل قولهم إنا نكفر بالعموم ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه وإنا نكفر من لم يكفر ولم يقاتل ومثل هذا وأضعاف أضعافه فكل هذا من الكذب والبهتان الذى يصدون به الناس عن دين الله ورسوله ، وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على

قبر عبد القادر والصنم الذى على قبر أحمد البدوى وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من يفهمهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم) بل نكفر تلك الأنواع الأربعة لأجل محادتهم لله ورسوله. فرحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذى عنده الجنة والنار ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . المسئلة الرابعة سأل ثنيان بن سعود عن قوله تبارك وتعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) وعن الحديث المذكور فى مسند أحمد «أن نوحا عليه السلام نهى بنيه عن الشرك وأمرهم بلا إله إلا الله » . فأجاب بقوله : من محمد بن عبد الوهاب إلى ثنيان بن سعود سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد ، فقد سألتم عن معنى قوله تعالى (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وكونها نزلت بعد الهجرة فهذا مصداق كلامى لكم مراراً عديدة أن الفهم الذى يقع فى القلب غير فهم اللسان. وذلك أن هذه المسئلة من أكثر ما يكون تكرارا عليكم وهى التى بوب لها الباب الثانى فى كتاب التوحيد، وذلك أن العالم لا يسمى عالما إلا إذا أثمر فيه العلم فإذا لم يثمر فهو جاهل كما قال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقال عن يعقوب (وإنه لذو علم لما علمناه) والكلام فى تقرير هذا يطول . إذا ثبت أن العلم هو الذى يستلزم العمل فمعلوم أن تفاضل الناس فى الأعمال تفاضل لا ينضبط وكل ذلك بسبب تفاضلهم فى العلم ويكفيك فى هذا استدلال الصديق على عمر فى قصة أبى جندل مع كونها من أشكل المسائل التى وقعت فى الأولين والآخرين شهادة أن محمدا رسول الله . وسر المسألة أن العلم بلا إله إلا الله ليس أمرا واحدا لا يتفاضل بل تفاضل الناس فى هذه المسئلة لا يعلمه إلا الله وشبه هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (إن الله على كل شىء قدير ـ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض) فإن العلم بهذه الأصول الكبار يتفاضل فيه الأنبياء فضلا عن غيرهم. وأما نهى نوح عليه السلام بنيه عن الشرك وأمرهم بلا إله إلا الله فليس هذا تكرارا بل هذان أصلان مستقلان كبيران وإن كانا متلازمين، فالنهى عن الشرك يستلزم الكفر بالطاغوت ولا إله إلا الله والإيمان بالله، وهذا وإن كان متلازما فنوضحه لكم ، والواقع أن كثيرا من الناس يقول لا أعبد إلا الله وأنا أشهد بكذا وأقر بكذا ويكثر الكلام . فإذا قيل له ما تقول فى فلان وفلان إذا عبد وعبد من دون الله ؟ قال : ما علىّ من الناس الله أعلم بحالهم ويظن بباطنه أن ذلك لا يجب عليه

فمن أحسن الاقتران أن الله قرن بين الإيمان بالله والكفر بالطاغوت والبداءة بالكفر به على الإيمان بالله وقرن أيضاً بين الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك مع أن الوصية بلاإله إلا الله ملازمة للذكر بهذه اللفظة والإكثار منها وتبين عظمة قدرها كما بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل (قل هو الله أحد) على غيرها من السور وذكر أنها تعدل ثلث القرآن مع قصدها وكذلك حديث موسى عليه السلام فإن فى ذلك مايقتضى كثرة الذكر بهذه الكلمة كما فى الحديث « أفضل الذكر لا إله إلا الله » ثم أنتم فى أمان الله وحفظه والسلام. المسألة الخامسة سأله الشيخ عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم فى أول إسلامهما عن قول الشيخ تقى الدين من جحد ماجاء به الرسول وقامت به الحجة فهو كافر؟ فأجاب بقوله إلى الأخوين عيسى بن قاسم وأحمد بن سويلم سلام عليكم ورحمة الله وبعد. فما ذكرتموه من قول الشيخ من جحد كذا وكذا وأنكم شاكون فى هؤلاء الطواغيت واتباعهم هل قامت عليهم الحجة أم لا؟ فهذا من العجب العجاب كيف تشكون فى هذا وقد وضحته لكم مراراً فإن الذى لم تقم عليه الحجة هو الذى حديث عهد بالإسلام والذى نشأ ببادية بعيدة أو يكون ذلك فى مسألة خفية مثل الصرف والعطف فلا يكفر حتى يعرف. وأما أصول الدين التى أوضحها الله وأحكمها فى كتابه فإن حجة الله هى القرآن فمن بلغه فقد بلغته الحجة، ولكن أصل الإشكال أنكم لم تفرقوا بين قيام الحجة. وبين فهم الحجة فإن أكثر الكفار والمنافقين لم يفهموا حجة الله مع قيامها عليهم كما قال تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) وقيام الحجة وبلوغها نوع وفهمهم إياها نوع آخر وكفرهم ببلوغها إياهم وإن لم يفهموها نوع آخر فإن أشكل عليكم ذلك. فانظروا قوله صلى الله عليه وسلم فى الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم» وقوله «شر قتلى تحت أديم السماء» مع كونهم فى عصر الصحابة ويحقر الإنسان عمل الصحابة معهم، ومع الإجماع أن الذى أخرجهم من الدين هو التشدد والاجتهاد وهم يظنون أنهم مطيعون لله، وقد بلغتهم الحجة ولكن لم يفهموها وكذلك قتل على رضى الله عنه الذين اعتقدوا فيه وتحريقهم بالنار مع كونهم تلاميذ الصحابة ومع عبادتهم وصلاحهم وصيامهم وهم أيضا يظنون أنهم على حق. وكذلك إجماع السلف على تكفير ناس من غلاة القدرية وغيرهم مع كثرة علمهم وشدة عبادتهم مع كونهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، ولم يتوقف أحد من

السلف فى تكفيرهم لأجل أنهم لم يفهموا فإن هؤلاء كلهم لم يفهموا . إذا علمتم ذلك فهذا الذى أنتم فيه وهو الشك فى أناس يعبدون الطواغيت ويعادون دين الإسلام ويزعمون أنه ردة لأجل أنهم مافهموا كل هـذا أظهر وأبين مما تقدم إلا الذين حرقهم على فإنه يشابه هذا وأما إرسال كلام الشافعية أو غيرهم فلا يتصور أن يأتيكم أوضح مما أتاكم . فإن كان عليكم بعض الإشكال فارغبوا إلى الله أن يزيله عنكم. وأيضاً ذكر لى محمد بن سليمان أنه جرى عندكم مسئلتان : الأولى صورة المقاصة يريد بعض الناس أن يحتال على المنهى عنه من بيع الطعام قبل قبضه ويقول الخشيد إذا جاء بدراهم التمر بعهاعلى بتمرقدر الذى فى ذمته ثم يتساقطان ويجعل هـذه من المقاصة المباحة وكذلك ذكروا إذا اشترى منه سلعة وشرط عليه أن يوفيه بها صح العقد وفسد الشرط إن بعض الناس يريد أن يجعل هذه حيلة إلى قلب الدين الذى فى ذمته. دينا آخر وينسب الصحة إلى الإقناع والمنتهى وهما من أشد الناس كلاما وتحريما لمثل هـذا حتى إنهما يحرمان صوراً مع كون المتعاقدين لم يقصدا الحيلة لئلا يتخذ ذريعة مثل العينة وغيرها ، وأنا ذكرت لكم مرارا إذا ادعى أحد فى هذا وأمثاله الجواز فاسألوا عن الحيل المحرمة التى هى مخادعة لله مامعناها وما صورتها. مثال ذلك : أنك لو تسألنى عن رجل اشترى منك سلعة بعشرين مشخصا وهى تساوى العشرين ثيابا أو طعاما أو غيرهم قلت لك هـذا صحيح بالإجماع فإذا سألتنى عن إبرائه من العشرين مشخصا بعد ماثبتت فى ذمته قلت هذا من الإحسان بالإجماع فإذا قلت إنه لم يشتر منى ولم أبرئه إلا لأنه يريد أن يقرضنى مائتى مشخص بربح عشرين وقال لى هـذا ربا لايصح ولكن بعين سلعة تساوى عشرين ثم بعد ذلك أبرأنى منها. قلت لك هذا صريح الربا والمخادعة لله بلا شك وكذلك أشباه هذه الصورة ، فالذى يجعل التحيل على بيع الطعام قبل قبضه من المقاصة أو يجعل بيع السلعة ليوفيه بها حيلة إلى كون رأس السلم دينا مع تصريحهم بتحريمه بل هذه الحيلة اسألوه ما الفرق بين هـذه الصورة وبين تلك فإنه لايجد فرقا إلا بالمكابرة. وهنا فائدة ينبغى التنبيه لها وهى أن الحيل على الربا قد نشأتم عليها أنتم ومشايخكم ويسمونها التصحيح والأمور التى نشأ الإنسان عليها صعب عليه مفارقتها بالكلية والاستجابة لله والرسول وترك مذهب الآباء وما عليـه المشايخ إنه عظيم لايوافق عليه أكثر الخلق فأمر الحيل ومسائله مثل أمر الشرك فكما

أنكم لم تفهموا الشرك أول مرة ولا ثانية ولا ثالثة ولم تفهموه كله إلى الآن كذلك الحيل لأجل نشأتكم عليها وتسويتها التصحيح تحتاج منكم إلى نظر وفطنة فأكثروا التدبر لها والمطالعة والتمثيل فى إغاثة اللهفان وغيرها والله أعلم . المسألة السادسة سأله محمد بن صالح عن رشوة الحاكم الذى ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشى والمرتشى وذلك أنه وقع بينه وبين سليمان بن سحيم مجادلة فى ذلك . فقال الشيخ رحمه الله فى الجواب سألتم رحمكم الله عن رشوة الحاكم الذى ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لعن الراشى والمرتشى وذكر له أن بعض الناس حملها على ماإذا حكم الحاكم بغير الحق وأماإذا أخذ رشوة من صاحب الحق وحكم له به فهى حلال مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم «أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله» وأنكم استدللتم بقوله تعالى (ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا) وأجابكم بأنها نزلت فى كعب بن الأشرف وبأن الناس فرضوا لأبى بكر لما تولى الأمر درهمين كل يوم ، وكذلك قول من قال لاأحكم بينكما إلا بجعل . فأقول أما صورة المسألة فهى أشهر من أن تذكر بل هى تعلم بلا اضطرار فإن حكام زماننا لما أخذوا الرشوة أنكرت عليهم العقول والفطر بما جبلها الله من غير أن يعلموا أن الشارع نهى عنها ولكن إذا جادل المنافق بالباطل فربما يروج على المؤمن فيحتاج إلى كشف الشبهة فنقدم قبل الجواب مقدمة وهى أن الله سبحانه لما أظهر شيئاً من نور النبوة فى هذا الزمان وعرف العامة شيئاً من دين الإسلام وافق أنه قد ترأس على الناس رجال من أجهل العالمين وأبعدهم عن معرفة ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقد صاروا فى الرياسة بالباطل وفى أكل أموال الناس ويدّعون أنهم يعملون بالشرع ولايعرفون شيئاً من الدين إلا شيئاً من كلام بعض الفقهاء فى البيع والإجارة والوقف والمواريث وكذلك فى المياه والصلاة ولا يميزون حقه من باطله ولا يعرفون مستند قائله . وأما العلم الذى بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا منه خبرا ولم يقفوا منه على عين ولا أثر فقد تزاحمت بهم الظنون (وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) ومصداق هذا كله أن الداعى لما أمرهم بتوحيد الله ونهاهم عن عبادة المخلوقين أنكروا ذلك وأعظموه وزعموا أنه جهالة وضلالة مع كون هذه المسألة أبين فى دين محمد صلى الله عليه وسلم من كون العصر أربعا والمغرب ثلاثا بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمدا صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى ذلك وما دل

عليه وقاتل عليه فهؤلاء الذين يزعمون أنهم علماء اشتد إنكارهم علينا لما تكلمنا بذلك وزعموا أنه دين ومذهب خامس وأنهم لم يسمعوه من مشائخهم ومن قبلهم. وبالجملة فهذا الحق قد خالف أهواءهم من جهات متعددة : الأولى أنهم لايعرفونه مع كونهم يظنون أنهم من العلماء. الثانية أنه فيه ما ألف عادة نشئوا عليها ومخالفة العادات شديدة. الثالثة أنه مخالف لعلمهم الذى بأيديهم وقد أشربوا حبه كما أشربت بنو إسرائيل حب العجل. الرابعة أن هذا الدين يريد أن يحول بينهم وبين مآكلهم الباطلة المحرمة الملعونة إلى غير ذلك من الأمور التى يبتلى الله بها العباد فلما ظهر هذا الأمر اجتهدوا فى عداوته وإطفائه بما أمكنهم وجاهدوا فى ذلك بأيديهم وألسنتهم فلما غلظ الأمر وبهدهم نور النبوة ولم يجئ على عاداتهم الفاسدة فتفرقوا فيه كما تفرق إخوانهم الأولون، فبعضهم قال مذهب ابن تيمية كما لمزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن أبى كبشة، وبعضهم قال كتب باطلة كقولهم (أساطير الأولين اكتتبها) وبعضهم قال هذا يريد الرياسة كما قالوا (أجئتنا لتلفتنا عن ماوجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) وتارة يرمون المؤمنين بالمعاصى كما قالوا لنوح فأجابهم بقوله (وما علمى بما كانوا يعملون) وتارة يرمونه بالسفاهة ونقص العقل كما قالوا (أنؤمن كما آمن السفهاء) فأجابهم الله تعالى (ألا إنهم هم السفهاء) الآية وتارة يضحكون من المؤمنين ويستهزئون بأفعالهم التى خالفت العادات كقوله تعالى (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) وتارة يكذبون عليهم الأكاذيب العظيمة كقوله (فقد جاءوا ظلما وزورا) وتارة يرمون دين مايوجد فى بعض المنتسبين إليه من رثاثة الفهم والمسكنة كما قالوا (مانراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) وتارة تقطع قلوبهم من الحسرة والغيظ إذا رأوا الله رفع بهذا الدين أقواما ووضع به آخرين كقولهم (أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) إلى غير ذلك من الأمور التى يطول ذكرها. وبالجملة فمن شرح الله صدره للاسلام ورزقه نورا يمشى به فى الناس تبينت له هذه الأمور التى وقعت فى وقتنا هذا كثيرا من معانى القرآن وتبين له شىء من حكمة الله فى ترداد هذا فى كتابه لشدة الحاجة إليه فيقال لهؤلاء المردة آكلى أموال الناس بالباطل ومذهبى أديانهم مع أموالهم ماقال عمر بن عبد العزيز : رويدا يا ابن نباتة فلو التقت حلقتا البطان ورد الفئ إلى أهله لأتفرغنّ لك ولأهل بيتك حتى أدعهم على المحجة البيضاء فطالما تركتم الحق وأوضعتم

فى الباطل. وأما المسألة والجواب عنها فنقول قد علم بالكتاب والسنة والفطر والعقول تحريم الرشوة وقبحها والرشوة هو ما يأخذه الرجل على إبطال حق وإعطاء باطل وهذه يسلمها لك منازعك وهى أيضاً ما يؤخذ على إيصال حق إلى مستحقه بل يسكت ولا يدخل فيه حتى يعطيه رشوة فهذه حرام منهى عنها بالإجماع ملعون من أخذها ، فمن ادعى حلها فقد خالف الإجماع . وقوله بأى شريعة حكمت بتحريم هذا ؟ فنقول حكمت به شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع على ذلك علماء أمته ، وأحل ذلك المرتشون الملعونون . ومن أنواع الرشوة الهدايا التى تدفع إلى الحاكم بسبب الحكم ولو لم يكن لصاحبها غرض حاضر لاأعلم أحدا من العلماء رخص فى مثل هذا والعجب إذا كان فى كتابكم الذى تحكمون فيه يجب العدل بين الخصمين فى لحظه ولفظه ومجلسه وكلامه والدخول عليه فأين هذا من أكل عشرة حمران على أحد الخصمين وإن لم يعطه أخذ بدلها من صاحبه وحكم له، سبحان الله أين شريعة حكمت بحل هذا أم أى عقل أجازه ما أجهل من يجادل فى مثل هذا وأقل حياءه وأقوى وجهه. وأما أدلته التى استدل بها فلا تنس قوله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) الآية ولما جادل النصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ألوهية عيسى واحتجوا عليه بشىء من القرآن وكذلك الخوارج يستدلون على باطلهم بمتشابه القرآن وكذلك الذين ضربوا الإمام أحمد يستدلون عليه بشىء من متشابه القرآن وما أنزل الله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ) إلا لما يعلم الله فى حاجة عباده إليها . وأما استدلال هذا الجاهل الظالم بقوله « أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله » فجوابه من وجوه : الأول أن المؤمنين إذا فسروا شيئا من القرآن بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وأصحابه وكلام المفسرين ليس لهم فيه إلا النقل اشتد نكيرهم عليهم وتقول القرآن لا يحل لكم تفسيره ولا يعرفه إلا المجتهدون وتارة تفترى الكذب وتقول إن ابن عباس إذا أراد أن يفسره خرج إلى البرية خوفا من العذاب وأمثال هذه الأباطيل والخرافات ، ومرادهم بذلك سد الباب فلا يفتح لهم طريق إلى هذا الخير فيكون نقلنا الكلام المفسرين منكرا وتفسيرك كتاب الله على هواك وتحريفك الكلم عن مواضعه حسنا ، هذا من أعجب العجاب. الوجه الثانى أن هذا لو كان على ما أوّلته فهو فى الأخذ على كتاب الله وأنتم متبرئون من معرفة كتاب الله والحكم به وشاهدون على أنفسكم بذلك . الوجه الثالث

أن هذا لو كان فيما ذهبت إليه لـكان مخصوصا بتحريم الرشوة التى أجمع الصحابة على تحريمها . الوجه الرابع أن حمل الحديث على هذا من الفرية الظاهرة والـكذب البحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن معنى ذلك فى الإنسان الذى يداوى المريض بالقرآن فيأخذ على الطب والدواء لاعلى الحـكم وإيصال الحق إلى مستحقه ويدل عليه اللفظ الآخر « كل فتى أكل برقية باطل فقد أكل برقية حق » والقصة شاهدة بذلك يوضحه . الوجه الخامس وهو أن يقال لهذا الجاهل الجهل المركب من استدل قبلك بهذا الحديث على أن الحاكم إذا أراد أن يوصل الحق إلى مستحقه يجوز له أن يشترط لنفسه شرطين فإن حصل له وإلا لم يفعل فإن وجده فى كتاب فليبين مأخذه وما ظنه بأهل العلم الأولين والآخرين الذين أجمعوا على ذلك لايجوز أن يظن أن إجماعهم باطل وأنهم لم يفهموا كلام نبيهم حتى فهمه هو ، ولما استدلاله بأن الناس فرضوا لأبى بكر رضى الله عنه لما ولى عليهم كل يوم درهمين فهذا من جهله ومثل هذا مثل من يدعى حل الزنا الذى لاشبهة فيه ويستدل على ذلك بأن الصحابة يطئون زوجاتهم وهذا الاستدلال مثل هذا سواء بسواء ، وذلك أن استدلاله بقصة أبى بكر رضى الله عنه تدل على شدة جهله بحال السلف الصالح فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعطى العمال من بيت المال وكان الخلفاء الراشدون يأكلون من بيت المال ويفرضون لعمالهم ولا أعلم عاملا فى زمن الخلفاء الراشدين يأكل من ذلك بل الزكاة التى هى للفقراء جعل الله فيها نصيباً للعمال الأغنياء ، ولـكن أبا بكر رضى الله عنه لما ولى واشتغل بالخلافة فى الحرفة وضع رأس ماله فى بيت المال واحترف للمسلمين فيه فأكل بسبب وضع ماله فى بيت المال وبسبب الحرفة فأين هـذا من أكل الرشوة التى حرمها الله ورسوله؟ وأين هذا من الحاكم الذى إذا وقعت الخصومة كان أكثرهم باطلا (سبحانك هذا بهتان عظيم) فإن قالوا لما عدم بيت المال أكلنا من هذا . قلنا هذا مثل من تقول أنا أزنى لأنى أعزب لازوجة لى فهو هذا من غير مجازفة وقولهم نفعل هذا لأجل مصلحة الناس فنقول ماعلى الناس أضر من إبليس ومنكم ،أذهبتم دنياهم وآخرتهم والناس يشهدون عليكم بذلك ، هؤلاء أهـل شقة شرطوا لابن إسماعيل ثلاثة وثلاثين أحمر ويسكت عن الناس ويريحهم من أذاه ولا يحكم بين اثنين ولا يفتى فلم يفعل واختار حرفته الأولى . وأما جوابه لمن استدل عليه (ولا تشتروا بآياتى ثمناً

قليلا) بقوله نزلت فى كعب بن الأسرف . فهذا ترس قد أعده الجهال الضلال لرد كلام الله إذا قال لهم أحد قال الله كذا . قالوا نزلت فى اليهود ونزلت فى النصارى نزلت فى فلان وجواب هذه الشبهة الجاهلة الظالمة الفاسدة من وجوه : الأول أن يقال معلوم أن القرآن نزل بأسباب فإن كان لايستدل به إلا فى تلك الأسباب بطل استدلاله وهذا خروج من الدين . الثانى أنك تقول لايجوز لنا تفسير القرآن فكيف فسرت هـذه الآية بأنها خاصة بأبن الأشرف من نقلت عنه من العلماء أن الآية إذا نزلت فى رجل كافر أنها لاتعم من عمل بها من المسلمين ، من قال بهذا القول قبلك وعمن نقلته . الرابعة أن هذا خروج من الإجماع فما زال العلماء من عصر الصحابة فمن بعدهم يستدلون بالآيات التى نزلت فى اليهود وغيرهم على من يعمل بها ولـكن هؤلاء الجاهلون الظالمون الذين يجادلون فى الله من بعد مااستجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد . فأما الكلام فى الطواغيت مثل إدريس وآل شمسان فالكلام على هـذا طويل ، ولـكن هؤلاء الذين يخاصمونك لايعبئون بكلام الله ولا كلام رسوله شيئاً ولا عندكم مافى كتابهم فقل إذا كان كتابـكم قد صرح تصريحا لامزيد عليه ونقل الإجماع على أن من فعل عشر معشار فعل هؤلاء الطواغيت أنه كافر حلال الدم والمال ، وقد صرح بأن من شك فى كفرهم فهو كافر فـكيف إذا مدحهم وأثنى عليهم فـكيف إذا ضم إلى ذلك مدح طريقتهم مثل مايفعله ناس من الظالمين فى الرياض يمدحون طريقتهم ويمدحونهم ويذمون دين الإسـلام ويسبونه وأهله ويسمونه السبابة ومنهم من ينصر مذهب ابن عربى وابن الفارض ويدعون إليه وهؤلاء عند المجادل الذى يدعى أنه يعرف الإقناع ويعمل به من الخواص ولو يقال لايصلى خلفهم ولا تقبل شهادتهم وأنهم فسقة لأنكر علينا هذا الذى يدعى أنه فقيه بل هم أحبابه وأصحابه وأنصاره فكيف لو يقال إنهم كفار مرتدون يجب قتلهم إن لم يتوبوا فى صحة فإن بين من العبادات غير مافهمنا فيذكره بدليله ، وإن زعم أن كتابه باطل فيذكر الدليل على بطلانه ، وإن ذكر جوابا آخر يريد أن يجمع بين كتابه وبين عدم تـكفير هؤلاء فهو كمن يريد أن يجمع بين المجوسية والإسلام ، فإن قال مارأيناهم فعلوا قلنا وأنت أيضاً مارأيت فرعون ولا هامان كفروا ولا رأيت أبا جهل وأبا لهب ولا رأيت ظلم الحجاج ولا رأيت الذين ضربوا الإمام أحمد وأنت تشهد

بهذا كله ، فإن قال هذا متواتر . قلنا وكفر هؤلاء وادعاؤهم الربوبية متواتر عند الخاص والعام والرجال والنساء وهم الآن يعبدون ويدعون الناس إلى ذلك ومع هذا كله (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا — ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) ولكن إذا أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين فلا بد من ذلك والله أعلم . المسألة السابعة سئل رحمه الله عن هذه المسائل المفيدة . الأولى إذا رأينا حديثا فى بعض الكتب مثل الآداب أو شرح الأربعين لابن حجر الهيتمى أو المنازل أو المشارق أو الإقناع أو المنتهى ونسبه صاحبه إلى الصحيحين أو بعض المساند هل يسوغ الأخذ به والعمل به ولو لم نقف على الأصل . الثانية إذا وجدنا روايتين عن الإمام أحمد مختلفتين أو أقوالا للأصحاب مختلفة وكل يدلى بدليل هل يجوز العمل بكل منهما وإذا حكى بعض العلماء مثل صاحب الفروع أو غيره كلاما للإمام أحمد أو للأصحاب وأمثالهم فى مسألة ولم يذكر استدلالهم على ذلك بشىء أو ذكر أن فلانا قال كذا وفلانا قال كذا بضد القول الأول ما الحكم فى ذلك إذا قال الصحيح أو المذهب كذا هل يعمل به . الثالثة إذا فسر بعض الأصحاب معنى حديث واستدل به على حكم وفسره آخر بضده واستدل به على حكم يقابل الأول أو نقل عن الإمام تفسير حديث أو نقل آخر عنه ضده مثل حديث الإغلاق قال ابن القيم عن الإمام أحمد فسر بالإكراه . الرابعة قولهم لا إنكار فى مسائل الاجتهاد وعلى من اجتهد أو قلد مجتهدا حياً أو ميتاً ، وإذا ورد حديثان متضادان فى الحكم مثل حديث القلتين وبئر بضاعة ذكر بعض العلماء أن حديث بئر بضاعة مطلق وحديث القلتين مقيد فيحمل المطلق على المقيد، وذكر غيره أن هذا أى حديث القلتين استدلوا على صحته وأن غيره يحمل عليه بأنه عليه السلام سئل عن إناء ولغ فيه كلب فأمر بإراقته، ولم يسأل هل تغير أم لا. الخامسة الثلاث طلقات المجموعة ذكر الشيخ منصور فى شرح الإقناع وقوعها، يروى عن ابن عباس وعن عمر وعلىّ وابن مسعود وابن عمر قال وعن مالك بن الحارث قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال إن عمى طلق امرأته ثلاثا فقال إن عمك عصى الله وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا ، وروى النسائى بإسناده عن محمود بن لبيد قال « أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فغضب وقال أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم حتى قام رجل فقال يارسول الله أفلا أقتله » انتهى . وأما ماروى طاووس

عن ابن عباس قال : كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر وصدر من خلافة عمر الثلاث واحدة إلى آخره ، فقال الأثرم سألت أبا عبد الله عن حديث ابن عباس بأى شىء أدفعه قال ادفعه برواية الناس عن ابن عباس بوجوه خلافه ثم ذكر عن ابن عباس خلافه من وجوه أنها ثلاث انتهى . السادسة قول أهل العلم إن اتفاق الأئمة حجة واختلافهم رحمة فما معنى كون اختلافهم رحمة واحتج بهذه من اتبع المجتهدين . السابعة الحلف بالطلاق ذكر الشيخ منصور فى شرح الإقناع نقلا عن اختيارات أبى العباس . قال : أبو العباس تأملت نصوص أحمد فرأيته يأمر باعتزال الرجل امرأته فى كل يمين حلف الرجل عليها انتهى. فهذا من أبى العباس يدل على أن مذهب الإمام أحمد يدل على صحة الحلف بالطلاق. الثامنة مسألة الوقف على الأولاد ذكر مصنف المنتهى فى شرحه عن مسند الحميدى « أن أبا بكر وسعدا وعمرو بن العاص وحكيم بن حزام تصدقوا على أولادهم بدور المدينة » . التاسعة قوله تبارك وتعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وقوله (الظانين بالله ظن السوء) وقوله (وذلك ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) مامعنى سوء الظن بالله؟ وقوله (من يعمل سوءا يجز به) مامعناه وما معنى إدخال البخارى إياه فى كتاب الطب وكذلك الحديث الذى أورده « مامن مسلم يصيبه أذى » فإن فسرتم الأذى بجميع المكروهات كما هو المشهور من معنى اللفظ الأخير « مايصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهمّ ولاحزن ولا أذى » فعطف الأذى على ماتقدم والعطف يقتضى المغايرة هل المراد الذى لم يصدر منه شرك بالكلية أم لا؟ وما معنى قولهم من الشرك التصنع للمخلوق المسلم وخوفه ورجاؤه وهل المراد به الشرك الأكبر أو الأصغر وقوله « أنا عند ظن عبدى بى إن ظن بى خيرا فله وإن ظن بى شرا فله » وما معناه؟ والحديث الذى فيه النهى عن قيل وقال وعن كثرة السؤال وإضاعة المال وقوله عليه السلام « الشؤم فى ثلاثة فى المرأة والولد والفرس » مامعناه وترك الخارص الثلث أو الربع هل هو صحيح أم لا؟ فإن قلتم لا فما معنى الحديث الذى استدل به من جوزه وهو قوله للعباس هى علىّ ومثلها معها وقوله « الماهر فى القرآن مع السفرة الكرام البررة والذى يقرؤه وهو عليه شاق له أجران » هل المراد حفظ حروفه ويحصل الفضل بذلك أم لا؟ والحفظ مع فهم المعانى وما معنى المشقة والتعاهد وما معنى قوله « طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الثلاثة » أفتونا مأجورين فأجاب رحمه الله اعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله

عليه وسلم بالهدى الذى هو العلم النافع ودين الحق الذى هو العمل الصالح إذا كان من ينتسب إلى الدين منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويصول به كالفقهاء ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين ومن أعظم مامتنّ الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل مالا يحصى وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهما جيدا فهم قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم) وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كما أوصانا بقوله «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» فهم معنى قوله (فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول) فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله أى فى كتابه وإلى الرسول أى إلى سنته علمنا. قطعا أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع وهذه كلمات يسيرة تحتاج إلى بسط طويل وتشير إلى حظ جليل وإنما قدمتها لأن من عرفها انجلى عنه إشكالات كثيرة فى مسائل لا تحصر، منها بعض هذه المسائل والمسئول عنها من ذلك جواب. المسئلة الثانية إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول فى محل النزاع التراد إلى الله والرسول لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام أصحابه ولا إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صوابا وقولك إذا استدل كل منهما بدليل. فالدلائل الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا لكن قد يكون أحدهما أخطأ فى الدليل، إما مستدل بحديث لا يصح: وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوما مخطئا. وبالجملة فمهما رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت إلى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه وهل يتخير الرجل عند ذلك أو يتحرى أو يقلد الأعلم أو الأورع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه فتبين بهذا جواب. المسألة الثانية والثالثة والرابعة. وأما المسألة الأولى فإن كان صاحب الدلائل ثقة مأمونا ونسبه إلى الصحيحين وغيرهما جاز العمل بقوله «ولا أحد منع ذلك». وأما المسألة الخامسة وهى قول من قال: لا إنكار فى مسائل الاجتهاد فجوابها يعلم من القاعدة

المتقدمة فإن أراد القائل مسائل الخلاف كلها فهذا باطل يخالفه إجماع الأمة فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف أو أخطأ كائنا من كان . ولو كان أعلم الناس وأتقاهم وإذا كان الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق وأمرنا بالتباعد وترك ماخالفه . فمن تمام ذلك أن من خالف من العلماء مخطئا فيه على خطئه وأنكر عليه ، وإن أريد مسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التى لم يتبين فيها الصواب . فهذا كلام صحيح لايجوز للانسان أن ينكر الشىء لكونه مخالفا لمذهبه أولعادة الناس فكما لايجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لايجوز أن ينكر إلا بعلم وهذا كله داخل فى قوله تعالى (ولا تقف ماليس لك به علم) . وأما المسألة السادسة وهى قولك إذا ورد حديثان متضادان مثل حديث القلتين وحديث بئر بضاعة الخ . وهذه عبارة لاينبغى إلى أن قال وحاشا كلام الله وكلام رسوله من التضاد بل كله حق يصدق بعضه بعضا، والواجب على المؤمن مثل هذا أن يحسن الظن بكلام الله وكلام رسوله ويقول كما أمر الله به (آمنا به كل من عند ربنا) فإذا تبين له الحق فليقل به ويعمل به وإلا فليمسك وليقل الله ورسوله أعلم . فإن الله تعالى ابتلى الناس بالمتشابه كما ابتلاهم بالمحكم ليعلم من يقف حيث وقفه الله فمن يقول على الله بلا علم ، نعم قد يرد حديثان متضادان ، ولكن أحدهما ليس بصحيح ، وقد يكون أحدهما ناسخا لكنه قليل جدا ومع ذلك لايرد المنسوخ إلا وقد يرد مايثبته . وأما قولك مايسوغ لمثلنا ، فالذى يسوغ بل يجب ماوصفت لك . وهو طلب علم ماأنزل الله على رسوله ورد ما تنازع فيه المسلمون فإن علمه الله شيئا فليقل به وإلا فليمسك ويقول الله أعلم ويجعله من العلم الذى لايعرفه، فلو بلغ الإنسان فى العلم ماعلمه مابلغ لكان ماعلمه قليلا بالنسبة إلى مالم يعلمه . وقد قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . وأما المسألة السابعة فكونها مروية عن الصحابة فمسلم ويكفى فى ذلك ماورد عن المحدث الملهم الذى أمرنا باتباع سنته ثانى الخلفاء عمر بن الخطاب ، ولكن ليس فى هذا مايرد القول الآخر . وأما الحديث « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » فهذا يدل على أن جمع الثلاث لايجوز وأما كونه ألزم بها فلم يذكر فى الحديث والذى يقول إنها واحدة لايقول إن التلفظ بها يجوز بل يقول هو منكر من القول وزور كما فى الحديث . وأما رد الإمام أحمد رحمه الله ذلك بمخالفة رواية له . فهذه مبنية على مسألة أصولية وهى أن

الصحابى إذا أفتى بخلاف ماروى هل يقدح فيه والصحيح أنه لايقدح فيه فإن الحجة فى روايته لافى رأيه، وبالجملة فالمسألة مسألة طويلة لعل المذاكرة تقع فيها شفاها. وأما المسألة الثامنة وهى قول من قال : اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة فليس المراد به الأئمة الأربعة بإجماع الأمة كلهم وهم علماء الأمة . وأما قولهم اختلافهم رحمة . فهذا باطل بل الرحمة فى الجماعة والفرقة عذاب كما قال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) فلما سمع عمر أن ابن مسعود وأبيا اختلفا فى صلاة الرجل فى الثوب الواحد صعد المنبر وقال : اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى أبىّ فتيا كم يصدر المسلمون لأجد اثنين اختلفا بعد قيامى هذا إلا فعلت وفعلت لكن قد روى عن بعض التابعين أنه قال: ماأحسب اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رحمة للناس لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة ومراده شىء آخر غير مانحن فيه ومع هذا فهو قول مستدرك لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا أن اختلافهم عقوبة وفتنة . وأما المسألة التاسعة وهى مسألة الحلف بالطلاق فغاية ماذكره أنه مذهب أحمد ومذهب غيره يخالفه، ومن كانت الحجة معه فهو المصيب . وأما مسألة الوقف فالكلام فيها طويل يحتاج إلى مذاكرة، وبالجملة فلا تنكر إلا ماخالف أمر الله ورسوله وطريقة الصحابة وأتباعهم . وأمامافعله الصحابة فعلى الرأس والعين. وأما قوله تعالى (يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) وقوله (الظانين بالله ظن السوء) فقد بسط الكلام عليها فى الهدى على وقعة أحد وقد فسره بأشياء كثيرة نقولها ونعتقدها ولا نظن إلا أنها عقل وصواب فتأمل كلامه تأملا جيدا . وأما قوله (من يعمل سوءا يجز به) وإدخال البخارى لها فى كتاب الطب فمراد البخارى أن هذه الأمراض التى يكرهها العبد هى مما يكفر الله بها عن المؤمن سيئاته ويطهره بها لأن قوله (من يعمل سوءا يجز به) عام فى جزاء الدنيا والآخرة. وأما إدخاله هذا فى كتاب الطب فواضح وأهل العلم يذكرون فى الباب ماهو أبعد من هذا تعلقا واستطرادا. وأما قوله « مامن مسلم يصيبه أذى » فهو عام وأما عطف الأذى على الوصب والنصب والهمّ فمن عطف العام على الخاص وهو كثير جدا فى كلام العرب وفى كلامنا . وأماسؤالكم هل هذا فى المسلم الذى لم يصدر منه شرك بالكلية، أما الشرك الذى يصدر من المؤمن وهو لايدرى مع كونه مجتهدا فى اتباع أمر الله ورسوله فأرجو أن لايخرجه هذا من الوعد ، وقد

صدر من الصحابة أشياء من هذا الباب كحلفهم بآبائهم وحلفهم بالله وقولهم ماشاء الله وشاء محمد وقولهم اجعل لنا ذات أنواط ، ولكن إذا بان لهم الحق اتبعوه ولم يجادلوا فيه حمية الجاهلية لمذهب الآباء والعادات . وأما الذى يدعى الإسلام وهو يفعل من الشرك الأمور العظام فإذا تليت عليه آيات الله استكبر عنها فليس هـذا بالمسلم . وأما الإنسان الذى يفعلها بجهالة ولم يتيسر له من ينصحه ولم يطلب العلم الذى أنزله الله على رسوله فقد أخلد إلى الأرض واتبع هواه ولا أدرى ماحاله . وأما قول من قال: من الشرك التصنع للمخلوق فلعل مراده التصنع بطاعة الله الذى يسمى الرياء وهو كثير جدا فهذا صحيح فى أمور لايفطن لها صاحبها ، وأما خوف المخلوق فالمراد به الخوف الذى يحملك أن تترك مافرض الله عليك وتفعل ماحرم الله عليك خوفا من ذلك المخلوق، وأما الرجاء فلعل المراد الذى يخرج العبد عن التوكل على الله والثقة بوعده وكل هذه الأمور كثيرة جدا، وأما قوله «الشؤم فى ثلاث» الخ. فهذا أشكل على من قبلنا حتى إن عائشة كذبته وقالت هذا كلام أهل الجاهلية ولكنه صح وقد تكلموا فى تفسيره ولم يتبين لى معناه والله أعلم بمراد رسوله . وأما ترك الخارص الثلث فقد سمع الجماعة فيها ماتيسر؛ وبالجملة فأرجح الأقوال فيها عندى قول أكثر أهل العلم إنه غير مطرد. بل يترك قدر مايأكله ويخرجه رطبا باجتهاد الخارص وعلى هذا تجتمع الأدلة ويصدق بعضها بعضا . وأما ماورد من الفضل فى حفظ القرآن هل المراد حفظه مع حفظ المعانى فلا يحضرنى جواب يفصل المسألة ولكن حفظه مع عدم الفهم لا يوجد . فهذا من النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء لا أعلمه وأظنه لو وجد فى زمانهم لكان مشهورا والذى يسمى عندنا الفروع لما ذكر أنه يحفظ الفروع ولايفهمه وقدقال تعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) وذكر ابن القيم أن هذه لو نزلت فى التوراة فالقرآن كذلك لافرق بينهما ولذلك ذم الذين يقرءون بلا فهم كقوله (ومنهم أميون لايعلمون الكتاب إلا أمانىّ) أى تلاوة بلا فهم والمراد من إنزال القرآن فهم معانيه والعمل به لامجرد تلاوته، وأما قوله « طعام الواحد يكفى الاثنين » الخ فلا أعلم له معنى غير ظاهره. وأما إغلاق الباب وقت الجذاذ فلا أتجسر على الجزم بتحريمه ولكن أظنه لايجوز فى هـذا المعنى من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم، من ذلك ماذكره الله فى سورة نٓ عن أصحاب الجنة (إذ أقسموا ليصرمنها

مصبحين) وهم لم يغلقوا الباب بل تحيلوا بالصرام فى وقت يأتى فيه المساكين. وأما تأخير الزكاة فلا يجوز، ومن استدل بحديث «هى علىّ ومثلها معها» فقد أخطأ خطأ واضحا الأول أن ظنى أن الحديث لا يدل على المسألة المسئول عنها . فإن المسألة المسئول عنها أن صاحب المال هل يحل له تأخير الزكاة عن وقتها لحاجة أو غيرها، والمسألة التى قال بعض أهل علم الحديث يدل عليها ليست هذه بل إذ رأى الإمام أو الساعى أن يؤخر الزكاة لمصلحة ، وهذه مسألة غير الأولى والدليل أن أحمد سئل عن تأخير الزكاة فمنعه وتشدد فيه، وسئل عن الساعى إذا أراد تأخيرها فى سنة مجدبة فرخص له واستدل بفعل عمر ، مثال ذلك أن ولىّ اليتيم إذا قيل له إنه يجوز له بيع عقاره لمصلحة هل يحل لأحد أن يستدل بهذه المسألة إذا كان عندهم ليتيم دار أو عقار لا يعلم بها وليه فأراد أن يعطى الولى أو اليتيم عنها لمصلحة المعطى هل يقول أحد إن هذا جائز ولو استدل أحد على جوازه ببيع وليه عقاره لمصلحة لعده الناس ضحكة فينبغى لطالب العلم أن يتفطن لصورة المسألة فى الدليل الذى يدل عليها أو يجيل نظره فى ذلك فإن كثيرا من الأغاليط وقعت فى مسألة واضحة جدا ويستدل بشىء من القرآن أو السنة وهو لا يدل على ذلك كما فعله الرافضة والقدرية والجهمية وغيرهم قال تعالى (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أمّ الكتاب) الآية ، فنسأل الله تعالى أن يهدينا لما يحبه ويرضاه . المسألة الثامنة سئل الشيخ رحمه الله عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الصفات، فأجاب: توحيد الربوبية هو الذى أقر به الكفار كما قال تعالى (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وأما توحيد الألوهية فهو إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق لأن الإله فى كلام العرب هو الذى يقصد للعبادة وكانوا يقولون إن الله سبحانه هو إله الآلهة لكن يجعلون مع الله آلهة أخرى مثل الصالحين والملائكة وغيرهم يقولون إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده . فإذا عرفت هذا معرفة جيده تبين لك غربة الدين ؛ وقد استدل عليه سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم لأنه إذا كان هو المدبر وحده وجميع من سواه لا يملكون مثقال ذرة فكيف يدعونه ويدعون غيره معه مع إقرارهم بهذا. وأما توحيد الصفات فلا يستقيم توحيد الربوبية

ولا توحيد الألوهية إلا بالإقرار بالصفات لكن الكفار أعقل ممن أنكر الصفات والله أعلم . المسألة التاسعة سئل رحمه الله ماقول الشيخ رحمه الله فى تسمية المعبودات أربابا إذ الرب يطلق على المالك والمعبود على الإله ، وكل اسم من أسمائه جل وعلا له معنى يخصه بالتخصيص دون التداخل بالتعميم . والجواب : الرب والإله فى صفة الله تبارك وتعالى متلازمة غير مترادفة فالرب من الملك والتربية بالنعم والإله من التأله وهوالقصد لجلب النفع ودفع المضرة بالعبادة ولذلك صارت العرب تطلق الرب على الإله فسموا معبوداتهم أربابا من دون الله لأجل ذلك أى لكونهم يسمون الله ربا بمعنى إلها. المسألة العاشرة سئل رحمه الله عن مسائل: (الأولى) أحاديث الوعد والوعيد وقول وهب بن منبه «مفتاح الجنة: لا إله إلا الله» الخ (الثانية) حديث أنس «من صلى صلاتنا» الخ. (الثالثة والرابعة) شيء من أحاديث الوعد والوعيد (الخامسة) الحديث الذى فيه «يخرج من ثقيف كذاب» الخ (السادسة والسابعة) قوله «ألا أخبركم بأهل الجنة» الخ .

فأجاب : الحمد لله الذى يجب العلم به أن كل ماقال الرسول حق يجب الإيمان به ولو لم يعرف الإنسان معناه ، وفى القرآن آيات فى الوعد والوعيد كذلك وأشكل الكل على كثير من الناس من السلف ومن بعدهم ، ومن أحسن ماقيل فى ذلك اقرءوها كما جاءت معناه لاتتعرضوا لتفسير لاعلم لكم به ، وبعض الناس تكلم فيها ردا لكلام الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالذنوب ويخلدون أصحابها فى النار أنه ينفى الإيمان عن بعض الناس لكونه لم يتمه كقوله للأعرابى « صلّ فإنك لم تصل » والجواب الأول أصوب وأهون وأوسع وهو الموافق لقوله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) الآية . إذا فهمت ذلك فالمسألة الأولى واضحة ومراده الرد على من ظن دخول الجنة بالتوحيد وحده بدون الأعمال. وأما إذا أتى به وبالأعمال وأتى بسيئات ترجح على حسناته أو تحبط عمله فلم يتعرض وهب لذلك بنفى ولا إثبات لأن السائل لم يروه. وأما الثانية وهى قوله «من صلى صلاتنا» فهو على ظاهره معناه لو عرف منه النفاق فما أظهره نفاق وعليه وباله، وإلا فمعلوم أن من صدّق مسيلمة أو أنكر البعث أو أنكر شيئاً من القرآن أو غير ذلك من أنواع الردة أنه لم يدخل فى الحديث . وأما الثالثة والرابعة التى فيها أحاديث الوعد والوعيد فسبق لجرائها . وأما قولها أما الكذاب فقد عرفناه هو رجل من ثقيف خرج يطلب بدم الحسين وأهل البيت

وانتصر وقتل من قتلهم ثم ملك العراق. وغلط مرة فسير إليه ابن الزبير عسكرا فقتلوه وفتحوا العراق لأنه أظهر الزندقة وادعى النبوة ، وأما المبير وهو الذى يفنى الناس بالقتل فهو الحجاج المعروف . وأما السادسة فلا علمت أن الحديث صحيح . وأما السابعة فقوله كل ضعيف فهو ضد القوى. والمتضعف قيل إنه المتواضع، والعتل قيل هو الغليظ الجافى والزنيم المعروف بالشر والمتكبر معروف والذى لا زبر له فسره بقوله : لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والشنظير فسره بالغاش وباقى الأوصاف فى الخير والشر معروفة. المسألة الحادية عشرة سئل رحمه الله عن الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه هل هو صحيح أم غير ذلك أيضا؟ يفهمنى عبد الوهاب فى خط الموصلى أنك مارضيت قوله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مشيئته وإرادته حتى إنى أفكر فيها ولا بان لى فيها شىء أيضا سوى المذكور عند النووى « اللهم إنى أسلمت نفسى إليك » الخ بين لى معناه جزاك الله خيرا . الجواب الوعيد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه ثابت عند أهل الحديث. فإن كنت قد حفظت القرآن أو شيئا منه ثم نسيته فودى أن تعود إليه. وأما قوله فى الخطبة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فى مشيئته وإرادته فعجب كيف يخفى عليك هذا الألوهية ، والمذكور فى الخطبة توحيد الربوبية الذى أقر به الكفار . وأما قوله « اللهم إنى أسلمت نفسى إليك » فترجع إلى الإخلاص والتوكل ، ولو كان بينهما فروق لطيفة والله أعلم. الثانية عشرة قال السائل عفا الله عنك خطبت ووقفت على يوم يبعثر من فى القبور ، ويحصل مافى الصدور ، ثم قلت جعلنا الله وإياك من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون بارك الله لى ولكم الخ ، ولا فطنت إلا بعد ما انقضت الصلاة وأردت أن آمر المؤذن يؤذن ويعيد الخطبة والصلاة ، ثم تأملت يوم يبعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور وإذا كأنها آية تقوم بالمعنى وتجزى ثم كثر على الهم والتردد ، وأيضا عفا الله عنك عندى دبيش ولى عيل وحاير تطمع نفسى لمنزلة الفقراء ولو لم يكن إلا سبقهم إلى الجنة بما ذكر ، ويعارض ذلك أى الفقير الصابر أو الغنى الشاكر أفضل وقوله صلى الله عليه وسلم « أن تذر ورثتك » الخ بين لى حد الشكر وحد الصبر أيضا. قوله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله صادقا » الحديث واللفظ الآخر « مخلصا دخل الجنة ». مامعنى الصدق والإخلاص والفرق بينهما. أيضا حديث البطاقة وما معه من سجلات الذنوب حتى وضعت فى كفة والبطاقة

فى كفة فرجحت بتلك السجلات لما تضمنت من الإخلاص ، وما تقول فيمن خالف شيئا من واجبات الشريعة ماذا يقع عليه ومامعنى « كل ذنب عصى الله به شرك » وهل يقع فى جزء من الكفر ، والمراد به الكفر بالله أو بالإله مع صغره ، وما معنى قول من قال كفر دون كفر وقول من قال نعمة أى نعمة أيضا وماذا ترى فى الرؤيا التى ذكرت لك أيضا تذكرت فى الإيمان قوته وضعفه وإلا فمحله القلب فإن التقوى ثمرته مركبة عليه فبقوته تقوى وبضعفه تضعف ، وهذا فهمى ولكن ورد على شبهة اعرف من خالف دين الإسلام وصد عنه تقوى من بعض التعديات ولا سيما أموال الناس . ألا والعبادة البدنية والمالية مثل الصلاة والزكاة تكون عادة وفطرة أى شىء ترى ذلك منه وماذكرت لك فى أول السؤال صحيح أم لا . الجواب وبالله التوفيق : أما مسألة الخطبة فى الجمعة فلا علمت فيها خلافا وأرجو أن تكون تامة . وأما مسألة الغنى والفقر فالصابر والشاكر كل منهما من أفضل المؤمنين وأفضلهما أتقاهما كما قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وأما حد الصبر وحد الشكر فلا عندى علم إلا المشهور بين العلماء أن الصبر عدم الجزع والشكر أن تطيع الله بنعمته التى أعطاك . وأما قوله من قال « لاإله إلاالله صادقا » والحديث الآخر « مخلصا » فمسألة الصدق والإخلاص كبيرة . ولما ذكر الإمام أحمد الصدق والإخلاص قال بهما ارتفع القوم ولكن يقربها إلى الفهم التفكر فى بعض أفراد العبادة مثل الصلاة والإخلاص ؛ فالإخلاص فيها يرجع إلى إفرادها عما يخالف كثيرا من الرياء والطبع والعبادة وغير ذلك ، والصدق يرجع إلى إيقاعها على المشروع ولو أبغضه الناس فى ذلك ، وحديث البطاقة ذكر الشيخ أنه رزق عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه والأعمال بالخواتيم مع أن على بقيته إشكال والله أعلم . وأما معنى كل ذنب عصى الله به شرك أو كفر ، فالشرك والكفر نوع والكبائر نوع آخر والصغائر نوع آخر . ومن أصرح مافيه حديث أبى ذر فيمن لقى الله بالتوحيد قوله « وإن زنى وإن سرق » مع أن الأدلة كثيرة . وإذا قيل من فعل كذا فقد أشرك أو كفر فهو فوق الكبائر وما رأيت منى ما يخالف ما ذكرت لك فهو بمعنى الذى هو أخفى من دبيب النمل وقول القائل كفر نعمة خطأ رده الإمام أحمد وغيره . ومعنى أنه ليس يخرج من الملة مع كبره ؛ والرؤيا أرجو أنها من البشرى ولكن الرؤيا سر المؤمن ولاتغره وقولك إن الإيمان محله القلب ؛ فالإيمان أجمع السلف على أن محله القلب

والجوارح جميعا كما ذكره الله تعالى فى سورة الأنفال وغيرها . وأما كون الذى فى القلب والذى فى الجوارح يزيد وينقص فذاك شىء معلوم ؛ فالسلف يخافون على الإنسان إذا كان ضعيف الإيمان سلب الإيمان كله. وأما الشبهة التى وردت عليك إذا كان الرجل مخالفا دين الاسلام ويصد عنه ولكن فيه ورع عن بعض المحرمات فأنت خابر أن الانسان يكفر بكلمة واحدة فكيف الصد عن سبيل الله واذكر قوله تعالى (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم) فإذا كانت الكراهة تحبط الورع الذى تذكر فكيف الصد مع الكراهة ، واليهود والنصارى فيهم أهل زهد أعظم من الورع والله أعلم . المسألة الثالثة عشرة سئل رحمه الله ما يقول الشيخ شرح الله صدره ويسر أمره فى مسائل أشكلت علىّ فيما يجب علينا من معرفة الله إذا كان موجب الإلهية الربوبية وأشوفك قليل التصريح عليها عند تقرير التوحيد الالوهية ويشكل علينا أيضا كون مشركى العرب أقروا به يكون من غير معرفة لوضوحه أم توغلوا فى التقليد ولم يلتفتوا للحقيقة الموجبة للعبادة أم زعمتم أن هذا شىء يرضاه الرب أم كيف الحال، وأيضا كلمة التوحيد كونها محتوية على جميع الدين من إنزال الكتب وإرسال الرسل إنها نافية جميع المقصودات المسماة بالإلهية الباطلة إذا صيرها القصد فتسمى بذلك من غير استحقاق لأنها مخلوقة مربوبة مقهورة ، والواحد فى القصد هو الواحد فى الخلق، أرى بعض الناس تكلم فى معناها وعلمها وأن لفظها مجردة من غير معرفة لا يفيد شيئا لكن نظرت فى حديث الشفاعة الكبرى عند قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وإخراجه العصاة من أمته بإذن ربه حتى قال « أئذن لى فيمن قال لا إله إلا الله » هذا مشكل علىّ جدا وفهمى قاصر عن معرفته إذا كان كلمة التوحيد هى الغاية وتقييدها بالمعرفة ، وإخراجه صلى الله عليه وسلم أدنى أدنى أدنى مثقال ذرة خردل من إيمان فأنت جزاك الله خيرا بين لى معنى هذه الكلمة لا أضل ولا أضل وأخبرك يوم أنا غافل عن الفهم فى الربوبية ما فهمى جيد فى الألوهية فلما بان لى شىء من معرفتها واتضح لى بعض المعرفة فى الألوهية فى ضرب المثل أن فيصل ما استعبد لعدير إلا لأهل كبر ملك عدير مع أنه قبيل له، وأظن غالب الناس كذلك وفيهم من يرى الربوبية ، ولا يعتبرها ويتهاون بها وهذا نسمعه من بعضهم فجزاك الله خيرا صرح لى بالجواب ؟

فأجاب : إلى الأخ حسن، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد سرنى ما ذكرت من

الإشكال وانصرافك إلى الفكر فى توحيد الربوبية، ولا يخفاك أن التفصيل يحتاج إلى طول ، ولكن مالا يدرك كله لايترك كله. فأما توحيد الربوبية فهو الأصل ولا يغلط فى الإلهية إلا من لم يعطه حقه كما قال تعالى فيمن أقر بمسألة منه (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه والتوكل من أعلا مقامات الدين ودرجات المؤمنين ، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية كما قال تعالى(وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه) الآية . وأما عبادته سبحانه وتعالى بالإخلاص دائما فى الرخاء والشدة فلا يعرفونها ، وهى نتيجة الإلهية ، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر والإيمان بالكتب والرسل وغير ذلك. وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية . وكذلك توحيد الألوهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية وهذا وأمثاله لايعرف إلابالتفكر لابالمطالعة وفهم العبارة. وأماالفرق بينهما فإن أفرد أحدهما مثل قوله (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) فهو توحيد الإلهية مثل قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وأمثال ذلك ، فإذا قرن بينهما فسدت كل لفظة بأشهر معانيها كالفقير والمسكين . وأما ماذكرت من الجاهلية كيف لم يعرفوا الإلهية إذا أقروا بالربوبية فهل هو كذا وكذا فهو بمجموع ماذكرت وغيره ، وأعجب من ذلك وما رأيت وماسمعت ممن يدعى أنه أعلم الناس ويفسر القرآن ويشرح الحديث مجلدات ثم يشرح البردة ويستحسنها ويذكر فى تفسيره وشرحه للحديث إنه أشرك ويموت ماعرف ماخرج من رأسه . هذا هوالعجب العجاب، أعجب بكثير من أناس لا كتاب لهم ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا رسولا ولا إلها . وأما كون لاإله إلا الله تجمع الدين كله وإخراج من قالها من النار إذا كان فى قلبه مثقال ذرة فلا إشكال فى ذلك. وسر المسألة أن الإيمان يتجزأ ولايلزم من ذهاب بعضه ذهاب كله بل هذا مذهب الخوارج فالذى يقول الأعمال كلها من لا إله إلا الله فقوله الحق، والذى يقول يخرج من النار من يقولها وفى قلبه من الإيمان مثقال ذرة فقوله الحق ، والسبب ما ذكرت لك من التجزؤ وسبب الغفلة عن التجزؤ غلط أبى حنيفة وأصحابه فى زعمهم أن الأعمال ليست من الإيمان والإسلام . المسألة الرابعة عشرة سئل رحمه الله عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث معاذ «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»

الخ إلى أن قال «أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا» ومعنى لا يدخل أحد الجنة بعمله أيضا . ما معنى عقد اللحية والضرب بالأرض هو الذى تعرف أن بعضهم يخط خطوطا ثم بعدها إن ظهرت شفعا فكذا وإن ظهرت وترا فكذا أم غير ذلك وتفسير الحسن الجبت برنة الشيطان مارنة الشيطان وحديث «من ردته الطيرة فقد أشرك ، وكفارة ذلك أن تقول : اللهم لا طير إلا طيرك » الخ ، أم كيف يزول ذلك الشرك فهذا اللفظ مع أن الطيرة مخامرة باطنة واللفظ وحده لا يفيد أو فائدة قليلة وما معنى الفخر والطعن وما معنى مكر الله بالعبد وما الفرق بين الروح والرحمة وما معنى «لا يؤمن أحدكم حتى يحب» ذاتا أورثته المتابعة ومعرفة الدين أو إيثار متابعة الأمر والنهى عن ورود الشهوات . وأيضا كسوة المرأة إذا كانت كسوة عرس هل للمرأة أن تطلب من الزوج كسوة بدن أم هى كسوة بدن حتى يحول عليها الحول . وأيضا قيد الكسوة بالحول صواب . وأيضا إذا كان صوابا فهل هو بكل أحد للعالى والمتوسط والدانى أم فيها تفصيل . وأيضا إذا عريت قبل مضى الحول يجب على الزوج أن يكسوها أم لا . وأيضا إن مضى بعض الحول . الجواب أما حديث معاذ فالمعنى عند السلف الحلال ظاهر وهو من الأمور التى يقولون أمروها كما جاءت أعنى نص الوعد والوعيد لا يتعرضون للمشكل منه . وأما قوله «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» فتلك مسألة أخرى على ظاهرها وهو أن الله لو يستوف حقه كما يستوفى السيد حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة ولكن كما قال الله تعالى (ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا) الآية . وعق اللحية لا أعلمه لكن ذكر فى الآداب ما يقتضى أنه شىء يفعله بعض الناس فى الحرب لا على وجه التكبر . وأما الضرف فهو مشهور جدا حتى إن بعض الناس يخط فمن وافق خطه فذاك ، والذى يبدو للذهن أنه عام فى كل أنواع الخط وخط ذلك النبى عدم لا يوجد من يعرفه ، ورنة الشيطان لا أعرف مقصود الحسن بل عادة السلف فسرون اللفظ العام ببعض أفراده . وقد يكون السامع يعتقد أن ذلك ليس من أفراده . وهذا كثير فى كلامهم جدا ينبغى التفطن له ، وقوله فى الطيرة «وكفارة ذلك أن تقول» الخ . فالطيرة تعم أنواعا منها ما لا إثم فيه كما قال عبد الله وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل فإذا وقع فى القلب شىء وكرهه ولم يعمل به بل خالفه وقال لم يضره وإن قال من الحسنات شيئاً فهو أبلغ وأتم فى الكفارة ، فلو قدرنا أن تلك الطيرة من الشرك الخفى أو الظاهر ثم تاب وقال

هذا الكلام على طريق التوبة فكذلك . وأما الفخر بالأحساب، فالأحساب الذى يذكر عن مناقب الآباء السالفين التى نسميها المراجل . إذا تقرر هذا ففخر الإنسان بعمله منهى عنه فكيف افتخاره بعمل غيره ؟ وأما الطعن فى الأنساب ففسر بالموجود فى زماننا ينتسب إنسان إلى قبيلة ويقول بعض الناس ليس منهم من غير بينة بل الظاهر أنه منهم . وأما مكر الله فهو أنه إذا أعطاه وأغضبه أنعم عليه بأشياء يظن أنها من رضاه عليه . وأما الفرق بين الروح والرحمة فلا أعرفه ولعله فرق لطيف لأن الروح فسر بالرحمة فى مواضع. وأما قوله «لا يؤمن أحدكم» الخ فسر بأن المراد اعتقاد ذلك بالقلب والعمل بذلك الاعتقاد فإذا كان فى القلب ضده وكرهه وصار الكلام والعمل بمقتضى الأمر الممدوح فهو ذلك . وأما كسوة العرس وتقييد الكسوة بالحول مطلقا ومقيداً فالذى يفتى به أن هـذه الأمور ترجع إلى عرف الناس وهو مذهب الشيخ وابن القيم وأظنه المنقول عن السلف، فأما فى العدة فعليه الكسوة والنفقة والله أعلم . المسألة الخامسة عشرة وسئل عفا الله عنه عن كون الأذان أوله التكبير وختم بالتكبير كذلك قول الله عز وجل (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة إلى قوله سبحانه لا إله إلا هو العزيز الحكيم) مامعنى هذا التكرار هل هو تأكيد أم غير ذلك وعن الإيمان والإسلام هل هما نوع واحد أم نوعان وعن حديث القرض الذى يقال إنه فى ثمانية عشر ضعفا صحيح أم لا . الجواب ذكروا أن التكبير مناسب فى الأذان لأنه مشروع على الأمكنة العالية كقوله « كنا إذا هبطنا سبحنا وإذا علونا كبرنا» وأما قوله شهد الله إلى آخره فذكروا فى تفسيرها أن الكلمة الأولى إعلام بأنه سبحانه شهد بهذا، كذلك كل عالم يشهد به ، وليس هذا ثناء على نفسه مجردا بل هو قيام بالقسط. وأما الكلمة الثانية فهى تعليم وإرشاد. وأما الإسلام والإيمان هل هما نوع واحد فذكر العلماء أن الإسلام إذا ذكر وحده دخل فيه الإيمان كقوله (فإن أسلموا فقد اهتدوا) وكذلك الإيمان إذا أفرد كقوله فى الجنة (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) فيدخل فيه الإسلام ، وإذا ذكرا معا كقوله (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات) فالإسلام الأعمال الظاهرة والإيمان الأعمال الباطنة كما فى الحديث « الإسلام علانية والإيمان فى القلب » وقوله سبحانه فى الحديث « أخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة » إلى آخره يوافق ما ذكرناه فإن الإيمان أعلى من الإسلام ويخرج الإنسان من الإيمان إلى الإسلام ولا يخرجه من الإسلام إلا الكفر فيخرج الإنسان من الإيمان إلى

الإسلام الذى ينفعه وإن كان ناقصا كما فى آية الحجرات (وإن تطيعوا الله ورسوله لايلتكم من أعمالكم شيئاً) وحقيقة الأمر أن الإيمان يستلزم الإسلام قطعا . وأما الإسلام فقد يستلزمه وقد لايستلزمه ، وحديث القرض لايصححه الحفاظ والله أعلم .

المسألة السادسة عشرة سئل رحمه الله تعالى عن مسائل : (الأولى) قوله فى باب حكم المرتد أو استهزأ بالله وكتبه أو رسله كفر وما وصف هذا الاستهزاء المكفر (الثانية) قول الشيخ وكان مبغضا لما جاء به الرسول اتفاقا فما معنى هذا وقوله أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ما وصف هذه الوسائط والتوكل والدعاء والسؤال . (الثالثة) قولهم أو أتى بقول أو فعل صريح فى الاستهزاء بالدين كفر فما وصف هذا الدين والقول المكفر . (الرابعة) قوله أو نطق بكلمة كفر ولم يعلم معناها فلا يكفر بذلك هل المعنى نطق بها ولم يعرف شرحها أو نطق بها ولم يعلم أنها تكفره . (الخامسة) قولهم ومن أطلق الشارع كفره كدعواه إلى غير الله إلى آخره فللعلماء فيه أقوال أيها أقرب إلى الصواب . (السادسة) الذبح للجن قال الشيخ : وأما ما يذبحه الآدمى خوفا من الجن فمنهى عنه ونحن لم نفهم إلا هذا من النهى ، فإذا قلنا يكفر من ذبح للجن فما دليلنا على المخالف . (السابعة) قولهم إذا دعاه إمام أو نائبه وقولهم ولا يكفر ولا يقاتل قبل الدعاية هل المتغلب على بلد حكمه حكم الإمام فى الدعاية وإقامة الحدود أم لا؟ وهل يلزمه ذلك شرعا أم لا؟ فإذا تركه وهو يقدر عليه فما حكمه . (الثامنة) المسائل الفروعية من الطهارات والصلاة والزكاة والحج والمعاملات والأنكحة والدعاوى وغيرها عندنا أن تعلمها وتعليمها بعد معرفة الله وتوحيده وإفراد العبادة له أنه هو الفقه المتفق على فضله وهو العلم النافع وهو الأفضل بعد الجهاد وهل الفتوى من كتب الترجيح المسماة عند أهل العلم أفردوا فيها الراجح عندهم وأورد القول المقابل المقوى عندهم فى بعض المسائل أم الفتوى من المطولات فربما أطلقوا الأقوال فلم ندر ما نفتى به أو نعمل به من الأقوال إلا من كتب المتأخرين وكتب أهل الترجيح ونحن فرضنا التقليد فما نفتى به منه . (التاسعة) بعض الناس يحتج علينا أن المرتد لايقتل إلا بعد الاستتابة وقبلها ثبوت الردة فما الجواب . (العاشرة) قولهم فى الاستسقاء لابأس بالتوسل بالشيوخ والعلماء المتقين وقولهم يجوز أن يستشفع إلى الله برجل صالح وقيل يستحب ، قال أحمد إنه يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه؛ وقال أحمد وغيره فى قوله عليه السلام «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» الاستعاذة لاتكون بمخلوق فما معنى

هذا الكلام وما العمل عليه منهما أم على قوله فما المعنى؟ وقولهم فى الشرح قال إبراهيم الحربى الدعاء عند قبر معروف الترياق المجيد فمامعنى هذا الكلام قال فى الفروع : قال شيخنا قصده الدعاء عند رجاء الاجابة بدعة لاقربة باتفاق الأئمة فما معنى هذا الكلام.

(الحادية عشرة) قال فى الإقناع فى آخر الجنائز: ولا بأس بلمسه أى القبر باليد وأما التمسح به والصلاة عنده أو قصده لأجل الدعاء عنده معتقدا أن الدعاء هناك أفضل من الدعاء فى غيره أو النذر له ونحو ذلك . قال الشيخ وليس هذا من دين المسلمين بل هو مما أحدث من البدع القبيحة التى هى من شعب الشرك هل هـذا شرك أصغر أم أكبر مع قوله هناك فى باب النذر قال الشيخ النذر للقبور وأهل القبور كالنذر لابراهيم عليه السلام أو الشيخ فلان نذر معصية لايجوز الوفاء به مع قوله فى الجنائز قبله قال فى الشرح : يكره البناء على القبور إلى أن قال ابن القيم يجب هدم القباب إلى أن قال ويكره المبيت عنده وتجصيصه وتزويقه إلى آخره إلى أن قال فالظاهر من هذا الكراهة أو التحريم فهل يترتب على هذا غير الكراهة أو التحريم ؟ أفدنا جزاك الله خيرا ؛

فأجاب رحمه الله تعالى بعد السلام فسر لى ماذكرت ألهمك الله التوفيق ولا تعتذر من السؤال فإن هذا هو الواجب عليك وعلى غيرك كما قالوا: مفتاح العلم السؤال، ولكن اعلم أن المسائل والعلوم المهجورة لايفهمها الإنسان إلا بعد المراجعة والمذاكرة ولو كانت واضحة، وهذه المسائل من العلوم المهجورة كما ذكرت فعل الطلبة فى باب حكم المرتد مع أن معرفة الله ومعرفة حقه أجلّ العلوم وأشرفها لاتستح من المراجعة وكثرة السؤال مابقى عليك شئ من الإشكال وقولك إن أهـل العلم لم يشرحوها فـكثير من الـكتب لم يوجد عندكم وإلا جميع ماذكرت قد شرحوه . فالمسألة الأولى قد استدل العلماء عليها بقوله تعالى فى حق بعض المسلمين المهاجرين فى غزوة تبوك ، (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) الآية وذكر السلف والخلف أن معناها عام إلى يوم القيامة فيمن استهزأ بالله أو القرآن أو الرسول ، وصفة كلامهم أنهم قالوا مارأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ، يعنون بذلك رسول الله والعلماء فى الصحابة فلما نقل الكلام عوف بن مالك أتى القائل يعتذر أنه قاله على وجه اللعب كما يفعل المسافرون فنزل الوحى أن هـذا كفر بعد الإيمان ولو كان على وجه المزح ، والذى يعتذر يظن أن الـكفر إذا قاله

جادا أو لاعبا. إذا فهمت أن هذا هو الاستهزاء فكثير من الناس يتكلم فى الله عز وجل بالكلام الفاحش عند وقوع المصائب على وجه الجد وأنه لايستحق هذا وأنه ليس بأكبر الناس ذنبا ، وكذلك من يدعى العلم والفقه إذا استدللنا عليه بآيات الله أظهر الاستهزاء وهذه المسألة لعلك لاتحررها تحريراً تاما إلا من الرأس إذا أوقفناك على نصوص أهل العلم ذكروا أشياء لعل كثيرا من الناس لاينكرها لو سمعها . الثانية قوله أو كان مبغضا لما جاء به الرسول ولم يشرك بالله لكن بغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه فما هو حال من يدعى العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من دين اليهود والنصارى بل يعادون من التفت إليه ويحلون دمه وماله ويرمونه عند الحكام ، وكذلك الرسول أتى بالإنذار عن الشرك بل هو أول ماأنذر عنه وأعظم ماأنذر عنه ويقرون أنه أتى بهذا ويقولون خلق الله ماينهون وينصرون بالقلب واللسان واليد والتكفير بالإنفاق فيمن أبغض النهى عنه وأبغض الأمر بمعاداة أهله ولو لم يتكلم ولم ينصر فكيف إذا فعل مافعل ، وكذلك من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم إجماعا. وذكروا أن هذا بعينه هوالذى يفعله أهل زمانهم عند القبور فكيف بزماننا ؟ يبينه لك قول الشارح لما ذكرهذا وذكر بعده أنواعا من الكفر المخرج عن الله قال : لقد عمت البلوى بهذه الفرق وأفسدوا كثيرا من عقائد أهل التوحيد نسأل الله العفو والعافية انتهى كلامه فى شرح الإقناع . فإذا كان هذا فى زمنه لم يذكره عن عشرة أو مائة بل عمت البلوى فى مصر والشام فى زمن الشارح فأظنك تقطع أن أهل القصيم ليسوا بخير من أهل مصر والشام فى زمن الشارح فتفطن لهذه المعانى وتدبرها تدبراً جيدا . واعلم أن هذه المسألة أمّ المسائل أو لها مابعدها فمن عرفها معرفة تامة تبين له الأمر خصوصا إذا عرف مافعل المويس وأمثاله مع قبة الكواز وأهلها ومافعله هو وابن إسماعيل وابن ربيعة وعلماء نجد فى مكة سنة الحبس مع أهل قبة بنى أبى طالب وإفتائهم بقتل من أنكر ذلك ، وأن قتلهم وأخذ أموالهم قربة إلى الله وأن الحرم الذى يحرم اليهودى والنصرانى لايحرمهم ثم تفكر فى الأحياء الذين صالوا معهم هل تابوا من فعلهم ذلك وأسلموا وعلموا أن عشر معشار ما فعلوا ردة عن الإسلام بإجماع المذاهب كلها أم هم اليوم على ما كانوا عليه بالأمس والمويس وابن إسماعيل وأحزابهما إلى اليوم علماء يعظمون ويترحم عليهم ومن دعا

الناس إلى التوحيد وترك الشرك هم الخوارج الذين خرجوا من الدين فالله الله استعن بالله فى فهم هـذه المسألة واحرص على ذلك لعلك أن تخلص من هذه الشبكة، فلو سافر المسلم إلى أقصى المشرق أو المغرب فى تحرير هـذه المسألة لم يكف كثيرا والفكرة فيها فى أمرين : أحدهما فى صورة المسألة وما قاله الله ورسوله وقال العلماء .

(الفكرة الثانية) إذا عرفت التوحيد الذى دعت إليه الرسل أولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وأقر به من أقر كيف فعلوا وكيف أحيوه ودخلوا فيه أم عادوه وصدوا الناس عنه ، وكذلك لما عرفت ماجاء به من إنـكار الشرك والوسائط وعرفوا قول العلماء إنه الذى عمت به البلوى فى زمانهم هل فرحوا بالسلامة منه ونهوا الناس عنه أم زينوه للناس وزعموا أن أهله السواد الأعظم وثبتوه بما قدروا عليه من الأقوال والأعمال وجاهدوا فى تثبيته كجهاد الصحابة فى زواله فالله الله بادر ثم بادر ثم بادر فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم . « بدا الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا » . فأنت تعرف بدء يوم قيل للنبى صلى الله عليه وسلم من معك على هذا قال حر وعبد ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، وقد قال الفضل بن عياض وهو فى زمانه وهو قبل الإمام أحمد أتترك طريق الحق لقلة السالـكين ولا يغرك الباطل لـكثرة الهالـكين ومع هذا وأمثاله من البيان أضعاف أضعاف (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا) وما أشكل عليك من هـذا فراجع فيه ، فإن كلام العلماء فى أنه الشرك الأكبر وأنه اشتهر عند كثير من أن يحصر (وأما الثالثة) فالقول الصريح فى الاستهزاء بالدين مثل ماقدمت لك ، وأما الفعل فمثل مد الشفة وإخراج أدر من العين مما يفعله كثير من الناس عندما يؤمر بالصلاة والزكاة فـكيف بالتوحيد (الرابعة) إذا نطق بكلمة الـكفر ولم يعلم معناها صريحا واضحا أنه يكون نطق بما لايعرف معناه. وأما كونه أنه لايعرف أنها لاتـكفره فيكفى فيه قوله (لاتعتذروا قد كفرتم بعد إيمانـكم) ثم يعتذرون للنبى صـلى الله عليه وسـلم ظانين أنها لاتـكفرهم والعجب ممن يحملها على هذا وهو يسمع قوله تعالى (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ـ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ـ وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) أيظن أن هؤلاء ليسوا كفارا ولـكن لاتستنكر الجهل الواضح لهذه المسائل لأجل غربتها . ومن أحسن مايكشف لك الإشكال

ماقدمت لك بإجماع العلماء أن هذا أكثر من زمانهم، وأيضا علماء بلدانهم أكثر من علماء من بلدانكم (الخامسة) أن من أطلق الشارع كفر بالذنوب فالراجح فيها قولان: أحدهما ماعليه الجمهور أنه لايخرج من الملة . والثانى الوقف كما قال الإمام أحمد أمروها كما جاءت يعنى لايقال يخرج والامانة يخرج وما سوى هذين القولين غير صحيح (السادسة) قوله الذبح للجن منهى عنه فاعرف قاعدة أهملها أهل زمانك وهى أن لفظ التحريم والكراهة وقوله لاينبغى ألفاظ عامة تستعمل فى المكفرات والمحرمات التى هى دون الكفر وفى كراهة التنزيه التى هى دون الحرام مثل استعمالها فى المكفرات قولهم لا إله إلا الله لاتنبغى العبادة إلا له وقوله(ومابنبغى للرحمن أن يتخذ ولدا)ولفظ التحريم مثل قوله تعالى (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم أن لاتشركوا به شيئاً) وكلام العلماء لاينحصر فى قولهم يحرم كذا لما صرحوا فى مواضع أخر أنه كفر وقوله يكره كقوله تعالى (وقضى ربك أن لاتعبدوا إلا إياه) إلى قوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وأما كلام الإمام أحمد فى قوله أكره كذا فهو عند أصحابه على التحريم .

إذا فهمت هذا فهم صرحوا أن الذبح للجن ردة تخرج ، وقالوا الذبيحة حرام ولو سمى عليها ، قالوا لأنها يجتمع فيها مانعان: الأول أنها مما أهل به لغير الله ، والثانى أنها ذبيحة مرتد والمرتد لاتحل ذبيحته وإن ذبحها للأكل وسمى عليها ، وما أشكل عليك فى هذا فراجعنى وأذكر لك لفظهم بعينه (السابعة) إذا ادعاه إمام أونائبه فالأئمة مجمعون فى كل مذهب أن من تغلب على بلد أوبلدان له حكم الإمام فى جميع الأشياء ، ولولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس فى زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد ولا يعرف أن أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام لايصح إلا بالإمام الأعظم ، وقولك هل يجب عليك فنعم يجب على من قدر عليه وإن لم يفعل أثم ، ولكن أعداء الله يجعلون هذه الشبهة حجة فى رد مالا يقدرون على جحده كما إنى لما أمرت برجم الزانية قالوا لابد من إذن الإمام فإن صح كلامهم لم يصح ولايتهم القضاء ولا الإمامة ولا غيرها (الثامنة) مسائل : الحلال ، والحرام ، والبيوع ، والأنكحة وغيرها من أهم أمور الدين وأفضل الأعمال ، ولكن تفصيل ماذكرت من الراجح يحتاج إلى تطويل لاتحتمله الأوراق ولعله بالمذاكرة إذا التقينا

إن شاء الله (التاسعة) لا يقبل المرتد إلا بعد الاستتابة فهذا صحيح ولم أفعل ذلك مع أحد قاتلناه إلا بالاستتابة والتي من الاستتابة (العاشرة) قولهم في الاستسقاء لا بأس بالتوسل بالصالحين وقول أحمد بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع قولهم إنه لا يستغاث بمخلوق فالفرق ظاهر جدا ، وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقه ، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور إنه مكروه فلا ننكر على من فعله ولا إنكار في مسائل الاجتهاد لكن إنكارنا على من دعا المخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر ويتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ، ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو الله مخلصا له الدين فأين هذا مما نحن فيه . (المسألة الحادية عشرة) في لمس القبر أو قصده للدعاء عنده فليس هذا من دين المسلمين فهذا هو الصواب بلا ريب وكون الشارح ذكر كلام الحربي أن قبر معروف ترياق مجرب فهذا لا ينكر لأن العلماء يذكرون في المسألة القولين أو أكثر ويرجحون الراجح أو يتوقف بعضهم، ولكن كلام الشيخ بضد كلام الحربي مخالف له منكر له، ولكن ليكن منك على بال ما أخرج الصحيحان « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال له : إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات » فتدبر هذا وأرعه سمعك وأحضر قلبك إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم ما أمره أن يدعوهم إلى الصلوات الخمس إلا إن استجابوا للتوحيد فكيف بمن لا يهمه في دينه إلا بعض مسائل الاجتهاد مع ما يراه من سب الناس للتوحيد واستحلالهم دم من دان به وماله ودعوتهم إلى الشرك الأكبر ودعواهم أن أهله السواد الأعظم ، ثم مع هذا إذا أخذهم السيف كرها قالوا ما خالفنا والناس يكذبون علينا وعرفنا الكذب وإلا جميع ما جرى منهم لم يقروا به ولم يتوبوا منه ، والرسول صلى الله عليه وسلم هذه وصيته لمعاذ ، فاتق الله في تدبر هذا الحديث وتدبر ما عليه أعداء الله من العداوة للتوحيد . وأما المسائل التي

ذكر فى الجنائز من لمس القبر والصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء أو كذا وكذا فهذا أنواع. أما بناء القباب عليها فيجب هدمها ولا علمت أنه يصل إلى الشرك الأكبر وكذلك الصلاة عنده وقصده لأجل الدعاء فكذلك لا أعلمه يصل إلى ذلك ولكن هذه الأمور من أسباب حدوث الشرك فيشتد نكير العلماء لذلك كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وذكر العلماء أنه يجب التغليظ فى هذه الأمور لأنه يفتح باب الشرك : كما أنه أول ماحدث فى الأرض بسبب ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر لما عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم يتذكرون بها الآخرة ثم بعد ذلك بقرون عبدوا فكذلك فى هذه الأمة كما قال صلى الله عليه وسلم «لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فأول ما حدث الصلاة عند القبور والبناء عليها من غير شرك ، ثم بعد ذلك بقرون وقع الشرك ، وأول ماجرى من هذا أن بنى أمية لما بنوا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وسعوه واشتروا بيوتا حوله، ولم يمكنهم إدخال بيت النبى صلى الله عليه وسلم الذى فيه قبره وقبر صاحبيه ، ولكن أدخلوا البيت فى المسجد لأجل توسيع المسجد ولم يقصدوا تعظيم الحجرة لذلك لكن قصدوا تعظيم المسجد ، ومع هذا أنكره علماء المدينة حتى قتل خبيب بن عبد الله بن الزبير بسبب إنكاره ذلك . فانظر إلى سد العلماء الذرائع . وأما النذر له ودعاؤه والخضوع له فهو من الشرك الأكبر فتأمل ماذكره البغوى فى تفسير سورة نوح فى قوله تعالى (وقالوا لاتذرنّ آلهتكم ولاتذرن) الآية وماذكر أيضا فى سورة النجم فى قوله (أفرأيتم اللاّت والعزى) أن اللات قبر رجل صالح. فتأمل الأصنام التى بعثت الرسل بتغييرها كيف تجد فيها قبور الصالحين والحمد لله رب العالمين وهذا آخر ماوجد فى ذلك وصلى الله على محمد وآله وسلم (المسألة السابعة عشرة) سئل رحمه الله عن الجد هل يكون بمنزلة الأب فى الميراث ، وما حجة من قال بذلك وعن قسم المال جزافا وما معنى الاحتساب فى نفقة الأهل وعن قول إبراهيم عليه السلام (رب أرنى كيف تحيي الموتى) وقوله فى كلام البقر والذيب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر» إلى آخره، فأجاب رحمه الله: أما كون الجد أبا فرجح بأمور : أحدها العموم ، واستدل ابن عباس على ذلك بقوله (يابنى آدم). الثانى محض القياس كما قال ابن عباس : ألايتقى الله زيد يجعل ابن الابن ابنا ، ولايجعل أبا

الأب أبا . الثالث أنه مذهب بى بكر الصديق. الرابع أن الذين ورّثوا الإخوة معه اختلفوا فى كيفية ذلك كما قال البخارى لما ذكر قول الصديق ، ويذكر عن على وابن مسعود وزيد أقاويل مختلفة. الخامس أن الذين ورّثوهم لم يجزموا بل معهم شك وأقروا أنهم لم يجدوه فى النص لا بعموم ولا غيره . السادس وهو أبينها كلها أن هذا التوريث وكيفياته لو كان من الله لم يتصور أن يهمله النبى صلى الله عليه وسلم مع صعوبته والاختلاف فيه بالكلية. وأما حجة المخالف منهم فمقرون أنه محض رأى لا حجة فيه إلا قياسا فيما زعموا . وأما قسم المال جزافا فأرجو أنه لا بأس به كما فى ثمرة النخل . وأما المساقاة كما أردتم فلا أدرى وأنا أكرهه . وأما معنى الاحتساب فى نفقة الأهل فمشكل علىّ . وأما قوله (رب أرنى كيف تحيى الموتى) فمن أعظم الأدلة على تفاوت الإيمان ومراتبه حتى الأنبياء فهذا طلب الطمأنينة مع كونه مؤمنا فإذا كان محتاجا إلى الأدلة التى توجب له الطمأنينة فكيف بغيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الصحيح «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وأما قوله فى كلام البقرة والذيب «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر » وليسا فى ذلك المكان فكان هذا من الإيمان بالغيب المخالف للمشاهدة وذلك أن الناس يشاهدون البهائم لا تتكلم فلما أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا جرى فيما مضى تعجبوا من ذلك مع إيمانهم فقال «آمنت به أنا وأبو بكر وعمر » فلما ذكرهما لهذا المقام العظيم الذى طلب إبراهيم فى مثله العيان ليطمئن قلبه مع كونهما ليسا فى المجلس محل ذلك ، على أن إيمانهما أعلى من إيمان غيرهما خصوصا لما قرنهما بإيمانه صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا فأمور الإيمان من الأمور المبيتة لكن لعلكم تفهمون منها شيئا إذا قرأتم فى كتاب الإيمان والله أعلم وصلى الله على محمد وآله وسلم (المسألة الثامنة عشرة) سئل رحمه الله عن قوله تعالى قال (رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) الآية . فأجاب رحمه الله : اعلم رحمك الله أن الله سبحانه عالم بكل شىء، يعلم ما يقع على خلقه وما يقعون فيه وما يرد عليه من الواردات إلى يوم القيامة ، وأنزل هذا الكتاب المبارك الذى جعله تبيانا لكل شىء وجعله هدى لأهل القرن الثانى عشر ومن بعدهم كما جعله هدى لأهل القرن الأول ومن بعدهم ومن أعظم البيان الذى فيه بيان الحجج الصحيحة والجواب عما يعارضها وبيان بطلان الحجج الفاسدة ونفيها فلا إله إلا الله ماذا حرمه المعرضون عن كتاب الله من الهدى والعلم ولكن لا معطى لما

منع الله وهذه التى سألت عنها فيها بيان بطلان شبه يحتج بها بعض أهل النفاق والريب فى زماننا هذا فى قضيتنا هذه ؛ وبيان ذلك أن هذه فى آخر قضية آدم وإبليس وفيها من العبر والفوائد العظيمة لذريتهما مايجل عن الوصف؛ فمن ذلك أن الله أمر إبليس بالسجود لآدم ولو فعل لكان فيه طاعة لربه وشرفا له ولكن سولت له نفسه أن ذلك نقص فى حقه إذا خضع لواحد دونه فى السن ودونه فى الأصل على زعمه فلم يطع الأمر واحتج على فضله بحجة وهى أن الله خلقه من أصل خير من أصل آدم ولا ينبغى أن الشريف يخضع لمن دونه بل العكس ، فعارض النص الصريح بفعل الله الذى هو الخلق فكان فى هذا عبرة عظيمة لمن رد شيئا من أمر الله ورسوله واحتج بما لايجدى فلما فعل لم يعذره الله بهذا التأويل بل طرده ورفع آدم وأسكنه الجنة فكان مع عدو الله من الحفظ والفطنة ودقة المعرفة ما يجل عن الوصف فتحيل على آدم حتى ترك شيئا من أمر الله وذلك بالأكل من الشجرة واحتج لآدم بحجج فلما أكل لم يعذره الله بتلك الحجج بل أهبطه إلى الأرض وأجلاه من وطنه ، ثم قال : (اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم منى هدى) يقول تعالى لأجلينكم عن وطنكم فإن بعد هذا الكلام وهو أنى أرسل إليكم هدى من عندى لا أكلكم إلى رأيكم ولا رأى علمائكم بل أنزل عليكم العلم الواضح الذى يبين الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والنافع من الضار (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) ومعلوم أن الهدى هو هذا القرآن ، فمن زعم أن القرآن لايقدر على الهدى منه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد فقد كذب الله بخبره أنه هدى فإنه على هذا القول الباطل لايكون هدى إلا فى حق الواحد من الآلاف المؤلفة . وأما أكثر الناس فليس هذا فى حقهم بل الهدى فى حقهم أن كل فرقة تتبع ماوجدت عليه الآباء فما أبطل هذا من قول وكيف يصح لمن يدعى الإسلام أن يظن بالله وكتابه هذا الظن . ولما عرف سبحانه أن هذه الأمة سيجرى عليها ماجرى على من قبلها من اختلافهم على أكثر من سبعين فرقة وأن الفرق كلها تترك هدى الله إلا فرقة واحدة وأن كل الفرق يقرون أن كتاب الله هو الحق لكن يعتذرون بالعجز وأنهم لو يتعلمون كتاب الله ويعملون به لم يفهموا الغموض قال (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) وهذا تكذيب هؤلاء الذين ظنوا فى القرآن ظن السوء . قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل

بما فيه لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة . وبيان هذا أن هؤلاء الذين يزعمون أنهم لو تركوا طريقة الآباء واقتصروا على الوحى لم يهتدوا بسبب أنهم لا يفهمون كما قالوا قلوبنا غلف فرد الله عليهم بقوله (بل لعنهم الله بكفرهم) فضمن لمن اتبع القرآن أنه لا يضل كما ضل من اتبع الرأى فتجدهم فى المسألة الواحدة يحكون سبعة أقوال أو ستة ليس منها قول صحيح والذى ذكره الله فى كتابه فى تلك المسألة بعينها لا يعرفونه .

والحاصل أنهم يقولون لا نترك القرآن إلا خوفا من الخطأ ولم نقل على ما نحن فيه إلا للعصمة فعكس الله كلامهم وبين أن العصمة فى اتباع القرآن إلى يوم القيامة. وأما قوله (ولا يشقى) فهم يزعمون أن الله يرضى بفعلهم ويثيبهم عليه فى الآخرة ولو تركوه واتبعوا القرآن لغلطوا وعوقبوا ، فقد ذكر الله أن من اتبع القرآن أمن من المحذور الذى هو الخطأ عن الطريق وهو الضلال وأمن من عاقبته وهو الشقاء فى الآخرة ، ثم ذكر الفريق الآخر الذى أعرض عن القرآن فقال (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) وذكر الله هو القرآن الذى بين الله لخلقه فيه ما يحب ويكره قال الله تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآيتين ، فذكر الله لمن أعرض عن القرآن وأراد الفقه من غيره عقوبتين : إحداهما المعيشة الضنك ففسرها السلف بنوعين : أحدهما ضنك الدنيا ، وهو أنه إن كان غنيا سلط عليه خوف الفقر وتعب القلب والبدن فى جميع الدنيا حتى يأتيه الموت ، ولم يتهنّ بعيش . الثانى الضنك فى البرزخ وهو عذاب البرزخ ، وفسر الضنك فى الدنيا أيضا بالجهل فإن الشك والحيرة لهما من القلق وضيق الصدر ما لهما فصار فى هذا مصداق قوله فى الحديث عن القرآن «من ابتغى الهدى من غيره أضله الله» فبان لك أن الله عاقبهم بضد قصدهم فإنهم قصدوا معرفة الفقه فجازاهم بأن أضلهم وكدر عليهم معيشتهم بعذاب قلوبهم لخوف الفقر وقلة غناء أنفسهم وعذاب أبدانهم بأن سلط عليهم الظلمة والفقر وأغرى بينهم العداوة والبغضاء فإن أعظم الناس تعاديا هؤلاء الذين ينتسبون إلى المعرفة ، ثم قال تعالى : (ونحشره يوم القيامة أعمى) والعمى نوعان : عمى القلب . وعمى البصيرة ، فهذا المعرض عن القرآن لما عميت بصيرته فى الدنيا عن القرآن جازاه الله أن حشره يوم القيامة أعمى . قال بعض السلف أعمى عن الحجة لا يقدر على المجادلة بالباطل كما كان يصنع فى الدنيا (قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا) فذكر الله أنه يقال له

هذا بسبب إعراضك عن القرآن فى الدنيا وطلبك العلم من غيره. قال ابن كثير فى الآية (ومن أعرض عن ذكرى) أى خالف أمرى وما أنزلته على رسولى : أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكا أى فى الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح ولا تنعم، وظاهر أن قوما أعرضوا عن الحق وكانوا فى سعة من الدنيا فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخالفا لهم معاشهم من سوء ظنهم بالله، ثم ذكر كلاما طويلا وذكر ماذكرته من أنواع الضنك والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المسألة التاسعة عشرة) سئل رحمه الله عن رجل خاشد خشداء وطلبوا ضمان أخيه وقال له أخوه لا أضمن عليك إلا أن ترهننى رهانة وأرهنه نصف نخلة فى هذا الدين الذى ضمن والنصف الآخر مرهون عند غيره وعليه دين غير هذا كثير وذكر لنا عنك أن الرهن لايصح وأن ديانيه مشتركون فيما عنده ، وهذه كثيرة الوقوع وغالب من يدينونه الديانون فقير فإن لم يصح له رهن ولا وفاء إلا من الجميع ولم يحجر عليه فاذكر لنا صورة المسألة وأنا طالعتها ولا رأيت الاختلاف إلا فى التبرعات المالية كالعتق والصدقة ، وذكروا أن مذهب الإمام أحمد وغيره نفوذ تصرفه ولو استغرق ماله ، وخالف الشيخ ابن تيمية فى ذلك وقال لاينفذ لأن عليه واجبا. وأما غير التبرعات فلا وجدنا شيئا فأنت اذكر لنا من مأخذ المسألة والذى ظهر لنا فى هذا أن هذه المسألة إن قيل بها ما احتيج لحجر الحاكم أومن أن يستغرق الدين ماله لم ينفذ تصرفه ويلزم على هذا لوازم كثيرة فأنت اذكر لنا شيئا نعتمد عليه فإن الخطب كبير أفتنا مأجورا .

أجاب رحمه الله صورة المسألة أن الراجح الذى عليه كثير من العلماء أو أكثرهم أن الرهن لايلزم إلا بالقبض وقبض كل شئ هو المتعارف وقبض الدار والعقار هو تسلم المرتهن له ورفع يد الراهن عنه هذا هو القبض بالإجماع ومن زعم أن قوله مقبوض يصير مقبوضا خارج الإجماع مع كونه زورا مخالفا للحس. إذا ثبت هذا فيجوز ما أفتينا بلزوم هذا الرهن إلا لضرورة وحاجة فإذا أراد صاحبها أن يأكل أموال الناس ويخون فى أمانته لمسألة مختلف فيها فالرجوع إلى الفتوى بقول الجمهور فى هذه المسألة ، فإن رجعت إلى كتاب الله وسنة رسوله فى إيجاب العدل وتحريم الخيانة فهذا هو الأقرب قطعا، وإن رجعت إلى غالب كلام العلماء فهم لايلزمون ذلك إلا برفع يد الراهن وكونه فى يد المرتهن . وأما قولك لم أخبر الخلاف إلا فى الصدقة والهبة فهذا

هو العجب أتراهم يبطلون العتق الذى هو من أحب الأشياء إلى الله ، وسيرى فى تلك الفقير ويردون الصدقة بعد ماياأخذها الفقير لأجل العدل ووفاء من المدين ويمنعونه فى الرهن ولو كان صحيحا . وأما قولك إن صح هذا لم يحتج إلى الحجر فيقال إن الحجر يمنع تصرفه مطلقا ولو كان فيه إصلاح لنفسه أو للغرماء . وأما هذه المسألة فتصرفه صحيح كله إلا ماعصى الله فيه ورسوله وخان أمانته وظلم الناس فهذا هو المطابق للعقل والنقل ولـكن هذا أوحشته الغربة كما استوحش من إنكار الشرك والله أعلم .

(المسألة العشرون) سئل رحمه الله عن هذه المسألة وهى قلب الدين فى ذمة المدين بتمر أوغيره. فأجاب بقوله من محمد بن عبدالوهاب إلى محمد بن عبد الله بن إسماعيل: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعدفقد وصل كتابك فسئل عن المسألة التى يفعلها كثير إذا ورد له على رجل دراهم وأراد أن يقلبها بزاد أوخراج من بيته دراهم وصحح بهاوأوفاه بها وأنا قد ذكرت لك أنها من الحيل الباطلة التى ينكرها الإمام أحمد وغيره من الأئمة وأغلظوا القول فى أهلها ، وذلك أن عندهم لابد من كون رأس مال السلم مقبوضا فى مجلس العقد، وعندهم أن كونه دينا أعنى رأس مال السلم ربا وهذه بعينها مسألة إلاأنه اعترف بكونه ربا أحضر من بيته عدة الدين المقلوب وعقد بها والعارف والشهود ومن حضرهم يعلمون أن المكتوب هو الدين الحال" والتاجر يقول له أوفنى أو اكتبها والمشترى يقول ورد له دراهم وكتبتها منه ويفهمون أن الدراهم الحاضرة غير مقصودة ويسمون هذا العقد التصحيح وهذا لاينكره إلامكابر معاندوحينئذ فعباراتهم والحيل التى تحل حراما أو تحرم حلالا لاتجوز فى شئ من الدين وهى أن يظهرا عقدا صحيحا ومرادهما التوسل به إلى عقد غير صحيح هذا معنى عبارة الإقناع وشرحه . فإن جادلـكم أحد فى أن هذه الصورة غير داخلة فى ذلك فقل له مثل صورة الحيل المحرمة فإنه لايذكر شيئا من الصور إلا وسئلتم مثلها أو أشد بطلانا ؛ وأعجب من هذا أن ابن القيم ذكر فى أعلام الموقعين فى صورة أحسن من هذه وأقرب إلى الحل ماصورته لو أراد أن يجعل رأس مال السلم دينا يوفيه إياه فى وقت آخر بأن يكون معه نصف دينار ، ويريد أن يسلم إليه دينارا غير معين فى كونه حنطة فالحيلة أن يسلم إليه دينارا غير معين ثم يوفيه نصف الدينار ثم يعود فيستقرضه منه ثم يوفيه إياه فيفترقان وقد بقى له فى ذمته نصف دينار ، وهذه الحيلة من أقبح الحيل فإنهما لايخرجان بها عن تأخير رأس

مال السلم ، ولكن توصلا إلى ذلك بالقرض الذى جعلا صورته مبيحة لصريح الربا ولتأخير رأس مال السلم ، وهذا غير القرض الذى جاءت به الشريعة وإنما اتخذاه المتعاقدان تلاعبا بحدود الله انتهى كلامه .

فانظر فهذا كان كلامه فيمن أراد أن يسلم إلى رجل مائة محمدية من بيته باطناً وظاهرا ولكن لم يحضر فى المجلس إلا خمسين وكتبها عليه ثم استقرضها وكتبها أخرى إلا أنه يخرج الخمسين فى آخر النهار أو غد فكيف بكلامه بالتحيل على قلب الدين وجعله رأس مال السلم ، وإذا كان هذا كلامه فى أعلام الموقعين وهو الذى ينسبون عنه إذا أراد أن يشترى دابة بخمسين وجاء رجل وربحه فى الخمسين خمسا أو أكثر أو أقل وقال أنا موكلكم تشتريها ثم تبيعها على نفسك وهذه الحيلة الملعونة التى هى أغلظ من الربا فاستباح بها إلى الآن أكثر المطاوعة الربا الصريح وينسبونها إلى أعلام الموقعين وحاشاه منها بل هذا صفة كلامه فى رأس مال السلم الحاضر إذا تأخر قبض بعضه إلى آخر النهار فضلا عن هذه وأمثالها ، ومع هذا فالله سبحانه لا مردّ لحكمه (يهدى من يشاء ويضل من يشاء — إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) والسلام . (المسألة الحادية والعشرون) قال رحمه الله سألنى رجل عن وقف نخل تطلع وبيع نصفه لإصلاح النصف الآخر بمائة أحمر واستأجروا بمائة الأحمر من يسقى النصف الآخر عشر سنين فمات الذى استأجره لما مضى بعض من المدة وهى سنتان وأراد ورثته أن يتموا باقى مدته وأراد المؤجر الفسخ . فأجبت : إن الإجارة صحيحة ثابتة لا تنفسخ بموت المستأجر فإذا تمم الورثة ما على ميتهم استحقوا ما استحقه وليس للمؤجر الفسخ ، ودليل هذا أن القول بانفساخ الإجارة أو المساقاة قول ضعيف رده أهل العلم بالنص الثابت . من ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم لما ساقى أهل خيبر لم يجد الخلفاء بعده عقدا فإذا ثبت هذا فقد أمر الله بالوفاء بالعقود بقوله (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وهذا اللفظ عام من جوامع الكلم ، فمن ادعى فى صورة من العقود أنه لا يجوز ولا يجوز الوفاء به لأجل موت أو غيره فعليه الدليل (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) . (المسألة الثانية والعشرون) قال رحمه الله تعالى الذى يعلم به ويقف على هذا من الإخوان المتبعين محمدا صلى الله عليه وسلم أن ابن صباح سألنى عما ينسب إلىّ فأجبته فطلب منى أن أكتب له فى ورقة فكتبت له : الحمد لله . أما بعد ،

فما ذكره المشركون عنى أنى أنهى عن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم أو أنى أقول لو أنى لى أمرا هدمت قبة النبى صلى الله عليه وسلم أو أنى أتكلم فى الصالحين أو أنهى عن محبتهم فكل هـذا كذب وبهتان افتراه على الشياطين الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل مثل أولاد شمسان وأولاد إدريس الذين يأمرون الناس أن ينذروا لهم وينتحونهم ويندبونهم كذلك فقراء الشياطين الذين ينتسبون إلى الشيخ عبد القادر رحمه الله وهو منهم برىء كبراءة على بن أبى طالب من الرافضة فلما رأونى آمر الناس بما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم أن لا يعبدوا إلا الله وأن من دعا عبد القادر فهو كافر وعبد القادر منه برىء ، وكذلك من انتحى الصالحين أو الأولياء أو مذهبهم أو سجد لهم أو نذر لهم أو قصدهم بشىء من أنواع العبادة التى هى حق الله على العبيد وكل إنسان يعرف أمر الله ورسوله ولا ينكر هـذا الأمر بل يقرّ به ويعرفه . وأما الذى ينكره فهو بين أمرين إن قال إن دعوة الصالحين واستغاثتهم والتذلل لهم وصيرورة الإنسان فقيرا لهم أمر حسن ولو ذكر الله ورسوله أنه كفر ، فهذا مصرح بتكذيب الله ورسوله ولا خفاء فى كفره فليس معنا له كلام . وأما كلامنا مع رجل يؤمن بالله واليوم الآخر ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغض الله ورسوله لكنه جاهل قد لبست عليه الشياطين دينه ويظن أن الاعتقاد فى الصالحين حق ولو يدرى أنه كافر يدخل صاحبه فى النار فنحن نبين لهذا ما يوضح الأمر فنقول : الذى يجب على المسلم أن يتبع أمر الله ورسوله ويسأل عنه ، فالله سبحانه أنزل القرآن وذكر لنا فيه ما يحبه وما يبغضه وبين لنا فيه ديننا وأكمله ، وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء فليس على وجه الأرض أحد أحب من الصحابة له فهم يحبونه أكثر من أنفسهم وأولادهم ويعرفون قدره ويعرفون أيضا الشرك والإيمان . فإن كان أحد من المسلمين فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم دعاه أو نذر له أو ندب له أو أحد من أصحابه جاء عند قبره بعد موته يسأله أو يندبه أو يدخل عليه ملتجئا به عند القبر فاعرف أنه أمر صحيح حسن ولا تطعنى ولا غيرى . وإن كان إذا سألت وجدت أنه صلى الله عليه وسلم تبرأ ممن اعتقد فى الأنبياء والصالحين وقتلهم وسباهم وأولادهم وأخذ أموالهم وحكم بكفرهم فاعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا الحق ولا يأمر إلا بالحق والواجب على كل مؤمن اتباعه فيما جاء به . وبالجملة فالذى أنكره الاعتقاد فى غير الله فيما لا يجوز

صرفه لغيره ، فإن كنت قلته من عندى فارم به أو من كتاب الله لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به أيضا ، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله وعما أجمع عليه العلماء فى كل مذهب فلا ينبغى لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل أهل زمانه أو أهل بلده أو أن أكثر الناس فى زمانه أعرضوا عنه . واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة جدا لكن أمثل لك بدليل واحد ينهيك عن غيره قال الله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم الأقرب) ذكر المفسرون فى تفسيرها أن جماعة كانوا يعتقدون فى عيسى عليه السلام وعزير فقال الله تعالى « هؤلاء عبيدى كما أنتم عبيدى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى » فياعباد الله تفكروا فى كلام ربكم تبارك وتعالى إذا كان ذكر عن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دينهم الذى كفرهم هو الاعتقاد فى الصالحين وإلا فالكفار يخافون الله ويرجونه ويحجون ويتصدقون ، ولكنهم كفروا بالاعتقاد فى الصالحين وهم يقولون إنما اعتقدنا فيهم (ليقربونا إلى الله زلفى) ويشفعون لنا كما قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فياعباد الله إذا كان الله ذكر فى كتابه أن دين الكفار هو الاعتقاد فى الصالحين وذكر أنهم اعتقدوا فيهم ودعوهم وندبوهم لأجل أنهم يقربونهم إلى الله زلفى ، هل بعد هذا البيان بيان : فإذا كان من اعتقد فى عيسى ابن مريم مع أنه نبى من الأنبياء وندبه وانتخاه فقد كفر فكيف بمن يعتقد فى الشياطين كالكلب أبو حديدة وعثمان الذى فى الوادى والكلاب الأخر فى الخرج وغيرهم فى سائر البلدان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ؟ وأنت يامن هداه الله لاتظن أن هؤلاء يحبون الصالحين بل هؤلاء أعداء الصالحين وأنت والله الذى تحب الصالحين لأن من أحب قوما أطاعهم ، فمن أحب الصالحين وأطاعهم لم يعتقد إلا فى الله وأما من عصاهم ودعاهم يزعم أنه يحبهم فهو مثل النصارى الذين يدعون عيسى ويزعمون محبته وهو برىء منهم ومثل الرافضة الذين يدعون على بن أبى طالب وهو برىء منهم .
ولنختم الكتاب بكلمة واحدة وهى أنى أقول ياعباد الله لاتطيعونى ولكن تفكروا واسألوا أهل العلم من كل مذهب عما قال الله ورسوله وأنا أنصحكم لاتظنون أن

الاعتقاد فى الصالحين مثل الزنا والسرقة بل هى عبادة الأصنام من فعله كفر وتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ياعباد الله تفكروا وتذكروا والسلام. (الثالثة والعشرون) قال رحمه الله الذى يعلم به الأخ مقرن بن عبد الله بعد إبلاغ السلام أن ابن صالح سألنى عن التذكير فقلت إنه بدعة فنكر أن عندنا من لايعرف الجمعة إلا به وذكر له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم منا بصالح أمته وهو سن الأذان ونهى عن الزيادة فإذ فتح الله لكم بابا فى اتباع نبيكم صلى الله عليه وسلم فلا تنتقلوا من قطع العادات فى طاعة الله ورسوله والسلام. (الرابعة والعشرون) قال رحمه الله إلى الأخ سليمان وبعد مسألة الخمس، فاعلم أن الأمر أمران أمر تأمر به وأمر يفعله الغير وتحتاج إلى الإنكار فيه والثانى نتوسع فيه إلا أن نرى منكرا صريحا. إذا ثبت هذا فمسألة الخمس لا أكره فعلهم إذا أخذوه باسم الخمس. وأما سهم النبى صلى الله عليه وسلم وذوى القربى ففيه كلام طويل. وقد ذكر أن أبا بكر وعمر لم يعطيا بنى هاشم فالذى أرى أن يجرى فى المصالح حتى يتبين فيه حكم. وأما مصرف المصالح عندكم فهذا الذى تذكر أنهم يفعلونه ماعلمت فيه خلافا لكن لايقتصر عليه بل من المصالح ماهو أهم منه، وأما عقوبة من تخلف وعصى الأمر يأخذ شيئاً من ماله . فقد ذكر ابن القيم أن بعض السلف أفتى به وظاهر كلامه أنه مقرر له والسلام. (الخامسة والعشرون) قال رحمه الله يعلم من يقف عليه إنى وقفت على أوراق بخط ولد ابن سحيم يريد أن يصد بها الناس عن دين الإسلام وشهادة أن لا إله إلا الله فأردت أن أنبه على مافيها من الكفر الصريح وسب دين الإسلام وما فيها أيضا من الجهالة التى يعرفها العامة. فأما تناقض كلامه فمن وجوه: الأول أنه صنف الأوراق يسبنا ويرد علينا فى تكفير كل من قال لا إله إلا الله وهذا عمدة ما يشبه على الجهال وعقد لها فصلا فى أوراقه يقول: أما من قال لا إله إلا الله لا يكفر ومن أم القبلة لايكفر، فإذا ذكرنا لهم الآيات التى فيها كفره وكفر أبيه وكفر الطواغيت يقول نزلت فى اليهود نزلت فى النصارى نزلت فى فلان ثم رجع فى أوراقه يكذب نفسه ويوافقنا ويقول من قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال: لمس الكف كفر ومن قال كذا كفر، وتارة يقول مايوجد الكفر فينا وتارة يقرر الكفر أعجب ليأتيه. الثانى أنه ذكر فى أوراقه أنه لايجوز الخروج عن كلام العلماء وهو صادق فى ذلك، ثم ذكر فيها كفر القدرية والعلماء لايكفرونهم فكفرنا سالم وأنكر علينا تكفير أهل الشرك. الثالث أنه ذكر معنى التوديك أنها تصرف

جميع أنواع العبادات من الأقوال والأفعال لله وحده ولا تجعل فيها شيئاً لملك مقرب ولا نبي مرسل وهـذا حق ثم يرجع يكذب نفسه ويقول إن دعاء شمسان وأمثاله فى الشدائد وينذر له ليبرءوا المريض ويفرجوا عنه المكروه الذى لم يصل إليه عبدة الأوثان بل يخلصون لله فى الشدائد ويجعل هذا ليس من الشرك ويستدل على كفره الباطل بالحديث الذى فيه «إن الشيطان يئس أن يعبد فى جزيرة العرب» إلى آخره . الرابع أنه قسم التوحيد إلى نوعين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويقول إن الشيخ بين ذلك ثم يرجع يرد علينا فى تكفير طالب الحضر وأمثاله الذين يشركون بالله فى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ويزعمون أن حسيناً وإدريس ينفعون ويضرون وهذه الربوبية ويزعم أنهم ينتحون ويندبون وهذا توحيد الألوهية. الخامس أنه ذكر (فى قل هو الله أحد) أنها كافية فى التوحيد فوحد نفسه فى الأفعال فلا خالق إلا الله وفى الألوهية فلا يعبد إلا الله وبالأمر والنهى فلا حكم إلا لله فيقرر هذه الأنواع الثلاثة ثم يكفر بها كلها ويرد علينا ، فإذا كفرنا من قال إن عبد القادر والأولياء ينفعون ويضرون قال كفرتم الإسلام وإذا كفرنا من يدعو شمسان وتاجا وحطابا قال كفرتم الإسلام ، والعجب أنه يقول إن من التوحيد توحيد الله بالأمر والنهى فلا حكم إلا لله ثم يرد علينا إذا عملنا بحكم الله ويقول من عمل بالقرآن كفر والقرآن مايفسر. السادس أنه ينهى عن تفسير القرآن ويقول مايعرف ثم ينحرف يفسر ويقول (قل هو الله أحد) فيها كفاية ، فلما فسرها كفر بها . السابع أنه ذكر أن التوحيد له تعلق بالصفات وتعلق بالذات وقبل ذلك قد كتب إلينا أن التوحيد فى ثلاث كلمات أن الله ليس على كل شيء وليس فى شيء ولا من شيء ، فتارة يذكر أن التوحيد إثبات الصفات وتارة يقول ذلك ويقول توحيد إنكار الصفات . الثامن أنه ذكر آيات وأحاديث فى النهى عن الشرك وقال المراد بهذه الآيات والأحاديث الشرك الخفى والشرك الجلى كشرك عباد الشمس لا على العموم كما يتوهمه الجهال ، فصرح أن مراد الله ومراد النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل فيه إلا عبادة الأوثان وأن الشرك الأصغر لا يدخل فيه وسمى الذين أدخلوه الجهال ثم فى آخر الصحيفة يعينه قوله ويطلق الشرك بعبارات أخر وكل ذلك فى قوله (وما أنا من المشركين) فرد علينا فى الصحيفة وكذب على الله ورسوله فى أن معنى ذلك بعض الشرك ثم رجع يقرر ما أنكره

ويقول إن الشرك الأكبر والأصغر داخل فى قوله تعالى (وأما أنا من المشركين) التاسع أنه ذكر أن الشرك أربعة أنواع : شرك الربوبيةوشرك الألوهية وشرك العبادة وشرك الملك وهـذا كلام من لايفهم مايقول . فإن شرك العبادة هو شرك الألوهية وشرك الربوبية هو شرك الملك . العاشر أنه قال فى مسألة الذبح والنذر ومن قال إن الذبح والنذر عبادة فرمومته دليل على الجهل لأن العبادةماأمر بهشرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى والبهم لايفهم معنى العبادة ، فاستدل على النفى بدليل الإثبات الحادى عشر أنه بعد أربعة أسطر أكذب نفسه فى كلامه هذا فقال من ذبح لمخلوق يقصد به التقرب أو لرجاء نفع أو لدفع ضرر من دون الله فهذا كفر فتارة يرد علينا إذا قلنا إنه عبادة وتارة يكفر من فعله . الثانى عشر أنه قرر أن من ذبح لمخلوق لدفع ضر أنه كفر ثم إنه يقرر أن الذبح للجن ليس بكفر . الثالث عشر أنه رد علينا فى الاستدلال بقوله (فصل لربك وانحر) ثم رجع يقرر ماقلنا بكلام البغوى كان ناس يذبحون لغير الله فنزلت فيهم الآية، فياسبحان اللهمن عقول تفهم أن هذا الرجل من البقر الذى لاتميز بين التين والعنب . السادسة والعشرون مسألة الشيخ أحمد بن مانع عن مسائل ، فأجاب بقوله من محمد بن عبدالوهاب إلىأخيه أحمد بن مانعحفظه الله تعالى سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فنحمد إليك الله الذى لاإله إلاهو بخير وعافية أتمها الله عليناوعليكم فىالدنيا والآخرة وكل من تسأل عنهفهوطيب والأمور على ماتحب والإسلام يزداد ظهورا والشرك يزداد وهنا،نسأل الله تمام نعمته وسر الخاطر ماذكرت من جهة جماز بن عبد الله أن يهدينا وإياكم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم ، فإنه عليه سهل هين مع كونه سفت عليه الرياح حتى وارته وصاحب الورقة الذى اسمه عثمان بن عقيلى إن كنت تظن أنه صادق مهيب منافق فلا يخلى بلا كشف الشبهة التى أوردها . وأما المسائل التى ذكرت فاعلم أولا أن الذى اتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق ، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذى هو دين الإسلام من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك . فإذا فهمت قول الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فىشىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف فى كتب المختصرات.ذكر فى شرح

الإقناع حول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد والقناطر يعنى نفعها لا الوقف عليهما واتفقوا فيما سوى ذلك . إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفى لفظ حديث صحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» وتقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بهذا ولو يكن الصحابة أسبق الناس إليه وأحرصهم عليه وتقطع أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتى إليه وهو من أعظم الأشياء ذريعة إلى تغيير حدود الله هذا على تقدير أن العالم المنسوب إليه أن هذا يصح مع أوقافنا وأنى ذلك وحاشا وكلا بل هم يبطلون الوقف الذى يقصد به وجه الله على أمد مباح ويقولون لابد منه على أمد قربة . وأما كونه جعل ماله بعد الورثة على بدله فلا يرد إلا بعد انقراضهم وعادتنا نفتى ببطلان مثل هذا ولا نلتفت إلى الصرف الثانى وذكر بطلان مثل هذا فى الشرح الكبير وغيره . وأما المسألة الثانية وهى مثل وقف المرأة على ولدها وليس لها زوج الخ فكذلك أن تعرف أن الوقف على الورثة ليس من دين الرسول صلى الله عليه وسلم ولو شرعه لكان أصحابه أسرع الناس إليه سواء شرعا على قسم الله أم لا هذا وفى الحقيقة يريد أمرين الأول تحريم ما أحل الله لهم من بيعه وهبته والتصرف فيه والثانى يحرم زوجات الذكور وأزواج الإناث فيشابه مشابهة جيدة ما ذكر الله عن المشركين فى سورة الأنعام ولكن كون الرسول صلوات الله وسلامه عليه لم يأمر به كاف فى فساده صلحت نية صاحبه أم فسدت . وأما المسألة الثالثة إذا لم يعرف هل هذا وقف على من يرث أم لا ولكن الإفاضة على أنه من يرث فأنا لا أدرى عن هذه المسألة شيئا لكن أرى التوقف عنها ولا ينزع من يد من يأكله إلا ببينة. وأما المسألة الرابعة وهى الوقف على المحتاج من ذريته فهو صحيح ذكره البخارى عن ابن عمر أنه وقف نصيبه من دار عمر على المحتاج من آل عبد الله . وأما المسألة الخامسة وهى مسألة الجمعة فهى باطلة لكونها وقفاً على الجمعة الورثة وأيضا يحرم بعضهم وأيضا لم تشرع . وأما بيع الإنسان نصيبه من هذه الصبرة على صاحب العقار أو غيره فلا يجوز بل الصبرة باطلة من أصلها فإن كان هذا الجواب أزال عنك الإشكال وإلا فلو ذكرت لى طولت لك وذكرت لك العبارات والأدلة والسلام .

الفصل الخامس

فى ذكر كلامه على آيات متفرقة من القرآن وما فتح عليه فى ذلك من البيان

كان رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجاد على ضريحه من البر مقذفة هامعة قد أعطى فى القرآن فهما وقادا حديدا ومقولا باهرا مصيبا سديدا ومنطقا موفقا مجيدا ، فكان إذا تكلم على الآيات ونزلها على الواقع بهر السامع كلامه ، وكتب على كثير من السور مسائل كثيرة مثل تفسير سورة يوسف والحجر والزمر والنمل. ونذكر فى هذا الفصل كلامه على الآيات المتفرقة من كل سورة على ترتيب المصحف الكريم ونذكر كلامه على سورة الفاتحة بكمالها لأجل مافيه من الفوائد العظيمة . وكان سبب تأليفه لسورة الفاتحة أن الأمير عبد العزيز حفظه الله تعالى كتب له وهو إذ ذاك فى بلد العيينة يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة فكتبها له وهو إذ ذاك صغير السن قد ناهز الاحتلام قال رحمه الله : اعلم أن مقصود الصلاة وروحها ولبها هو إقبال العبد على الله فيها والسهو عن حضور القلب ويدل على ذلك الحديث الذى فى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » . فوصفه بإضاعة الوقت بقوله يرقب الشمس ، وبإضاعة الأركان بذكره النقر ، وبإضاعة حضور القلب بقوله « لا يذكر الله فيها إلا قليلا » إذا فهمت ذلك فافهم نوعا واحدا من الصلاة وهو قراءة الفاتحة لعل الله أن يجعل صلاتك فى الصلاة المقبولة المضاعفة المكثرة للذنوب ، ومن أحسن مايفتح لك الباب فى فهم الفاتحة حديث أبى هريرة الذى فى صحيح مسلم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى ، فإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علىّ عبدى ، فإذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدنى عبدى ، فإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل ، فإذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هـذا لعبدى ولعبدى ماسأل . انتهى الحديث ، فإذا قال الإنسان هذا وعلم أنها نصفان نصف لله وهو أولها إلى قوله (إياك

نعبد) ونصف العبد دعاء يدعو به لنفسه وتأمل أن الذى علمه هذا هو الله تعالى وأمره أن يدعو به ويكرره فى كل ركعة وأنه سبحانه من فضله وكرمه ضمن إجابة هذا الدعاء بإخلاص وحضور قلب تبين له ماذا أطاع أكثر الناس .

قد هيئوه لأمر لو فطنت له . فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فأنا أذكر لك معانى هذه السورة العظيمة لعلك تصلى بحضور قلب ويعلم قلبك مانطق به لسانك ، فإن مانطق به اللسان ولم يعتقده القلب ليس بعمل صالح كما قال تعالى (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) وأبدأ بمعنى البسملة ثم الاستعاذة على طريق الاختصار والإيجاز . فمعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ألوذ وأعتصم بالله وأستجير بجنابه من هذا العدوان الذى يضرنى فى دينى أو دنياى أو يصدنى عن فعل ما أمرت به أو يحثنى على فعل مانهيت عنه لأنه أحرص ما يكون على العبد إذا أراد عمل الخير من صلاة أو قراءة أو غير ذلك وذلك أنه لاحيلة لك فى دفعه إلا بالاستعاذة بالله لقوله تعالى (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) فإذا طلبت من الله أن يعيذك منه واعتصمت به كان هذا سببا لحضور القلب فاعرف معنى هذه الكلمة ولا تقلها باللسان كما عليه أكثر الناس . وأما البسملة فمعناها أدخل فى هذا الأمر من قراءة أو دعاء أو غير ذلك بسم الله لابحولى ولا قوتى بل أفعل هذا الأمر مستعينا بالله متبركا باسمه تبارك وتعالى هذا فى كل أمر تسمى فى أوله من أمر الدين أو أمر الدنيا . فإذا أحضرت فى قلبك أن دخولك فى القراءة مستعيناً بالله متبرئا من الحول والقوة كان هذا أكبر الأسباب فى حضور القلب وطرد الموانع من كل خير (الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة أحدهما أبلغ من الآخر مثل العلام والعليم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر أى أكثر من الآخر رحمة . وأما الفاتحة فهى سبع آيات ثلاث ونصف لله وثلاث ونصف للعبد فأولها (الحمد لله رب العالمين) فاعلم أن الحمد هو الثناء باللسان على الجميل الاختيارى فأخرج بقوله الثناء باللسان الثناء بالفعل الذى يسمى لسان الحال فذلك من نوع الشكر ، وقوله على الجميل الاختيارى الذى يفعله الإنسان بإرادته . وأما الجميل الذى لاصنع له فيه مثل الجمال ونحوه فالثناء به يسمى مدحا لاحمدا والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان إحسانا إلى الحامد

أولم يكن ، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور فمن هذا الوجه الحمد أهم من الشكر لأنه لايكون على المحاسن والإحسان فإن الله يحمد على ماله من الأسماء الحسنى وما خلقه فى الآخرة والأولى ولهذا قال (الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا) الآية وقال (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض) وغير ذلك من الآيات . وأما الشكر فإنه لايكون إلا على الإنعام فهو أخص من الحمد من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان ولهذا قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكراً) والحمد إنما يكون بالقلب واللسان ، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه والحمد أعم من جهة أسبابه والألف واللام فى قوله الحمد للاستغراق وجميع أنواع الحمد لله لالغيره . فأما الذى لاصنع للمخلوق فيه مثل خلق الإنسان وخلق السمع والبصر والسماء والأرض والأرزاق وغير ذلك فواضح . وأما مايحمد عليه المخلوق مثل مانثنى به على الصبا بخير والأنبياء والمرسلين وعلى من فعل معروفا خصوصا إن إسداه إليك فهذا كله أيضا بمعنى خلق ذلك الفاعل وأعطاه مافعل به ذلك وحببه إليه وقواه عليه أو غير ذلك من أفضال الله الذى لو يخيل منها لم يحمد ذلك المحمود فصار الحمد كله لله بهذا الاعتبار. وأما قوله (لله رب العالمين) فالله علم على ربنا تبارك وتعالى ومعنى الإله أى المعبود لقوله (وهو الله فى السموات وفى الأرض) أى المعبود فى السموات والمعبود فى الأرض (إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا) الآية . وأما الرب فمعناه المالك المتصرف. وأما العالمين فهم اسم لكل ماسوى الله تبارك وتعالى فكل ماسواه من ملك ونبى وإنس وجن وغير ذلك مربوب مقهور يتصرف فيه فقير محتاج إليه كلهم صامدون إلى واحد لاشريك له فى ذلك وهو الغنى الصمد وذكر بعد ذلك (مالك يوم الدين) وفى قراءة (ملك يوم الدين) وذكر فى أول هذه السورة التى هى أول المصحف الألوهية والربوبية والملك كما ذكره فى آخر سورة فى المصحف (قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس) فهذه ثلاثة أوصاف لربنا تبارك وتعالى ذكرها مجموعة فى موضع واحد فى أول القرآن ثم ذكرها مجموعة فى آخر مايطرق سمعك من القرآن فينبغى لمن نصح نفسه أن يعتنى بهذا الموضع ويبذل جهده فى البحث عنه ويعلم أن العليم الخبير لم يجمع بينهما فى أول القرآن ثم فى آخر القرآن إلا لما يعلم من شدة حاجة العباد إلى معرفتها ومعرفة الفرق بين هذه الصفات فكل صفة لها معنى غير الصفة الأخرى

فإذا عرفت أن معنى الله الإله وعرفت أن الإله هو المعبود ثم دعوت الله وذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أن هذا لله ، وإن دعوت مخلوقا طيبا أو خبيثا أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه هو الله فمن عرف أنه جعل شمسان أوتاجا برهة من عمره هو الله عرف ماعرفت بنو إسرائيل لما عبدوا العجل فلما تبين لهم ارتاعوا وقالوا لما ذكر الله عنهم (ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) وأما الرب فمعناه المالك المتصرف، فالله تعالى مالك كل شىء وهو المتصرف فيه وهـذا حق ولـكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر الله فيهم فى القرآن فى غير موضع كقوله (قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار) إلى قوله (أفلا تتقون) فمن دعا الله فى تفريج كربته وقضاء حاجته ثم دعا مخلوقا فى ذلك خصوصا إن قرن بدعائه المخلوق فنسبة نفسه إلى عبوديته مثل قوله فى دعائه فلان عبدك أو قول عبد على أو عبدالنبى أو عبد الزبير قد أنزل بالربوبية فى دعائه عليا أو الزبير بدعاء الله تبارك وتعالى وأقر له بالعبودية ليأتى له بهذا من شرائع تسميته نفسه عبد الله قد أقر له بالربوبية ولم يقر بأنه رب العالمين بل جحد بعض ربوبيته، فرحم الله عبدا نصح نفسه وتفطن لهذه المهمات. وسئل عن كلام أهل العلم وهم أهل الصراط المستقيم وهـذه السورة بهذا أم لا . وأما الملك فيأتى الكلام عليه وذلك أن قوله مالك وفى القراءة الأخرى (ملك يوم الدين) فمعناه عند جميع المفسرين كلهم مافسره الله به بقوله (وما أدراك مايوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) فمن عرف تفسير هذه الآية وعرف تخصيص الملك بذلك مع أنه سبحانه وتعالى مالك كل شىء ذلك اليوم وغيره عرف تخصيصه بهذه المسألة الكبيرة العظيمة التى بسبب معرفتها دخل الجنة من دخلها وبسبب الجهل بها دخل النار من دخلها، فيالها من مسألة لو رحل الرجل فيها أكثر من عشرين سنة لم يوفها حقها فأين هذا المعنى والإيمان بما جاء به القرآن مع قوله صلى الله عليه وسلم « يافاطمة بنت محمد لاأغنى عنك من الله شيئا » من قول صاحب البردة :

ولن يضيق رسول الله جاهك بى ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم
فإن لى ذمة منه بتسميتى ... محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم
إن لم يكن فى معادى آخذا بيدى ... فضلا وإلا فقل يازلة القدم

فليتأمل الناصح لنفسه هذه الأبيات ومعناها ومن فتن بها من العباد وممن يدعى أنه من العلماء اختاروا تلاوتها على تلاوة القرآن هل يجتمع فى قلب عبد التصديق بهذه الأبيات والتصديق بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) وقوله «يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيئا» لاوالله لا والله كما لا يجتمع فى قلبه أن موسى صادق وأن فرعون صادق وأن محمدا صادق على الحق وأن أباجهل صادق على الحق والله ما استويا ولن يتلاقيا حتى تشيب مفارق الغربان، فمن عرف هذه المسألة وعرف البردة ومن فتن بها عرف غربة الإسلام عرف أن العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال بل هم الذين بدءونا بالتكفير والقتال بل عند قوله (فلا تدعو مع الله أحدا) وعند قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) وقوله (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء) الآية، فهذه بعض المعانى من قوله (مالك يوم الدين) بإجماع المفسرين كلهم ، وقد فسر الله سبحانه فى سورة (إذا السماء انفطرت) كما قدمت لك فاعلم أرشدك الله أن الحق لايتبين إلا بالباطل كما قيل*وبضدها تتميز الأشياء*فتأمل ماذكرت لك ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم وشهرا بعد شهر وسنة بعد سنة لعلك أن تعرف ملة إبراهيم ودين نبيك محمد فتحشر معهما ولا تصد عن الحوض يوم الدين كما يصد عنه من صدعن طريقهما، ولعلك أن تمر على الصراط المستقيم يوم القيامة ولا تزل عنه كما زل عنه من زل عن صراطهما المستقيم فى الدنيا . فعليك بإدامة دعاء الله بدعاء الفاتحة مع حضور قلب وخوف وتضرع . وأما قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فالعبادة كمال الخضوع وكمال المحبة والخوف والذل وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحصر أى لانعبد إلا إياك ولانتوكل إلا عليك وهذا هو كمال الطاعة والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين . فالأول التبرى من الشرك ، والثانى التبرى من الحول والقوة، فقوله (إياك نعبد) إياك نوحد ، ومعناه أنك تعاهد ربك أن لاتشرك فى عبادتك أحدا لاملكا ولانبيا ولاغيرهما كما قال تعالى للصحابة (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) فتأمل هذه الآية واعرف ما ذكرت لك فى الربوبية أنها التى نسبت إلى تاج ومحمد بن شمسان فإذا كان الصحابة لو فعلوها مع الرسل لكفروا بعد إسلامهم فكيف بمن فعلها فى تاج وأمثاله، وقوله (وإياك نستعين) هذا فيه أمران :

أحدهما سؤال الله الإعانة وهو التوكل والتبرى من الحول والقوة، وأيضا طلب الإعانة من الله كما مرّ أنها من نصف العبد. وأما قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فهذا هو الدعاء الصريح الذى هو حظ العبد من الله وهو التضرع إليه والإلحاح عليه أن يرزقه هذا المطلب العظيم الذى لم يعط أحد فى الدنيا والآخرة أفضل منه، كما منّ الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح بقوله (ويهديك صراطا مستقيما) والهداية هنا الإرشاد والتوفيق؛ وليتأمل العبد ضرورته إلى هذه المسألة التى تتضمن العلم النافع والعمل الصالح على وجه الاستقامة بالكمال والثبات إلى أن يلقى الله. والصراط الطريق الواضح المستقيم الذى لا عوج فيه والمراد بذلك الدين الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم (صراط الذين أنعمت عليهم) وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأنت دائما فى كل ركعة تسأل الله أن يهديك إلى طريقهم. وعليك من الفرائض أن تصدق الله فى أنه هو المستقيم وكل ما خالفه من طريق أو علم أو عبادة فليس بمستقيم بل معوج وهذا أول واجبات هذه الآية وهو اعتقادك ذلك بالقلب. وليحذر المؤمن من خدع الشيطان وهو اعتقاد ذلك مجملا وتركه مفصلا فإن أكثر الناس من المرتدين يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق وأن من خالفه على الباطل فإذا جاء بما لا تهوى أنفسهم يكونون كما قال الله تعالى (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) وأما قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فالمغضوب عليهم هم العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم والضالون العاملون بلا علم، فالأول صفة اليهود والثانى صفة النصارى، وكثير من الناس إذا رأى فى التفسير أن اليهود مغضوب عليهم وأن النصارى ضالون ظن الجاهل أن ذلك مخصوص بهم وهو يقرّ أن ربه فارضه عليهم وأن يدعو بهذا الدعاء ويتعوذ من طريق أهل هذه الصفات، فياسبحان الله كيف يعلمه الله ويختار له ويفرض عليه أن يدعو به دائما مع أنه لا حذر عليه منه ولا يتصور أن فعله هذا من ظن السوء بالله، هذا آخر الفاتحة. وأما قوله: آمين، فليست من الفاتحة ولكنها تأمين على الدعاء. ومعناها اللهم استجب، فالواجب تعليم الجاهل لئلا يظن أنها من كلام الله والله أعلم تمت ولله الحمد. وقال أيضا رحمه الله فى مسائل ذكرها على سورة الفاتحة: الأولى (إياك نعبد وإياك نستعين) فيها التوحيد. الثانية (اهدنا الصراط المستقيم) فيها المتابعة. الثالثة أركان الدين الحب والرجاء والخوف، فالحب فى الأولى وهى (الحمد لله رب العالمين) والرجاء فى الثانية وهى

(الرحمن الرحيم) والخوف فى الثالثة وهى (مالك يوم الدين). الرابعة هلاك الأكثر فى الجهل بالآية الأولى أعنى استغراق الحمد لله واستغراق ربوبية العالمين. الخامسة أول المنعم عليهم وأول المغضوب عليهم والضالين. السادسة فى ذكر المنعم عليهم ظهور الكرم والحمد. السابعة ظهور القدرة والمجد فى ذكر المغضوب عليهم والضالين. الثامنة دعاء الفاتحة مع قوله «لايستجيب دعاء من قلب غافل» التاسعة قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) فيه حجية الإجماع. العاشرة مافى الجملة من هلاك الإنسان إذا وكل إلى نفسه. الحادية عشرة مافيها من النص على التوكل إذا وكل الإنسان إلى نفسه. الثانية عشرة مافيها من التنبيه على بطلان الشرك. الثالثة عشرة التنبيه على بطلان البدع. الرابعة عشرة آيات الفاتحة كل آية لو يفهمها الإنسان كان فقيها وكل آية أفرد معناها بالتصنيف فقال رحمه الله فى كلامه على آيات من سورة البقرة. وقال الشيخ رحمه الله ورضى عنه قوله تعالى (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) إلى قوله (ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) فيه مسائل: الأولى كون أناس من أهل الكتاب إذا وقعت المسألة وأرادوا إقامة الدليل عليها تركوا كتاب الله كأنهم لايعلمون واحتجوا بما فى الكتب الباطلة. الثانية أن من العجب احتجاجهم بذلك على رسول من الرسل. الثالثة أن الكلام يدل على أنهم يعلمون لقوله كأنهم لايعلمون. الرابعة أن المسائل الباطلة قد تنسب إلى الأنبياء كذبا عليهم. الخامسة أن الكتب قد تضاف إلى بعض الصديقين. السادسة أن ذلك مما تتلوا الشياطين على زمان الأنبياء كما وقع أشياء فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم. السابعة أن الشياطين مزجت به الحق فى زمن سليمان. الثامنة بيان ضلال من ضل ممن يدعى العلم فى شأن سليمان ممن نسب ذلك إليه واستحسنه أو قدح فى سليمان كما ضل أناس كثير فى على لما قتل عثمان. التاسعة أن من فعل السحر كفر ولو عرف أنه باطل. العاشرة أن الشياطين يعلمونه الناس. الحادية عشرة أن العبد لو بلغ مابلغ فى العلم والعمل فلا يأمن مكر الله. الثانية عشرة لاينبغى له التعرض للفتن وثوقا بنفسه بل يسأل الله العافية. الثالثة عشرة سعة حلم الله ومغفرته ورحمته. الرابعة عشرة يجعل بعض نظره إلى القضاء والقدر. الخامسة عشرة أن النساء من أكبر الفتن. السادسة عشرة أن طاعة الهوى جماع الشر كما أن مخالفته جماع الخير. السابعة عشرة أن الشرك الأكبر مما يخطر بالبال.

الثامنة عشرة أن التلفظ بالشرك بكلمة واحدة لايشترط فى كفر من تكلم بها عقيدة القلب ولا عدم الكراهة للشرك. التاسعة عشرة أن المتكلم لايعذر ولو أراد أن يقضى به غرضا مهما. العشرون أن قتل النفس أعظم من الزنا. الحادية والعشرون أن المعاصى بريد الكفر. الثانية والعشرون أن بعضها يجر إلى بعض. الثالثة والعشرون أن عقوبة المعصية قد تكون أكبر مما يظن العالم. الرابعة والعشرون أن قبول التوبة بلا عذاب لايحصل لكل أحد بل هو فضل من الله. الخامسة والعشرون أن من النعيم تعذيب العبد بذنبه فى الدنيا. السادسة والعشرون حسن الظن بالله. السابعة والعشرون القاعدة التى هى خاصية العقل وهو ارتكاب أدنى الشرين لرفع أعلاهما وتفويت أدنى الخيرين لتحصيل أعلاهما. الثامنة والعشرون أن السحر نوعان. التاسعة والعشرون أن له تأثيرا لقوله (يفرقون به بين المرء وزوجه) . الثلاثون الإرشاد إلى التوكل بكونه لايضر أحدا إلا بإذن الله. الحادية والثلاثون أن فى من يدعى العلم من اختار كتب السحر على كتاب الله . الثانية والثلاثون أنهم يعارضون به كتاب الله. الثالثة والثلاثون أن اتباع كتاب غير كتاب الله ضلال. الرابعة والثلاثون لاتأمن الكتب ولا من ينتسب إلى العلم على دينك . الخامسة والثلاثون أن فساد العلماء يفسد الرعية . السادسة والثلاثون أن السحر وقع فى زمن خلافة النبوة حتى إن عمر وغيره أمر بقتل الساحر ولم يستتبه كما استتاب المرتد . السابعة والثلاثون أن الحسد سبب لرد كتاب الله. الثامنة والثلاثون أن الحاسد قد يبغض الناصح ويسعى فى قتله . التاسعة والثلاثون أن الحسد يحمله على رد حظه من الله فى الدنيا والآخرة. الأربعون أنه من أخلاق اليهود. الحادية والأربعون أن المحسود يرفعه الله على الحاسد. الثانية والأربعون أن بالطاعة خير الدنيا والآخرة وبالمعصية العكس. الثالثة والأربعون أن فى من ينتسب إلى العلم من يختار الكفر على الإيمان مع علمه أن من اختاره لاحظ له فى الآخرة . الرابعة والأربعون أن الإنسان يجتمع فيه الضدان يعلم ولا يعلم. الخامسة والأربعون بيان غبنهم والتسجيل على فرط جهلهم فى هذا الشرط . السادسة والأربعون أن السبب فى هذا الشرط اشتراء شىء خسيس تافه من الدنيا. السابعة والأربعون أنهم لحبهم ماهم عليه من الجاهلية وغرامهم به نبذوا كتاب الله الذى عندهم وراء ظهورهم كأنهم لايعرفونه. الثامنة والأربعون أن حملهم على هذه العظائم أنهم أتاهم أمر من الله موافق لدينهم لكن مخالف لعاداتهم

الجاهلية. التاسعة والأربعون الفرق بين المعجزات والكرامات وبين ما يفعله الشياطين وتشبيهها بذلك. الخمسون التنبيه على قول الصحابى «أويأتى الخير بالشر» وجوابه صلى الله عليه وسلم. الحادية والخمسون أنه لا ينبغى للإنسان أن ينكر ما لم يحط به علما فقد ضل بالتكذيب بهذه القصة فئام من الناس لظنهم أنها تخالف ماعلموه من الحق وتكلم بسببها ناس فى نبى الله سليمان بن داود عليه السلام وقوله (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير) فيه مسائل: الأولى كون أناس ممن ينتسبون إلى العلم والدين يجرى منهم هذا عمدا جرأة على الله وما أكثر من ينكر هذا. الثانية التنبيه على كثرة هذا الصنف. الثالثة كون المنتسب إلى العلم يتمنى إضلال غيره إذا عجز عنه . الرابعة أن سبب هذا الأمر الغريب هو الحسد لا خوف مضرة ولا طلب مصلحة. الخامسة أن المنتسب إلى العقل والعلم قد يسعى فيما يعلم أن مصلحته لدنياه ليزيله وفيما يعلم أنه مضرة لدنياه ليأتى به فإنهم يعلمون أن زوال المفاسد وحصول المصالح فى هذا الدين وكانوا يستفتحون على من ظلمهم فلما جاء حملهم الحسد على ما ذكر. السادسة أن الحسد سبب للكفر كما وقع لهؤلاء ولإبليس. السابعة ذكر العفو الذى هو من أسباب العز وقهر الخصم كما ورد فى الحديث. الثامنة الرفق فى الأمر وفعله بالتدريج كما فعل عمر بن عبد العزيز. التاسعة أنه سبحانه يمهل ولا يهمل . العاشرة الإشعار بالنسخ قبل وقوعه . الحادية عشرة تسلية المظلوم المحسود. الثانية عشرة التنبيه على العلة. الثالثة عشرة أن الظالم الحاسد يذله الله كما جرى لهؤلاء إلى يوم القيامة وقوله فيه (إن الله على كل شىء قدير). الرابعة عشرة وهى الاستدلال بالصفات على الأفعال. الخامسة عشرة وهى الاستدلال بالقدرة على ما لا يظن وقوعه السادسة عشرة وهى الاستدلال بها على جعل العفو سببا للعز العافى وذلة المعفو عنه عكس ما يظن الأكثر. وأما الاستدلال بها على ما كذب به الجهال استبعاداً مثل عذاب القبر وغيره أو مثل الصراط والميزان وغيرهما وما يجرى فى الدنيا من تبديل الأحوال من الغنى إلى الفقر وضده ومن الذل إلى العز وضده فأكثر من أن يحصر ولكن من أحسن ما فيها. المسألة السابعة عشرة وهى تنبيه أعلم الناس على أشكل المسائل بقوله (إن الله على كل شىء قدير) والله سبحانه وتعالى

أعلم وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون .

ذكر بعض مافى قوله تعالى (قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم إلى قوله يعلمون) من بيان الحق وإبطال الباطل : الأول إذا كانت المحاجة فى الله سبحانه من قرب إليه من المختلفين فى مسألة التوحيد وبيان ذلك بمعرفة الله تعالى فيما اجتمعنا وإياكم عليه ومعرفة حالنا وحالكم فى مسألة، وذلك أنا مجمعون على استوائنا وإياكم فى العبودية بخلاف ملوك الدنيا فإن بعض الناس يكون أقرب إليهم من بعض بالقرابة وغيرها ، ومجمعون أيضا أنه لايظلم أحدا من عبيده بل كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت بخلاف ملوك الدنيا فانهم يأخذون مال هذا ويعطونه هذا فإذا كان الأمر كذلك فكيف تدعون أنكم أولى بالله منا ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون، وكيف يظن به أنه يساوى بين من قصده وحده لا شريك له ومن قصد غيره وأعرض عنه ، وهل يظن عاقل أو سفيه برجل من بنى آدم خصوصا إذا كان كريما أن من قصده وضاف عنده يكرهه ولايضيفه ويخص بالرضا والكرامة والضيافة من أعرض عنه وضاف عند غيره مع استواء الجميع فى القرب منه والبعد ؟ هذا لايظن فى الآدمى فكيف يظن برب العالمين ؟فتبين بقضية العقل أن ما جاءت به الرسل من الإخلاص هو الموافق للعقل وما فعل المشركون هو العجاب المخالف للعقل، فيالها من حجة ما أعظمها وأبينها لكن لمن فهمها كما ينبغى .

قال الشيخ رحمه الله ذكر بعض مافى قوله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) إلى الجزء، ففى الآية الأولى مسائل: الأولى أنه تعالى حكيم لايضع الأشياء إلا فى مواضعها لأنه ماجعله إماما إلا بعد ماأتم ما ابتلاه به، وسأل بعضهم أيما الابتلاء أو التمكين ؟ فقال الابتلاء ثم التمكين . الثانية إذا كان يبتلى الأنبياء هم يفعلونه أم لا فكيف بغيرهم. الثالثة الثناء على إبراهيم بأنه أتم الكلمات التى ابتلاه بها. وقيل إن الله لم يبتل أحداً بهذا الدين فأتمه إلا إبراهيم ولهذا قال (وإبراهيم الذى وفى). الرابعة أنه سبحانه جازاه على ذلك بأمور منها أنه جعله للناس إماما، ولما علم عليه السلام كبر هذه العطية سألها للذرية وهى الخامسة. والسادسة أن الله أجابه أن هذه المرتبة لاينالها ظالم ولو من ذرية الأنبياء. السابعة أن هذا يدل على أن الامامة فى الدين تحصل لغير ظالم فليست بمختصة. الثامنة معرفة قدر هذه المرتبة التى أكرم بها وهى الإمامة فى الدين. وأما الآية الثانية ففيها مسائل: كونه سبحانه جعل البيت الذى بناه إبراهيم مثابة مع المشاق العظيمة وذلك

من الآيات. الثانية أنه جعله أمنا عند الكفار ، وذلك من أعجب الآيات. الثالثة أمره أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى وهذا من الخصائص فليتفطن المؤمن للشبهة المبتدعة لأنه لا يجوز أن يتخذ من مقام غيره مصلى . الرابعة أن فيها الرد على أهل الكتاب الذين لا يعظمونه مع ما فيه من الآيات ومع ما عندهم من العلم بذلك . وأما الآية الثالثة ففيها مسائل . الأولى ذكره أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل أن يطهراه لهذه الطائفة ولذلك أنزل الله (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) .الثانية أن فيها الرد على أهل الكتاب والمشركين . الثالثة العجب العجاب معا كستهم هذا الأمر فلا يردون عنه إلى الطائفة المأمور بتطهيرهم له . الرابعة أنه نعتهم بالطواف والركع والسجود والعكوف فدل على أن نفس العكوف فيه عبادة . الخامسة أن التقدم عند الله بالأعمال الصالحة لا بالنسب فأمر بتطهيرهم له وإن لم يكونوا من ذريته وأمر بطرد ذريته عنه إذا لم يكونوا كذلك. وأما الآية الرابعة ففيها مسائل : الأولى دعوة إبراهيم للبلد وأهله ولا يناقض تحريمه يوم خلق الله السموات والأرض .الثانية دعوة إبراهيم للبلد وأهله بالأمن والرزق. الثالثة الآية العظيمة فى إجابة هذه الدعوة . الرابعة تخصيصه بها من آمن بالله واليوم الآخر . الخامسة قوله ومن كفر فلما دعا بأمر الدين منع الله الظالم من ذريته . ولما خص بالأمر الآخر من آمن بالله، قال الله: ومن كفر، وذلك للفرق بين الدارين . السادسة أنه لما أخبر أن ذلك للمؤمن وغيره فقد يتوهم منه كرامة الجميع فأخبر أنه لو عم العاصى فيه بالأمن والرزق فإنه يضطره إلى عذاب النار . السابعة أن المجاورة عنده كما أنها تنفع المطيع، فهى تضر العاصى لقوله (ثم أضطره إلى عذاب النار) ولذلك انتقل ابن عباس منها إلى الطائف . وأما الآية الخامسة ففيها مسائل: الأولى التصريح بأن الاثنين بنياه . الثانية جلال الله وعظمته فى قلوب الذين يعرفونه لدعوتهما بالقبول . وكان بعض السلف إذا قرأها يبكى ويقول: خليل الله يرفع قواعد بيت الله ويخاف أن لا يقبله . الثالثة توسلهما بالصفات . الرابعة طلبهما أن يرزقهما الله الإسلام وهاهما ، والغفلة عن هذه الكلمة من العجائب . الخامسة إشراكها فى الدعوة بعض الذرية ففيها رغوب المؤمن وحرصه على صلاح ذريته . السادسة طلبهما أن يعلمهما المناسك ففيها حرصهما على العمل بالنص مع عصمتهما . السابعة طلبهما أن يتوب عليهما وهاهما ففيها خوفهما من الذنوب . الثامنة التوسل بالصفات . التاسعة التعليل

بكونه التواب الرحيم ، ولولا ذلك لاستحقا العقوبة . العاشرة الرد على المشركين وأهل الكتاب . الحادية عشرة أن دعوتهما بهذه النعمة التى هى أعظم النعم للذرية جعلها الذرية من أعظم المصائب . وأما الآية السادسة ففيها مسائل : الأولى دعوتهما للذرية ببعثة الرسول فكانت عندهم أعظم البلاء مع دعواهم أنهم على ملتهما . الثانية أنهما أرادا بذلك أن يعلمهم الكتاب والحكمة ويتلو عليهم الآيات ويزكيهم ، قيل إن استماع التلاوة والتزكى بها فرض عين . وأما علم الكتاب والحكمة ففرض كفاية . الثالثة أن نسبة الزكاة إلى السبب لابأس به مع أن المزكى فى الحقيقة هو الله وحده . الرابعة التوسل بالصفات . وأما الآية السابعة فهى من جوامع الكلم وأظهر البراهين فنذكر شيئا من ذلك : الأولى أنه بين أن ملة إبراهيم هى الإسلام ومنه تعظيمه وحجه ومع إقرار علماء أهل الكتاب بذلك يرغبون عنه، وهذه مسألة مهمة يدل عليه قوله «ومن رغب عن سنتى فليس منى» . الثانية أن أكثر الناس رغبوا عن اسم الإسلام وعندهم لافضيلة فيه ولابد عندهم من نسبة دين خاص . الثالثة أعجب من ذلك أنهم لايعرفون معنى الإسلام بل هذا عندهم صورة لامعنى لها . الرابعة أعجب من الجميع أنهم إذا بين لهم معناه اشتد إنكارهم لذلك مع قراءة هذه الآية وأمثالها . الخامسة التى سيق الكلام لأجلها أنك إذا عرفت ملته فالواجب الاتباع لامجرد الإقرار مع الرغوب عنها . السادسة أن من فعل ذلك لم يضر إلا نفسه . السابعة أن ذلك فى غاية الجهل والسفه الواضح مع ادعائهم الكمال فى العلم . الثامنة كيف يطلب أفضل من طريقه والله سبحانه هو الذى اصطفاه ووعده فى الآخرة ماوعده بسبب طريقه . وأما الآية الثامنة ففيها مسائل الأولى أن مسألة الإسلام الذى هو سبب الكلام والخصومة أن الله سبحانه هو الذى أمره بذلك . الثانية أنه استجاب لله فيما أمره فقال (أسلمت لرب العالمين) الثالثة وصفه ربه سبحانه بما يوضح المسألة ، وهو الربوبية للعالم كله . فانظر رحمك الله إلى هذا التقرير والثناء والتوضيح للإسلام مع حقارته وإنكاره عند من يقرأ هذه الآيات وما بعدها . وأما الآية التاسعة ففيها العجب العجاب : الأولى أن الله سبحانه ذكر أن إبراهيم وصى بالإسلام ابنيه وهماهما . الثانية أن يعقوب وصى بها بنيه وهم هم . الثالثة تحريضه الذرية على ذلك بأن الله الذى اختاره لهم فلا ترغبوا عن اختيار الله . الرابعة مع هذا التقرير الواضح عند من يدّعى كمال العلم ويدّعى اتباع الملة أحقر الطرائق

ولا مدح فيه ولا يصير من المسكوت عنه إلا من رغب عنه إلى اسم غيره وإلا من اقتصر عليه اتخذوه هزؤا فاعتقدوا غاية جهله بل أفتوا بكفره وقتله. وأما قوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) فحرضوهم على لزوم ذلك إلى الممات وعدم الزيادة عليه لما فى طبع الإنسان من طلب الزيادة خصوصا مع طول الأمل. وأما الآية العاشرة ففيها مسائل: الأولى وصية يعقوب عند الموت ولم يكتف بما تقدم . الثانية لبنيه وهم هم . الثالثة لشدة التحريض وكبر الأمر عنده أخرجه مخرج السؤال . الرابعة أنه قال (من بعدى) لأن الغالب أن الأتباع بعد موت كبيرهم ينقصون . الخامسة جوابهم له (نعبد إلهك) الآية، لأن فى هذا معنى الحجة وظهور الأمر أن من اتبع الصالحين يسلك طريقهم ، وأما كونه يترك طريقهم بزعمه أنه اتباع لهم فهذا خلاف العقل . السادسة (إلها واحدا) يعنون للخلائق كلهم لكن مهتد وضال . السابعة إخباره لهم بلزومهم الإسلام بعد موته. الثامنة ذكرهم له أن ذلك الإسلام لله وحده لاشريك له ليس لك ولا لآبائك منه شيء . التاسعة أن العم أب لأن إسماعيل عمه لكن مع التغليب . العاشرة أن ذلك من أوضح الحجج على ذريتهم مع إقرارهم بذلك ومع هذا يزعمون أنهم على ملتهم مع تركها وشدة العداوة لمن اتبعها . الحادية عشرة أن فيها ردا عليهم فى المسألة الخاصة وهى اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا . وأما الآية الحادية عشرة ففيها مسائل: الأولى المسألة التى ضل بها كثير وهى ظنهم أن صلاح آبائهم ينفعهم . الثانية بيان أن الذى ينفع الإنسان عمله. الثالثة أن الذى يضره عمله ولا يضره معصية أبيه وابنه. وأما الآية الثانية عشرة ففيها مسائل، وهى من جوامع الكلم أيضاً: الأولى من عبر إلى ملة كانت هى من الملل الممدوحة السالم أهلها قيل له(بل ملة إبراهيم) لأنها إن كانت باطلة فواضح وإن كانت صحيحة فملة إبراهيم أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم « أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة » . الثانية وهى مما ينبغى التفطن لها أنه سبحانه وصفها بأن إبراهيم حنيفا بريئاً من المشركين وذلك لأن كلا يدعيها فمن صدق قوله بالفعل وإلا فهو كاذب . الثالثة أن الحنيف معناه المائل عن كل دين سوى الإسلام لله . الرابعة أن من الناس من يدعى أنه لايشرك وأنه مخلص ولكن لايتبرأ من المشركين وملة إبراهيم الجمع بين النوعين . وأما الآية الثالثة عشرة ففيها مسائل : الأولى أمر الله سبحانه أن نقول ماذكر فى الآية ، وليس هذا من إظهار العمل الذى إخفاؤه

أفضل . الثانية الإيمان بجميع المنزل . الثالثة عدم التفريق بينهم . الرابعة التصريح بالإسلام . الخامسة التصريح بإخلاصنا ذلك لله ، وليس هذا من باب الثناء على النفس بل من بيان الدين الذى أنت عليه . ولهذا قال بعض السلف ينبغى لكل أحد أن يعلم هذه الآية أهل بيته وخدمه. وأما الآية الرابعة عشرة ففيها مسائل : الأولى قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) وفيها التصريح أن الإيمان هو العمل . الثانية أن هذا الكلام فى غاية إنصاف الخصم. الثالثة أن الذى لاينقاد له ليس داؤه داء جهالة بل مشاقة . الرابعة أنك إذا أنصفته وأصر فهو سبب الانتقام لله منه . الخامسة الاستدلال بالصفات. وأما الآية الخامسة عشرة ففيها مسائل: الأولى قوله (صبغة الله) أى دين الله فدل على أن ذلك هو العمل . الثانية الدلالة الواضحة وهى أنه لاأحسن من الدين الذى تولى الله بيانه والأمر به . الثالثة أنكم أيها الخصوم افتخرتم بإسلامكم بالأنبياء والصالحين فإسلامنا لله وحده، ومعنى ذلك لزوم هذا الدين الذى تولى الله بيانه . وأما الآية السادسة عشرة ففيها مسائل: الأولى أمر الله لنا أن نحاجهم بهذه الحجة القاطعة. فإذن كان الله رب الجميع ،وأيضاً أنه بإقراركم عدل لايظلم بل كل عامل فعمله له وافترقنا فى كوننا قاصدينه مخلصين له وأنتم قصدتم غيره فكيف يسوى بينكم وبيننا أو يخص بكرامته من أعرض عنه دون من قصده؟هذا لايدخل عقل عاقل . الثانية أن الخصوم محاجتهم فى الله لافى غيره مع فعلهم هـذا فى الخصومة . وأما الآية السابعة عشرة ففيها مسائل : الأولى إن كانت الخصومة فى الصالحين ودعواهم أنهم على طريقهم فهم يقدرون أنهم يدعون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقتهم فلا يقدرون بل يصرحون أنهم على غيرها ولكن يعتذرون أنهم لايقدرون عليها فكيف هـذا التناقض ؟ يدعون أنهم تابعوهم مع تحريمهم اتباعهم وزعمهم أن أحدا لايقدر عليه . الثانية قوله (ءأنتم أعلم أم الله) فهذه لايقدر أحد أن يعارضها،فإذا سلمها وسلم لك أن العلم الذى أنزله الله ليس هو لعدم القدرة فهذا الذى عليه غيره وهـذا إلزام لامحيد عنه . الثالثة أن منهم من يعرف الحق ويكتمه خوفا من الناس مع كونه لاينكره (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) فكيف بمن جمع مع الكتمان دفعها وسبها وتكفير من آمن بها . الرابعة الوعيد بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) والله أعلم . وقال رضى الله عنه قوله تبارك وتعالى (وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة

ثم يقول للناس كونوا عبادالى من دون الله) الآيتين. إذا عرفت أن سبب نزولها قول أهل الكتاب نحن مسلمون نعبد الله إلا إن كنت تريد أن نعبدك عرفت أنها من أوضح مافى القرآن من تقرير الإخلاص والبراءة من الشرك ومن أعظم مايبين لك طريق الأئمة المهديين من الأئمة المضلين وذلك أن الله وصف أئمة الهدى بالنفى والإثبات فنفى عنهم أن يأمروا أتباعهم بالشرك بهم أو بالشرك بالملائكة والأنبياء وهم أصلح المخلوقات ، وأثبت أنهم يأمرون أتباعهم أن يصيروا ربانيين ، فإذا كان من أنزله الله بهذه المنزلة لايتصور أن يأمر أتباعه بالشرك به ولا بغيره من الأنبياء والملائكة فغيرهم أظهر وأظهر ، وإذا كان الأمر الذى يأمرهم به كونهم ربانيين تبين طريقة الأنبياء وأتباعهم من طريقة أئمة الضلال وأتباعهم ومعرفة الإخلاص والشرك ، ومعرفة أئمة الهدى وأئمة الضلال أفضل ماحصل المؤمن لكن فيه من البيان قول اليهود إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى وقول النصارى تريد ذلك إلا إن كنت تريد أن نعبدك كما عبدت اليهود عزيرا أن عبادة غير الله من أنكر المنكرات ببديهة العقل ، ولكن الهوى يعمى ويصم وفيه معرفة الإنسان بعيب عدوه ولا يعرف مافيه من ذلك العيب بعينه ولو كان فيه منه أضعاف مضاعفة ، وفيه ماعلى من قرأ القرآن من الحق من تعلم معانيه ، وفيه أن عليه أن يعمل به ، وفيه أن يكون ربانيا ، وفيه أن سبب ذلك درس الكتاب وعلمه وتعليمه ، وفيه أن المسلم إذا أشرك بالأنبياء والصالحين كفر بعد إسلامه ، وفيه معرفة أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو عليه من العدل والتواضع كيف يتفوهون له بهذا الكلام وهم تحت يده محتاجون له، وفيه أن من أشرك بشىء فقد اتخذه ربا. وفيه أن قوله فى القرآن من دون الله ليس كما يقول الجاهلون لأن أهل الكتاب لايتركون عبادة الله وقوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة) الآيتين فيه ماهو من أبين الآيات للخاص والعام وكونه صلى الله عليه وسلم مذكورا مبشرا به فى كتب الأنبياء، وفيه حجة على أن دعوته عامة فى الظاهر والباطن، وفيه أن الإيمان به لايكفى عن نصرته بل لابد من هذا وهذا،وفيه أخذه تعالى الميثاق على الأنبياء بذلك دليل على شدته إلا على من يسره الله عليه، وفيه أن من آتاه الله الكتاب والحكمة أحق بالانقياد للحق إذا جاء به من بعده بخلاف ماعرف من حال الأكثر من ظنهم أنه لو اتبعه غيرهم فهو نقص فى حقهم

وفيه مزيد التأكيدبقوله (ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى) وفيه إشهادهم مع شهادته سبحانه ، وفيه أن من تولى بعد ذلك فجرمه أكبر ، وفيه أن الآخر مصدق لما معهم لامخالف له فإذا كان هذا فى أهل الملل فكيف بأهل الملة الواحدة إذا ضلوا ثم جاءهم من يرشدهم إلى دينهم الذى أنزل الله عليهم وهو الذى ينتحلونه (فإن تولوا) بعد معرفته (فأولئك هم الفاسقون) فإن جمعوا مع التولى تكذيبه فان جمعوا مع التكذيب الاستهزاء فإن جمعوا مع ذلك عداوته الشديدة فإن أضافوا إلى ذلك تكفير من صدق كتابهم ونبيهم واستحلال دمه وماله فإن أضافوا إلى ذلك كله اتباع دين المشركين أعداء نبيهم ونصره بما قدروا عليه وبذل النفوس والأموال فى نصرته وعداوة دين نبيهم وإزالته من الأرض حتى لايذكر الله فيها فالله المستعان ، و(الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ومن قوله (ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) إلى قوله (وما الله يريد ظلما للعالمين) الأولى سبب النزول يدل على شدة الحاجة لها فإذا احتاجوا فكيف بغيرهم . الثانية الخوف على مثلهم الردة بذلك فكيف بمن دونهم . الثالثة أن فى من أوتى الكتاب من يدعو إلى الردة مثلما أن فيهم من يدعو إلى الله . الرابعة التصريح بأن ذلك بعد الإيمان . الخامسة لطف الله تعالى بعبيده بدعوتهم بهذا الوصف . السادسة استبعاد الكفر ممن تتلى عليه آيات الله وفيهم رسوله ، فإذا مضت الثانية فالأولى باقية . السابعة أن آيات الله لانظير لها فى دفع الشر فى سائر الكلام كما أن رسوله لانظير له فى سائر الأشخاص فى دفع ذلك . الثامنة الرد على أعداء الله الذين يزعمون أن القرآن لايفهم معناه. التاسعة أن الاعتصام بحبل الله جامع . العاشرة أن الطرق فيها المعوج وفيها المستقيم . الحادية عشرة ذكر حق تقاته . الثانية عشرة لطافة الخطاب . الثالثة عشرة لزوم الإسلام إلى الممات . الرابعة عشرة فيه التنبيه على قوله «لاترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» لأن ذلك سبب النزول . الخامسة عشرة كون الإسلام طاعة الرسول ومعصية أولئك . السادسة عشرة خوفك الردة وإن كنت من الصالحين . السابعة عشرة ذكر الاعتصام بحبل الله وهو القرآن ففيه دليل على أنه عصمة. الثامنة عشرة الأمر بالاجتماع على ذلك. التاسعة عشرة تأكيده ماتقدم بالنهى عن الافتراق . العشرون تذكيرهم بالنعمة العظمى وهى إنقاذهم من النار بعد أن كانوا على شفا جرف منها . الحادية والعشرون ذكره هذا

البيان الواضح فى آياته . الثانية والعشرون أن الفائدة فى تعليمهم العلم تذكر المتعلم واهتداؤه . الثالثة والعشرون ذكر الأمر بطائفة متجرة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . الرابعة والعشرون تخصيصها بالفلاح . الخامسة والعشرون نهيه عن مشابهة الذين تفرقوا واختلفوا من بعد مجىء الآيات . السادسة والعشرون فيه دليل على أن الله ذكر فى دواء هذا الداء مافيه الشفاء . السابعة والعشرون وعيد من ارتكب هذا المنهى عنه بالعذاب الأليم . الثامنة والعشرون بياض الوجوه وسوادها التاسعة والعشرون أن الذين اسودت وجوههم الذين كفروا بعد إيمانهم، ففيه أن الواقعة كفر بعد الإيمان أوتجرد إليه . الثلاثون الوعد الجزيل لمن سلم من ذلك . الحادية والثلاثون أن هذه النصائح والمواعظ هى آيات الله . الثانية والثلاثون أنه سبحانه يتلوها على رسوله لأجلنا . الثالثة والثلاثون تذكيرنا بأن تلك التلاوة بالحق . الرابعة والثلاثون الاعتقاد بأنه لايريد ظلم أحد من العالمين . الخامسة والثلاثون تذكيرنا بأن له مافى السموات ومافى الأرض. السادسة والثلاثون تذكيرنا بالرجوع إليه. وأما قوله تعالى (قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون) .

وفيها من المسائل : الأولى أمره سبحانه وتعالى بمحاجتهم بهذه الحجة الواضحة للجاهل والبليد لكن بشرط التفكير والتأمل ، فيا سبحان الله ما أقطعها من حجة وكيف يخالف من أقربها . الثانية إذا تحققت معنى هذا الكلام مع ذكر الله تعالى له فى مواضع من كتابه عرفت الشرك الأكبر وعبادة الأوثان وقول بعض أئمة المشركين إن الذى يفعل فى زماننا شرك أصغر فى غاية الفساد ، فلو نقدر أن فى هذا أصغر وأكبر لكان فعل أهل مكة مع العزى وفعل أهل الطائف مع اللات وفعل أهل المدينة مع مناة هو الأصغر وفعل هذا هو الأكبر ولا يستريب فى هذا عاقل إلا إن طبع على قلبه. الثالثة أن إجابة دعاء مثل هؤلاء وكشف الضر عنهم لايدل على محبته لهم ولا أن ذلك كرامة وأنت تفهم لو يجرى شئ من هذا فى زماننا على يدى بعض الناس مايظن فيه أهل العلم مع قراءتهم هذا ليلا ونهارا . الرابعة معرفة العلم النافع والعلم الذى لاينفع ، فمع معرفتهم أن ما يكشفه إلا الله ومع معرفتهم بعجز معبوداتهم ونسيانهم إياها ذلك الوقت يعادون الله هذه المعاداة ويوالون آلهتهم تلك الموالاة قال تعالى (أفبالباطل

يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون) وأما قوله تعالى (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) إلى قوله تعالى (والحمد لله رب العالمين) ففيها مسائل : الأولى ذكر سنته سبحانه فى خلقه . الثانية أن ذلك تسليطه البأساء وهو القحط والمجاعة والضراء هو الأمراض . الثالثة أنه سبحانه أخبر بمراده أنه سلط ذلك عليهم ليتوبوا فيحصلوا سعادة الدنيا والآخرة ، وليس مراده تعذيبهم على عظم جهالتهم وعتوهم كيف لم يتضرعوا لما جاءهم ذلك ليعرفك أن هذا من أعظم الجهالة والعتو . الرابعة ذكر السبب الذى منعهم من ذلك مع اقتضاء العقل والطبع له وهو قسوة القلب وكون عدوهم زين لهم ما أغضب الله عليهم فلم يعرفوا قبحها بل استحسنوها. الخامسة أنهم لما فعلوا هذه الفعلة العظيمة فتحت عليهم أبواب كل شىء، فيالها من مسألة . السادسة أنهم استبشروا بسبب عذابهم كما استبشر قوم لوط بسبب أضيافه . السابعة أنه لم يأخذهم حتى وقع الفرح . الثامنة أن ذلك الأخذ بغتة . التاسعة أنه بعد ذلك النعمة . العاشرة أنه سبحانه المحمود على إنعامه لأوليائه ونصرهم . وأما قوله تعالى (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) إلى قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) ففيها مسائل : الأولى أمر الله سبحانه رسوله أن يخبرهم بأنه برىء من ادعاء خزائن الله . الثانية إخبارهم بالبراءة من ادعاء علم الغيب . الثالثة إخبارهم بالبراءة من دعوى أنه ملك وأنت ترى من ينتسب إلى العلم كيف اعتقاده فى هذه المسائل بالمعاكسة. الرابعة الاقتصار على مايوحى إليه واليوم عند الناس هو هو. الخامسة أن الذى يقتصر على الوحى هو البصير وضده الأعمى ومن يدعى العلم بالعكس فى هذه والتى قبلها ولست أعنى العمل بل عقيدة القلب . السادسة حثه سبحانه على التفكر الذى هو باب العلم كما حث عليه سبحانه فى غير موضع. السابعة الإنذار الخاص لهذه الطائفة المنعوتة بهذين الوصفين . الثامنة أن من فقدهما لم تنفعه النذارة . التاسعة فائدة الإنذار وثمرته واحتياج هذه الطائفة لها . العاشرة النهى عن طرد المتصفين بما ذكر . الحادية عشرة عظمة شأن صلاة العصر والصبح . الثانية عشرة عظمة الإخلاص. الثالثة عشرة كون الأمر اليسير كبيراً مع الإخلاص . الرابعة عشرة ذكر القاعدة الكلية المأخوذة منها هذه الجزئية وهى (أن لا تزر وازرة وزر أخرى). الخامسة عشرة أن طردهم يخاف أن يوصل الرجل الصالح إلى درجة الظالمين، ففيه التحذير من إيذاء الصالحين . السادسة عشرة أن حسن النية فى ذلك ليس عذرا . السابعة عشرة أن

منعهم من الجلوس مع العظماء فى مجلس العلم هو الطرد المذكور . الثامنة عشرة ذكر فتنته سبحانه بعض خلقه ببعض . التاسعة عشرة ذكر بعض الحكمة فى ذلك . العشرون أن من ذلك رفعة من لايظن الناس فيه ذلك . الحادية والعشرون أن الدين إن صح فهو المنة العظيمة التى لاتساويها منن الدنيا . الثانية والعشرون أن من الفتنة حرمانه سبحانه من لايظن الناس أنه يحرمها . الثالثة والعشرون المسألة العظيمة الكبيرة وهى الاستدلال بصفات الله على ما أشكل عليك من القدرة لأنه سبحانه رد عليهم ما وقع فى أنفسهم من استبعاد كون الله حرمهم وخص هؤلاء بالكرامة . الرابعة والعشرون جلالة هذه المسألة وهى مسألة علم الله لأنه سبحانه رد بها على الملائكة لما قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الآية كما ترى . الخامسة والعشرون أنه متقرر عند الكفار عبدة الأوثان منكرى البعث أن الله سبحانه حكيم يضع الأشياء فى مواضعها، والأشعرية يزعمون أنه لايفعل شيئا لشئ والله أعلم. وأما قوله تعالى (قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) إلى قوله (وهو الحكيم الخبير) ففيه أربعة عشر جوابا لمن أشار عليك بموافقة السواد الأعظم على الباطل لأجل مافيه من مصالح الدنيا والهرب من مضارها ، ولكن ينبغى أن تعرف أولا أن الكلام مأمور به مؤمن نفيه ؛ فالأول أن تجيبه بقوله (قل أندعو من دون الله مالاينفعنا ولا يضرنا) وهذا تصوره كاف فى فساده . الثانى (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) وهذا أيضا كذلك . الثالث هذا المثل الذى هو أبلغ مايرغبك فى الثبات ويبغض إليك موافقته . الرابع قولك إذا زعم أن الهدى فى موافقة فلان وفلان بدليل الأكثر فتجيبه (إن هدى الله هو الهدى) . الخامس أن تجيبه بقوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) فإذا أمرتنى بالإسلام لفلان وفلان فالله أمرنى بما لاأحسن منه . السادسة أن تقول وأمرنا بإقامة الصلوات وهذه خصلة مسلمة لاجدال فيها ولايقيمها إلا الذى أمرتنى بتركه والذين أمرتنى بموافقتهم لايقيمونها . السابع أنا مأمورون بتقوى الله وأنت تأمرنى بتقوى الناس . الثامن أن هذا الذى أمرتنى بتركه أمره (هو الذى إليه تحشرون) كما قال السحرة لفرعون لما دعاهم إلى ذلك (إنا إلى ربنا منقلبون) . التاسع أنه (هو الذى خلق السموات والأرض بالحق) وهذا مقتضى ما نهيتنى عنه والذى تأمرنى به يقتضى أنه خلقها باطلا . العاشر أن هذا الذى تأمرنى بترك أمره حشر هذا الخلق العظيم

مادونه إلا قوله (كن فيكون) . الحادى عشر أن هذا الذى أمرتنى بترك أمره قوله الحق وقد قال ما لا يخفى عليك ووعد عليه بالخلود فى النعيم ونهى عما أمرتنى به وتوعد عليه بالخلود فى الجحيم وهو لايقول إلا الحق فكيف مع هذا أطيعك . الثانى عشر أن له الملك يوم ينفخ فى الصور ، فإذا أقررت بذلك اليوم وأن عذابه ونعيمه دائمان فما ترجو فى الشفاعات كلها باطل ذلك اليوم ، وقد بين تعالى معنى ملكه لذلك اليوم فى آخر الانفطار . الثالث عشر أنه عالم الغيب والشهادة فلا يمكن التلبيس عليه بخلاف المخلوق ولو أنه نبى . الرابع عشر أنه هو الحكيم الخبير فلا يجعل من اتبع أمره ولو خالف الناس كمن ضيع أمره موافقة للناس حاشاه من ذلك ولهذا يقول الموحدون يوم القيامة إذا قيل لهم قد ذهب الناس فارقناهم فى الدنيا أحوج ما كنا إليهم إلى آخره والله أعلم. ومن قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر) إلى قوله (إن هو إلا ذكر للعالمين) : الأولى قوله (أتتخذ أصناما آلهة) السؤال عن معنى الآلهة فإنها جمع إله وهو أعلى الغايات عند المسلم والكافر فكيف يتخذ جمادا وهذا أعجب وأبعد عن العقل من جعل الحمار قاضيا لأن الحيوان أكمل من الجماد فإذا كان هذا من خشب أو حجر لم يعص الله فكيف بمن اتخذ فاسقا إلهاً مثل نمرود وفرعون فإن كان اتخذه بعد موته فأعجب وأعجب . الثانية القدح فى حجتهم لأن السواد الأعظم ليس لهم حجة إلا هى فيدل على الرسوخ فى مخالفتهم بالأدلة اليقينية لقوله (إنى أراك وقومك فى ضلال مبين) . الثالثة قوله تعالى (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) فإن ذلك من أعظم الأدلة على المسألة ببديهة العقل لأن من رأى نخلا كثيرا لا يتخالجه شك أن المدبر له ليس نخلة واحـــدة منه فكيف بملكوت السموات والأرض . الرابعة أن هذا النفى إنما نفى لأجل الإثبات . الخامسة (وليكون من الموقنين) فلم يكمل غيره حتى كمل. السادسة عظم مرتبة اليقين عند الله لجعله التعليم علة لإيصاله إليه . السابعة براءته من شركهم نفى أولا كونها لاتستحق ، وثانيا عن نفسه الالتفات إليها . الثامنة نفى النقائص عن ربه . التاسعة ذكر توجهه الذى هو العمل . العاشرة ذكر الدليل الذى دله على النفى والاثبات . الحادية عشرة تحقيقه ذلك بكونه حنيفا وهذه المسألة التى قال الله فى ضدها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) الثانية عشرة تصريحه لهم بما ذكر ولم يدار مع كثرتهم ووحدته . الثالثة عشرة

تصريحه بالبراءة منهم بقوله (وما أنا من المشركين) . الرابعة عشرة قوله (وحاجه قومه) ولم يذكر حجتهم لأن كلامه كاف عن كل مايقولون. الخامسة عشرة أنهم لما خصموا رجعوا إلى التخويف كفعل أمثالهم فذكر أنه لايخاف إلا الله لتفرده بالضر والنفع بخلاف آلهتهم فذكر النفي والإثبات . السادسة عشرة سعة العلم وما قبله سعة القدرة وهما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنا لهما . السابعة عشرة من ادعى معرفتهما وأشكل عليه التوحيد فعجب ولذلك قال (أفلا تتفكرون) . الثامنة عشرة قوله (وكيف أخاف ما أشركتم) الخ، يدل على أنها حجة عقلية تعرفها عقولهم . التاسعة عشرة قوله (إن كنتم تعلمون) يدل على أن من أشكلت عليه هذه الحجة فليس له علم . العشرون البشارة العظيمة والخوف الكثير فى فصل الله هذه الخصومة إذا عرف ماجرى للصحابة وما فسرها لهم به النبي صلى الله عليه وسلم . الحادية والعشرون تعظيمه سبحانه هذه الحجة بإضافتها إلى نفسه وأنه الذى أعطاها إبراهيم عليه السلام ردّا عليهم . الثانية والعشرون أن العلم بدلائل التوحيد وبطلان الشبه فيه يرفع الله به المؤمن درجات . الثالثة والعشرون معرفة أن الرب تبارك وتعالى حكيم يضع الأشياء فى مواضعها . الرابعة والعشرون كونه عليما بمن هو أهل لها كما قال تعالى (وكانوا أحق بها وأهلها) . الخامسة والعشرون ذكر نعمته على إبراهيم بالذرية التى أنعم عليهم بالهداية . السادسة والعشرون أن العلم والهداية أفضل النعم لقوله (ونوحا هدينا من قبل) السابعة والعشرون هدايتهم وأصولهم وفروعهم ومن فى درجتهم . الثامنة والعشرون ذكره الذين هداهم الله وهو الصراط المستقيم وهو المقصود من القصة . التاسعة والعشرون التنبيه على استقامته . الثلاثون القاعدة الكلية أن هـذا الطريق هو هدى الله ليس للجنة طريق إلا هو . الحادية والثلاثون التنبيه على أن الهداية إليـه بمشيئته ليظهر العجب وشكر النعمة . الثانية والثلاثون العظيمة التى لم يعرفها أكثر من يدعى الدين وهو تكفير من أشرك وحبوط عمله ولو كان من أزهد الناس وأعبدهم . الثالثة والثلاثون أنه أعطاهم ثلاثة أشياء: الكتاب والحكم والنبوة فلا يرغب عن طريقهم إلا من سفه نفسه . الرابعة والثلاثون مافى قوله (فإن يكفر بها هؤلاء) إلى آخره من التحريض على الحرص على طلب العلم من طريقهم وما فيه من التنفير من الجهل وتقبيحه . الخامسة والثلاثون قوله (فبهداهم اقتده) أن دينهم واحد وأن

شرعهم شرع لنا . السادسة والثلاثون النهى عن البدع فإن فى التحريض عليه نهيا عن ضده . السابعة والثلاثون كون النذير البشير مع مقاساة الشدائد فى ذلك لم يطلب منا أجراً عليه . الثامنة والثلاثون كونه ذكرى، ففيه الرد على من يقرأ بلا تدبر . التاسعة والثلاثون قوله (للعالمين) فيه تكذيب من قال لايعرفه إلا المجتهد . الأربعون الحصر فيما ذكر والله سبحانه أعلم. ومن كلامه رحمه الله على آيات من سورة الأعراف الآية الأولى وصفه بأنه كتاب. الثانية كونه منزلا إليه. الثالثة النهى عن الحرج . الرابعة التفريع . الخامسة ذكر الحكمة فى ذلك وهى الإنذار العام والذكرى الخاصة . الآية الثانية فيها الأمر باتباعه . الثانية التحريض على ذلك بأنه منزل إلينا من ربنا. الثالثة النهى عن اتباع ماسواه. الرابعة أنه لابد من هذا وهذا . الخامسة ذكر أن التذكر منا قليل. الآية الثالثة ذكر عقوبات من لم يفعل. الثانية أن ذلك كثير. الثالثة أن البأس جاءهم وقت الغفلة. الرابعة ذكر إقرارهم بالظلم عند نزوله. الخامسة أن ذلك الإقرار ليس لهم دعوى غيره . الآية الرابعة لما ذكر عقوبات الدنيا توعد بالحساب. الثانية أن الحساب على الرسالة. الثالثة أنه عام حتى المرسلين. الرابعة أنه يقص عليهم مافعلوا. الخامسة بسبب أنه شهيد على الجزئيات . الآية الخامسة ذكر الوعيد بالميزان . الثانية أنه الحق لقطع الأطماع . الثالثة أن الفلاح بسبب ثقله. الرابعة أن الخسارة بسبب خفته . الخامسة ذكر سبب الخفة . الآية السادسة ذكر نعمته بالتمكين فى الأرض. الثانية ذكر نعمته بما فيها من المعايش. الثالثة ذكر قلة شكرهم ؛ وأما قوله عز وجل (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) إلى آخر القصة قال ابن القيم : قال ابن عباس خلقناكم يعنى آدم وصورناكم ، ومثال هذا ماقال مجاهد خلقناكم يعنى آدم وصورناكم فى ظهر آدم . وفى الحديث المعروف أنه أخرجهم من ظهر آدم فى صورة الذر، ونظيره (فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة) والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد أباؤهم كقوله (وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وغير ذلك من الآيات. وقد يستطرد سبحانه من الشخص إلى النوع كقوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) إلى آخره . فالمخلوق من سلالة آدم ومن نطفة ذريته، وقيل إن صورناكم لآدم أيضاً لقوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) فأضاف النفخ إلى نفسه، وفى الصحيح فى حديث الشفاعة

«فيقولون أنت آدم خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجدلك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء» فذكروا له أربع خصائص. فالمنفوخ منه الروح المضافة إلى الله إضافة تخصيص وتشريف والله هو الذى نفخ فى طينته عن تلك الروح ، هذا الذى دل عليه النص . وأما كون النفخة مباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده أو أنها بأمره كقوله (فنفخنا فيه من روحنا) مع قوله (فأرسلنا إليها روحنا) إلى آخره فهذا يحتاج إلى دليل فإنه أضاف النفخ فى مريم لكونه بأمره ، وإلى الملك لكونه المباشر للنفخ .
وفى القصة فوائد عظيمة . وعبر لمن اعتبر : منها أنه خلق آدم من تراب من أبين الأدلة على المعاد كما استدل عليه سبحانه فى غير موضع وعلى قدرته سبحانه وعظمته ورحمته وهيبته وإنعامه وكرمه وغير ذلك من صفاته . ومنها أنها من أدلة الرسل عامة ، ومن أدلة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة ، ومنها الدلالة على الملائكة وعلى بعض صفاتهم ، ومنها الدلالة على القدر خيره وشره فقد اشتملت على أصول الإيمان الست فى حديث جبريل ، ومنها وهو أعظمها أنها تفيد الخوف العظيم الدائم فى القلب وأن المؤمن لا يأمن حتى تأتيه الملائكة عند الموت تبشره وذلك من قصة إبليس وما كان فيه أولا من العبادة والطاعة ، ففى ذلك شىء من تأويل قوله صلى الله عليه وسلم «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع » إلى آخره ، ومنها ألا يأمن عاقبة العذاب ولو كان قبله طاعات كثيرة وهو ذنب واحد فكيف إذا كانت الذنوب بعدد رمل عالج ، ومن هذا قول بعض السلف : نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا فقال اذهبوا فلا أقبل منكم عملا أو كلاما هذا معناه ، وأبلغ منه قوله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أن تبلغ مابلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه » . قال علقمة كم من كلام منعنيه حديث بلال يعنى هذا ، ومنها أنها تخلع من القلب داء العجب الذى هو أشد من كثير من الكبائر ، ومنها وهى من أعظمها أنها تعرّف المؤمن شيئاً من كبرياء الله وعظمته وجبروته ، ولا يدلى عليه ولو بلغ فى الطاعة مابلغ ، وقد وقع فى هذه الورطة كثير من العباد فمستقلّ ومستكثر ، ومنها التحذير من معارضة القدر بالرأى لقوله (أرأيتك هذا الذى كرمت علىّ) وهذه بلية عظيمة لايتخلص منها إلا من عصمه الله لكن مكثر ومقلل ، ومنها وهو من أعظمها تأدب المؤمن من معارضة أمر الله ورسوله بالرأى

كما استدل بها السلف على هذا الأمر ولا يتخلص من هذا إلا من سبقت له من الله الحسنى، ومنها عدم الاحتجاج بالقدر عند المعصية لقوله (رب بما أغويتنى) بل يقول كقول أبيه (ربنا ظلمنا أنفسنا) الآية، ومنها معرفة قدر المتكبر عند الله خصوصاً مع قوله (اخرج منها فما يكون لك أن تتكبر فيها) ومنها الفخر بالأصل وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم التشديد فى ذلك، والفخر منهى عنه مطلقاً ولو كان بحق فكيف إذا كان بباطل، ومنها الشهادة لما كان عليه السلف أن البدعة أكبر من الكبائر لأن معصية اللعين كانت بسبب الشبهة ومعصية آدم بسبب الشهوة. ومنها عدم الاغترار بالعلم فإن اللعين كان من أعلم الخلق فكان من أمره ما كان، ومنها عدم الاغترار بالرتبة والمنزلة فإنه كان له منزلة رفيعة وكذلك بلعام وغيره ممن له علم، ومنها معرفة العداوة التى بين آدم وذريته وبين إبليس وذريته وأن هذا سببها لما طرد عدو الله ولكن بسبب آدم لما لم يخضع له؛ وهذه المعرفة مما يغرس فى القلب محبة الرب جل جلاله ويدعوه إلى طاعته وإلى شدة مخالفة الشيطان لأنه سبحانه ماطرد إبليس ولعنه وجعله بهذه المنزلة الوضيعة بعد تلك المنزلة الرفيعة إلا لأنه لم يخضع لنا فليس من الإنصاف والعدل موالاته وعصيان المنعم جل جلاله كما ذكر هذه الفائدة بقوله (أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا)، ومنها معرفة شدة عداوة عدو الله لنا وحرصه على إغوائنا بكل طريق فيعد المؤمن لهذا الحرب عدته ولا يعلم قوة عدوه وضعفه عن محاربته إلا بمعونة الله كما قال قتادة: إن عدوا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم إنه لشديد المؤنة إلا من عصم الله، وقد ذكر الله عداوته فى القرآن فى غير موضع وأمرنا باتخاذه عدوا، ومنها وهو من أعظمها معرفة الطرق التى يأتينا منها عدو الله كما ذكر الله تعالى عنه فى القصة أنه قال: (لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم). وإنما يعرف عظمة هذه الفائدة بمعرفة شىء من معانى هذا الكلام. قال جمهور المفسرين انتصب صراط بحذف على، التقدير لأقعدن لهم على صراطك. قال ابن القيم والظاهر أن الفعل مضمر فإن القاعد على الشىء ملازم له فكأنه قال لألزمنه ولأوصدنه ونحو ذلك. قال ابن عباس دينك الواضح ومن بين أيديهم يعنى الدنيا أو الآخرة ومن خلفهم يعنى الآخرة أو الدنيا. وعن أيمانهم، قال ابن عباس أشبه عليهم أمر دينهم.

وعنه أيضاً من قبل الحسنات وقوله وعن شمائلهم الباطل أرغبهم فيه . قال الحسن السيئات يحثهم عليها ويزينها فى أعينهم. قال قتادة أتاك الشيطان يابن آدم من كل وجه إلا أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وهذا يوافق قول من قال ذكر هذه الأوجه المبالغة فى التوكيد أى أتصرف لهم فى الإضلال من جميع جهاتهم ولا يناقض ماذكر السلف فإن ذلك على جهة التمثيل ، فالسبل التى للإنسان أربعة فقط فإنه تارة يأخذ على جهة شماله وتارة على يمينه وتارة أمامه وتارة يرجع خلفه؛ فأى سبيل من هذه سلكها وجد الشيطان عليها راصدا له فإن سلكها فى طاعة ثبطه وإن سلكها بالمعصية حداه ، وأنا أمثل لك مثالا واحداً لما ذكر السلف وهو أن العدو الذى من بنى آدم إذا أراد أن يمكر بك لم يستطع أن يمكر إلا فى بعض الأشياء وهى الأشياء الغامضة والأشياء التى ليست بعالية، فلو أراد أن يمكر بك فى أمر واضح بين مثل التردى من جبل أو بئر وأنت ترى ذلك لم يستطع خصوصا إذا عرفت أنه قد مكر بك مرات متعددة ولو أراد ليمكر بك لتتزوج عجوزا شوهاء وأنت تراها لم يستطع ذلك ، وأنت ترى اللعين أعاذنا الله منه يأتى الآدمى فى أشياء واضحة بينة أنها من محارم الله فيحمله عليها حتى يفعلها ويزينها فى عينه حتى يفرح بها ويزعم أن فيها مصلحة ويذم من خالفه كما قال تعالى (لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا) الآية ، وقوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) وقوله (ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق) وهذا معنى قول من قال بين أيديهم من قبل الدنيا فإنهم يعرفونها وعيوبها ويجمعون على ذمها ثم مع هذا لأجلها قطعوا أرحامهم وسفكوا دماءهم وفعلوا مافعلوا وهذا معنى قول مجاهد من بين أيديهم من حيث يبصرون فهو لم يقنع بإتيانه من الجهة التى يجهلون أنها معصية مثل مافسر به مجاهد خلفهم . قال من حيث لايبصرون ولا من جهة الغيب كما قال فيها بعضهم إلى آخره أشكلهم فيها لم يقنع بذلك عدو الله حتى أتاهم فى الأمور التى يعرفونها عياناً أنها النافعة وضدها الضار وفى الأمور التى يعرفون أنها سيئات وضدها حسنات ومع هذا فأطاعوه فى ذلك إلا من شاء الله كما قال تعالى (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) وقال تعالى حكاية عنه (وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) الآية . قال الضحاك

مفروضا معلوما وحقيقة الفرض التقدير. والمعنى أن من اتبعه فهو من نصيبه المفروض؛ فالناس قسمان نصيب الشيطان ومفروضه وحزب الله وأولياؤه ، وقوله (ولأضلنهم) يعنى عن الحق (ولأمنينهم) قال ابن عباس تسويف التوبة وتأخيرها . وقال الزجاج أجمع لهم مع الإضلال أن أوهمهم أنهم ينالون مع ذلك حظهم من الآخرة وقوله (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) البتك القطع وهو ها هنا قطع آذان البحيرة وقوله (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) قال ابن عباس دين الله. وقال ابن المسيب والحسن وإبراهيم وغيرهم معنى ذلك أن الله فطر عباده على الفطرة وهى الإسلام كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها) الآية، وفى الصحيح « مامن مولود يولد إلا على الفطرة وأبواه يهودانه » الحديث، فجمع صلى الله عليه وسلم بين الأمرين تفسير الفطرة بالتهويد وغيره وتغيير الخلقة بالجدع وهما اللذان أخبر إبليس أنه لابد أن يغيرهما ثم قال تعالى (يعدهم ويمنيهم) فوعده مايصل إلى قلب الإنسان نحو سيطول عمرك وتنال من الدنيا وتعلو والدنيا دول ستكون لك ويطوّل أمله ويعده الحسنى على شركه ومعاصيه ويمنيه الأمانى الكاذبة على اختلاف وجوهها ، فالوعد فى الخير والتمنى فى الطلب والإرادة ، ومنها أن معرفة هذه القصة تزرع فى قلب المؤمن حب الله تعالى الذى هو أعظم النعم على الإطلاق . وذلك من صنعه بالإنسان وتشريفه وتفضيله على الملائكة وفعله بإبليس مافعل لما أبى أن يسجد له وخلقه إياه بيده ونفخه فيه من روحه وإسكانه جنته ، وقد خاطب الله سبحانه بنى إسرائيل الموجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل مع آبائهم وذكرهم بذلك واستدعاهم به وذكر أنه فعل بهم كقوله (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) وغير ذلك ، وذكر النعم هى أصل الشكر الذى هو الدين لأن شكرها مبنى على معرفتها وذكرها ، فمعرفة النعم من الشكر وهى أم الشكر كما فى الحديث « من أسدى إليه معروف فذكره فقد شكره فان كتم فقد كفره » هذا فى الأشياء التى تصدر من بنى آدم فكيف بنعم المنعم على الحقيقة والكمال؟ واجتمع الصحابة يوما فى دار يتذاكرون ما منّ الله عليهم به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم . وجلس الفضيل وابن أبى ليلى يتذاكرون ، ومنها أن التأويل الفاسد فى رد النصوص ليس عذرا لصاحبه كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس فى شبهته التى ألقاها كما لم يعذر من خالف النصوص متأولا مخطئا بل

كان ذلك التأويل زيادة فى كفره ، ومنها أن مثل هذا التأويل ليس على أهل الحق أن يناظروا صاحبه ويبينوا له الحق كما يفعلون مع المخطىء المتأول بل يبادر إلى عقوبته بالعقوبة التى يستحقها بقدر ذنبه والإعراض عنه إن لم يقدر عليه كما كان السلف الصالح يفعلون هذا وهذا فإنه سبحانه لما أبدى له إبليس شبهته فعل به ما فعل ولما عتب على الملائكة فى قيلهم أبدى لهم شيئا من حكمته وتابوا وقد وقعت هذه الثلاث لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزانه التى فتح الله فيها مكة فإنه لما أعطى المؤلفة قلوبهم ووجدت عليه الأنصار عاتبهم واعتذروا وقبل عذرهم وبين لهم شيئا من الحكمة ، ولما قال له الرجل العابد اعدل قال له كلاما غليظا واستأذنه بعض الصحابة فى قتله ولم ينكر عليه لكن ترك قتله لعذر ذكره، ولما فعل خالد بن الوليد ببنى جذيمة ما فعل رد عليهم ما أخذ منهم ووداهم ولا نعلم أنه عاتب خالدا ولا منعه ذلك من تأميره على الناس ، ومنها أن الشبهة إذا كانت واضحة البطلان لا عذر لصاحبها فإن الخوض معه فى إبطالها تضييع للزمان وإتعاب للحيوان مع أن ذلك لا يردعه عن بدعته. وكان السلف لا يخوضون مع أهل الباطل فى رد باطلهم كما عليه المتأخرون بل يعاقبونهم إن قدروا وإلا أعرضوا عنهم . وقال أحمد لمن أراد أن يرد عليهم اتق الله ولا تنصب نفسك لهذا فإن جاءك مسترشد فأرشده ، وهو سبحانه لما قال اللعين (أنا خير منه- قال اخرج منها فإنك رجيم) ولما قالت الملائكة ما قالت (قال إنى أعلم ما لا تعلمون) ثم بين لهم ما بين حتى أذعنوا، ومنها معرفة قدر الإخلاص عند الله وحماية الله أهله لقول اللعين (إلا عبادك منهم المخلصين) فعرف عدو الله أنه لا سبيل له على أهل الإخلاص ، ومنها أن كشف العورة مستقر قبحه فى الفطر و العقول لقوله (فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما) وقد سماه الله فاحشة، ومنها أنه لا ينبغى للمؤمن أن يغتر بالفجرة بل يكن على حذر منهم ولو قالوا ما قالوا خصوصا أولياء الشيطان الذين تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته فإن اللعين حلف (إنى لكما لمن الناصحين) ، ومنها أن زخرفة القول قد تخرج الباطل فى صورة الحق كما فى الحديث « إن من البيان لسحرا » فان اللعين زخرف قوله بأنواع : منها تسمية الشجرة شجرة الخلد، ومنها تأكيد قوله (إنى لكما لمن الناصحين) وغير ذلك مما ذكر فى القصة؛ فينبغى للمؤمن أن يكون من زخرف القول على حذر ولا يقنع بظاهره حتى يعجم العود ، ومنها أن

فى القصة شاهدا لما ذكر فى الحديث « إن من العلم جهلا » أى من بعض العلم ماالعلم به جهلا والجهل به هو العلم ، فان اللعين من أعلم الخلق بالحيل التى لايعرفها آدم من أن الله علمه الأسماء كلها فكان ذلك العلم من إبليس هو الجهل ، وفى الحديث « إن الفاجر خب لئيم ، وإن المؤمن غرّ كريم » وأبلغ من ذلك وأعم منه قول الملائكة (أتجعل فيها من يفسد فيها؟) فقيل لهم ماقيل وعوتبوا فكانت توبتهم أن قالوا (سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا) فكان كمالهم ورجوعهم عن العتب وكمال علمهم أن أقروا على أنفسهم بالجهل إلا ماعلمهم سبحانه ، ففى هذه القصة شاهد للقاعدة الكبرى فى الشريعة المنبه عليها فى مواضع : منها قوله صلى الله عليه وسلم « وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلاتبحثوا عنها » ومنها أنه لاينبغى أن يغتر بخوارق العادة إذا لم يكن مع صاحبها استقامة على أمر الله فان اللعين أنظره الله تعالى ولم يكن ذلك إلا إهانة له وشقاء له ، وحكمة بالغة يعلمها العليم الخبير؛ فينبغى للمؤمن أن يميز بين الكرامات وغيرها ويعلم أن الكرامة هى لزوم الاستقامة . ومنها أن الأمور التى يحرص عليها أهل الدنيا قد تكون عقوبة ومحنة والجاهل يظنها نعمة مثل المال والجاه وطول العمر فان الله أعطى اللعين من النظرة ماأعطاه . ومنها أن يعلم المؤمن أن الذنوب كثيرة ولا نجاة له منها إلا بمعونة الله وعفوه ، وأن كثيرا منها قد لايعلمه من نفسه فإن أكثر الكبائر القلبية مثل الرياء والكبر والحسد وترك التوكل والإخلاص وغير ذلك قد يتلطخ بها الرجل وهو لايشعر ولعله يتورع عن بعض الصغائر الظاهرة وهو فى غفلة عن هذه العظائم ، ومنها أن يعرف قدر معصية الحسد وكيف آل باللعين حسده إلى أن فعل به مافعل ، ومنها وهو من أحسنها أن يعرف صحة ماذكر عن بعض السلف أن من لم يجاهد فى سبيل الله ابتلى بالجهاد فى سبيل الشيطان ، ومن بخل فى إنفاقه المال فى طاعة الله ابتلى بإنفاقه فى المعاصى وفيما لاينفعه ، ومن لم يمش فى طاعة الله خطوات مشى فى معصية الله أميالا وأشباه ذلك ، والدليل من القصة شىء أبلغ من هذا بكثير فان اللعين أبى أن يسجد لزعمه أن ذلك نقصا فى حقه ثم صار بعد ذلك يكدح جهده فى القيادة والدياثة وأنواع الرذائل ، ومنها أن فى القصة معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه » إلى آخره. ومن ذلك قوله حكاية عن إبليس (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) فإنهم ذكروا فى معناه

أنه أمرهم بتغيير خلق الله وهى فطرته التى فطر عباده عليها وهى الإسلام لله وحده لاشريك له . ومنها أن فيها معنى القاعدة الكبرى فى الشريعة المذكورة فى مواضع : منها قول النبى صلى الله عليه وسلم «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وهى من قوله (ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام) فإنهم ذكروا أن معناه قطع آذان البحيرة تقربا إلى الله على عادات الجاهلية، ومنها أن تفيد المعنى العظيم المذكور فى قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) ومافى معناه من النصوص وذلك مستفاد من منع اللعين فإنه مع علمه بجبروت الله وأليم عذابه وأنه لامحيص له عنه ويعرف من الأمور ما لا يعرفه كثير من أهل العلم ومع ذلك لم يتب ولم يرجع بل أصرّ وعاند وطلب النظرة لأجل المعصية مع علمه بعقابه وعدم مصلحة من فعله ، وهذا باب عظيم من معرفة الرب وقدرته وتقليبه القلوب كيف يشاء وتيسيره كل عبد لما خلق له فيفعله باختياره ، ومنها أن الله سبحانه قد يعاقب العبد إذا غضب عليه بعقوبات باطنة فى دينه وقلبه لايعرفها الناس مع إمداده إياه فى الدنيا كما قال تعالى (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) كما فعل إبليس ، ومنها أن فيها شهادة لما ذكر، عن بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ، ومنها أن تفيد القاعدة المعروفة أن الجزاء من جنس العمل وذلك أن قصده الترفع فقيل له (فاخرج إنك من الصاغرين) فقصد العز فأذله الله بأنواع الذل ، ومنها الشهادة لصحة الكلام المذكور عن بعض السلف فى قوله: والله إن معالجة النقىّ التقوى أهون من معالجة غير التقى الناس ، وقول من قال مصانعة : وجه واحد أهون من مصانعة ألف وجه .

وبيان ذلك أن اللعين لما تخيل أن عليه من أمر الله شيئا من النقص ، فلو قدم طاعة الله وآثرها على هواه وسجد لآدم فلو قدر أن ماتخيله صحيح وأن ذلك غضاضة لكان فى جنب ما آتاه من الشر والهوان والصغار جزاء يسيراً والله المستعان . فكيف ولو فعل ذلك لكان فيه شرفه وسعادته كما هو عادة الله فى خلقه أن من تواضع لله رفعه ، ومنها أن الفاجر قد يعطيه الله سبحانه كثيرا من القوى والادراكات فى العلوم والأعمال حتى فى صحة الفراسة كما ذكر عن اللعين حيث تفرس فيهم أن يغويهم إلا المخلصين فصدق الله فراسته فى قوله (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه

إلا فريقا من المؤمنين) فإن قيل فى الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ولا يناقض ما ذكرناه بل يدل على أن المؤمن أتم فى هـذه الخصلة من غيره وأصدق كما كان فى العلم والإيمان والأعمال والحلم والصبر وغير ذلك ولو كان للفجار شىء من هـذا ، ومنها الشهادة المعروفة للقاعدة المعروفة فى الشريعة أن كل عمل لايقصد به وجه الله فهو باطل لاستثنائه المخلصين . ومنها الشهادة للقاعدة الثانية ، وهى أن كل عمل على غير اتباع الرسول غير مقبول لقوله فى القصة (اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى) الآية ؛ فقسم الناس إلى قسمين إلى أهل الجنة . وهم الذين اتبعوا الهدى المنزل من الله ، وأهل الشقاق والضـلال وهم من أعرض عنه فانتظمت هذه القصة لهاتين الآيتين العظيمتين اللتين هما من أكبر قواعد الشريعة على الإطلاق . القاعدة الأولى فيها حديث عمر « إنما الأعمال بالنيات » والقاعدة الثانية فيهاحديث عائشة «من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهورد». الثامنة عشرة فيها تذكيره مايوارى السوءتين . الثانية تذكيره بإنزال الريش . الثالثة تذكيره بإنزال لباس التقوى . الرابعة إخباره بخير اللباسين . الخامسة ذكره أن ذلك من آياته . السادسة ذكره الحكمة فى ذلك . التاسعة عشرة إخباره وإنذاره عن فتنة الشيطان . الثانية تمثيله بما لايستطيع أحد دفعه . الثالثة ماجرى فى طاعته من التعب العاجل . الرابعة نزعه عنهما لباسهما . الخامسة مراده فى ذلك . السادسة تنبيه هـذا على المهم وهو كونهم يروننا ولا نراهم . السابعة القاعدة الكلية وهى من مسائل الصفات . العشرون فيها إنكاره عليهم هـذه الفاحشة . الثانية الرد على من أنكر التحسين والتقبيح العقلى . الثالثة إنكار حجتهم الأولى والثانية . الرابعة أمره بالقول الذى فيه تنزيه الله عن ذلك . الخامسة اشتمال هـذا الكلام على مالم يحص من المسائل . السادسة أن معرفة الله نفى ما لايجوز عليه . السابعة إنكاره القول عليهم بلا علم . الحادية والعشرون الأولى أمره أن تقول هذا الإثبات . الثانية الاستدلال بالصفات على الأفعال . الثالثة الاستدلال بالعموم . الرابعة ذكر أمره بالعدل . الخامسة إقامة الوجه عند كل مسجد . السادسة دعوته بالإخلاص . السابعة ذكر المعاد . الثامنة الاستدلال عليه بالمبدإ . التاسعة ذكر الإيمان بالقدر بذكر الهداية والإضلال . العاشرة الإشارة إلى الأمرين . الحادية عشرة ذكر الأمر العظيم وهى اتخاذهم الشياطين أولياء.

الثانية عشرة ذكر حسبانهم أنهم مهتدون . الثالثة عشرة أن ذلك ليس عذرا . الثانية والعشرون ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد . الثانية ذكر الأكل والشرب . الثالثة ذكر النهى عن السرف . الرابعة ذكره أنه لايحب المسرفين وقوله عز وجل (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالاتعلمون) إلى قوله (ويحسبون أنهم مهتدون) هذه الآية ذكرها الله سبحانه بعد ماردّ على الكفار عبادات يتقربون بها إليه ولم يشرعها : منها أنهم إذا حجوا طافوا بالبيت عراة يقولون الثياب التى عصينا الله فيها لا نطوف فيها فقال الله رداً عليهم (وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون) والفاحشة فى هذا الموضع إخراج العورة للعبادة مثل مايفعل كثير من الناس يكشف عورته للاستنجاء وغيره بنظره يريد بالاستنجاء فى هذه الحالة التقرب إلى الله فلما رد عليهم الباطل أخبرهم بالحق الذى شرعه فقال (قل أمر ربى بالقسط) وهو العدل (وأقيموا وجوهكم عند مسجد) وهو إقامة الصلاة بحقوقها (وادعوه مخلصين له الدين) يقول ادعوه بهذا الشرط لاتدعوا مع الله أحداً . يقول الأمور التى تعبدونى بها ماأمرتكم بها والأمور التى أمرتكم بها لاتفعلونها ، فالظلم والبغى ضد القسط وهو جاهكم وسمتكم الذى تبذلون فيه الأعمار والأموال وإقامة الوجه عند كل مسجد لاتفعلونها بل إن فعلتم صليتم صلاة لاتجزئ والإخلاص ليس عندكم ، ودينكم الذى ترجون عليه الثواب هو الشرك . إذا فهمت هذا فتأمل أحوال من تعرف ونزل هذه الآية على أحوالهم تر العجب ، ثم قال (كما بدأكم تعودون) أى لابد أن يخلقكم للبعث كما بدأ خلقكم من نطفة ثم قال (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) فهذا القدر (يهدى من يشاء ويضل من يشاء)فجمع فى هذه الآية الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالشرع والإيمان بالقدر وذكر فيها تفصيل الشرع الذى أمر به وذكر حال من عكس الأمر فجعل المنكر معروفا والمعروف منكراً ثم ختم الآية بهذه المسألة العظيمة، وهى(إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون) فلا أجهل ممن هرب من طاعة الله واختار طاعة الشيطان ، ومع هذا يحسب أنه مهتد مع هذا الضلال الذى لاضلال فوقه والله أعلم . الثانية والعشرون ذكر الأمر بأخذ الزينة عند كل مسجد . الثانية إضافتها إلى الله . الثالثة تنبيهه على العلة بقوله من الرزق . الرابعة أمره أن نقول هذا القول .

الخامسة ذكر تفصيل الآيات . السادسة ذكر أهل هذا التفصيل . الرابعة والعشرون أمر أن نقول هذا القول . الثانية حصر المحرمات فيما ذكر . الثالثة تحريم الفواحش. الرابعة تحريم الإثم والبغى بغير الحق . الخامسة تحريم الشرك . السادسة ذكر هـذا القيد العظيم. السابعة تحريم القول على الله بلا علم. قوله (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه) الآية . فيه مسائل : الأولى تفصيل شيء من قوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) . الثانية معنى قوله «وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» . الثالثة الملاطفة فى الدعوة إلى الله لقوله «ياقوم» أضافهم إلى نفسه. الرابعة التى أرسلت الرسل وخلقت الخلق لأجلها . الخامسة تفسير الإله . السادسة دعاؤهم بالرغبة . السابعة دعاؤهم بالتخويف . الثامنة جواب الملأ لهذا الكلام بهذه الجهالة . التاسعة كون أهل الباطل ينسبون أهل الحق إلى الجهالة بل إلى السفاهة بل إلى السحر بل إلى الجنون . العاشرة حسن جوابه لهم ومقابلته الإساءة بالتى هى أحسن . الحادية عشرة تعريفهم بأنهم إنما ردوا وعصوا رب العالمين . الثانية عشرة تعريفهم بما فيه من الخصال التى لاغناء لهم عنها . الثالثة عشرة تعريفهم أن تلك الخصال لاتقتضى الحسد بل تقتضى المحبة والانقياد . الرابعة عشرة لما عرفهم أن الرسالة التى أتتهم منه وعظهم بأنه رب العالمين . الخامسة عشرة تعريفهم أن هذا الذى استغربوا ونسبوا من قاله إلى الجهالة والجنون هو الواجب فى العقل وهو أيضاً حظهم ونصيبهم من الله . فى هذا الكلام من أوله إلى آخره من تحقيق الحق وذكر أدلته العقلية وإبطال الباطل وذكر الأدلة العقلية على بطلانه مالايخفى على من له بصيرة . السادسة عشرة ذكر أنهم كذبوه مع هذا البيان ففصل الله الخصومة بما ذكر أنه فعل الفريقين . السابعة عشرة ذكر أن ذلك بسبب التكذيب بآياته فدل على أنه أتاهم بآيات الله. الثامنة عشرة أن السبب فى ذلك التكذيب هو العمى والجهالة فهى وصفهم لاوصف خصومهم . وأما قصة عاد فنذكر مافيها من الفوائد خاصة. الأولى التبيين أن أعظم التقوى اتقاء الشرك . الثانية وصفه الملأ منهم بالكفر . الثالثة وصفهم نبيهم بالسفاهة التى هى أبلغ من الجهل . الرابعة وصفهم إياه بالكذب . الخامسة استعطافه إياهم بأمانته . السادسة وعظه إياهم بتلك الآية الواضحة العظيمة . السابعة فيه مايدل على أنهم يعلمون ذلك لقوله (واذكروا) . الثامنة وعظه إياهم بتذكيرهم نعمة الله باستخلافهم فى الأرض بعد قوم نوح.

التاسعة وعظه بزيادة النعمة على أهل زمانهم بزيادتهم فى الخلق بسطة. العاشرة ذكر أن ذلك لايدل على الكرامة بل قد يكون السبب للإهانة الحادية عشرة ذكر أن هذا الذى كرهوه هذه الكراهة هو سبب فلاحهم. الثانية عشرة ذكر ما أجابوه به عن هذا الكلام الذى هو فى غاية الحسن . الثالثة عشرة ذكره أن هذا الخلاف بينه وبينهم فى توحيد العبادة لافى أصل العبادة . الرابعة عشرة ذكر أن عمدتهم اتباع السوادالأعظم. الخامسة عشرة زيادة العقوبة لهم(فأتنا بماتعدنا). السادسة عشرة ذكر أن الصدق ممدوح عندهم وكذلك الكذب مذموم عندهم . السابعة عشرة ذكر المسألة المهمة وهى إنكاره عليهم الاعتماد على ذلك الدليل مع كونه لم ينزل فيه نص من الله . الثامنة عشرة كونه بين لهم كبر جهالتهم كيف تجاسروا على الجدال بذلك . التاسعة عشرة معرفة الأشياء التى لاحقيقة لها من الحقائق . العشرون كون الشىء معمولا به قرنا بعد قرن من غير نكير لايدل على صحته ، الحادية والعشرون أمره إياهم بانتظار الوعيد. وأماقصة ثمود فنذكر مافيها من الزوائد على القصتين أيضا : الأولى وعظه إياهم بالآية العظيمة . الثانية استعطافهم بذكر ربوبية من جاءت منه لهم . الثالثة ذكر إضافة الناقة إلى الله . الرابعة تفسير البينة لهذا . الخامسة تخصيص الله إياهم بناقته . السادسة العجب العجاب من كراهتهم الأمر المطلوب منهم وهو كف الأذى عن ناقة الله التى فيها من نعم الدين والدنيا لمن قبلها مالايظنه الظانون . السابعة أنه مع هذا توعدهم بالوعيد الشديد إن لم يكفوا عنه الأذى . الثامنة تذكيرهم بنعمة الله عليهم بالقصور فى السهل . التاسعة نعمة الله عليهم فى هذه القوة العظيمة وهى قدرتهم على نحت الجبال بيوتا . العاشرة تذكيرهم بنعم الله فدل على أنهم يعرفون ذلك . الحادية عشرة وعظه إياهم أن الذى ينهاهم عنه هو الفساد فى الأرض ، وهو قبيح بإجماع العقلاء . الثانية عشرة ذكر قبح جوابهم لهذه الموعظة البليغة التى جمعت لهم خير الدنيا والآخرة . الثالثة عشرة نعته الملأ منهم بالكبر . الرابعة عشرة أن الذين استجابوا للحق هم الضعفاء ، وأما الملأ المستكبرون فهذا جوابهم وفعلهم . الخامسةعشرة جمعهم بين هذه الثلاث عقر الناقة والعتو عن أمر ربهم وقولهم لرسولهم هذا . السادسة عشرة ذكر قولهم (إن كنت من المرسلين) فلم يذكر إنكارهم الرسل من حيث الجملة . السابعة عشرة ذكر توليهم عنهم لما وقع عليهم ما استعجلوه . الثامنة عشرة ذكره أنه لم يبق من الحرص على دنياهم وعلى آخرتهم ممكن . التاسعة عشرة ذكر أن العلة فى عدم

القبول عدم المحبة للناصح لاعدم البيان . وأما قصة لوط فسنذكر أيضا ما فيها من الزيادة على القصص الثلاث : الأولى التصريح أن هذا الفعل لم يفعل قبلهم . الثانية موعظة نبيهم إياهم بذلك فدل على أنه متقرر عندهم أن أول من ابتدع القبيح ليس لغيره . الثالثة تعظيم هذه الفاحشة بمخاطبتهم بالاستفهام . الرابعة تغليظها بالألف واللام، فدل على الفرق بينها وبين الزنا لقوله (إنه كان فاحشة) . الخامسة تنبيههم على مخالفة العقول والشهوات لقوله (أتأتون الرجال شهوة من دون النساء) فتتركون موضع الشهوة مع حسنه عقلا ونقلا وتتبدلون به غير المشتهى مع قبحه عقلا ونقلا . السادسة تنبيههم على العلة أنها ليست الشهوة بل السرف . السابعة هذا الجواب العجاب تلك النصيحة والبيان بأدلة العقل والنقل . الثامنة إقرارهم أن آل لوط الطيبون وأنهم الخبيثون . التاسعة تصريحهم أن هذا هو الذى نقموه عليهم وجعلوه سبباً لإخراجهم من البلد . العاشرة مافى إهلاك امرأته من الدلالة على التوحيد والدلالة على أن من أحب قوما حشر معهم وإن لم يعمل عملهم . الحادية عشرة ذكر الأمر بالنظر فى عاقبة المجرمين. وقوله عز وجل (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) فيه مسائل: الأولى معرفة أن لا إله إلا الله كما فى قصة آدم وإبليس ويعرف ذلك من عرف أسباب الشرك وهو الغلوّ فى الصالحين والجهل بعظمة الله . الثانية معرفة أن محمدا رسول الله يعرفه من عرف عداوة علماء أهل الكتاب له . الثالثة معرفة الدين الصحيح والدين الباطل لأنها نزلت فى إبطال دينهم الذى نصروا وتأييد دينه الذى أنكروا . الرابعة معرفة عداوة الشيطان ومعرفة حيله . الخامسة أن من انسلخ من الآيات أدركه الشيطان ومن لم ينسلخ منها حمته منه ثم صار أكثر من انتسب إلى العلم يظن العكس. السادسة خوف الخاتمة كما فى حديث ابن مسعود . السابعة عدم الاغترار بغزارة العلم. الثامنة عدم الاغترار بصلاح العمل. التاسعة عدم الاغترار بالكرامات وإجابة الدعاء. العاشرة أن الانسلاخ لايشترط فيه الجهل بالحق أو بغضه . الحادية عشرة أن من أخلد إلى الأرض واتبع هواه لو عرف الحق أحبه ، ولو عرف الباطل أبغضه . الثانية عشرة معرفة الفتنة فإنه لابد منها فليتأهب ويسأل الله العافية لقوله (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون) الآيتين . الثالثة عشرة عدم أمن مكر الله . الرابعة عشرة عقوبة العاصى فى دينه ودنياه . الخامسة عشرة ذكر مشيئة الله وذكر السبب

من العبد . السادسة عشرة أن محبة الدنيا تكون سببا لردة العالم عن الإسلام . السابعة عشرة تمثيل هذا العالم بالكلب فى اللهث على كل حال . الثامنة عشرة أن هذا مثل لكل من كذب بآيات الله فليس مختصا . التاسعة عشرة كونه سبحانه أمر بقص القصص على عباده. العشرون ذكر الحكمة فى الأمر به . الحادية والعشرون قوله (ساء مثلا) كقوله (بئس مثل القوم) . قوله (يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالاينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) فيه ثمان حالات : الأولى ترك عبادة غير الله مطلقا ولو حاوله أبوه وأمه بالطمع الجليل والإخافة الثقيلة كما جرى لسعد مع أمه . الحال الثانية أن كثيراً من الناس إذا عرف الشرك وأبغضه وتركه لايفطن لما يريد الله من قلبه من إجلاله وإعظامه وهيبته فذكر هذه الحال بقوله (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) . الحال الثالثة إن قدرنا أنه ظن وجود الذكر والفعل منه فلا بد من تصريحه بأنه من هذه الطائفة ولو لم يقض هذا الفرض إلا بالهرب عن بلاد كثير من الطواغيت الذين لايبلغون الغاية فى العداوة حتى يصرح بأنه من هذه الطائفة المحاربة لهم. الحال الرابعة إن قدرنا أنه ظن وجود هذه الثلاث فقد لايبلغ الجد فى العمل بالدين والجد والصدق وهو إقامة الوجه للدين . الحال الخامسة إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الأربع فلا بد له من مذهب ينتسب إليه فأمر أن يكون مذهبه الحنيفية وترك كل مذهب سواها ولو كان صحيحا ففى الحنيفية عنه غنية . الحال السادسة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الخمس فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم . الحال السابعة أنا إن قدرنا أنه ظن وجود الحالات الست فقد يدعو من غير قلبه نبيا أو غيره لشىء من مقاصده ، ولو كان دينا يظن أنه إن نطق بذلك من غير قلبه لأجل كذا وكذا خصوصا عند الخوف أنه لايدخل فى هذا الحال . الحال الثامنة إن ظن سلامته من ذلك لكن غيره من إخوانه فعله خوفا أو لغرض من الأغراض هل يصدق الله أن هذا ولو كان أصلح الناس قد صار من الظالمين أو يقول كيف أكفره وهو يحب الدين ويبغض الشرك وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من يفهمه ، وإن لم يعمل بل ما أعز من لايظنه جنونا . والله أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر مافى سورة هود من العلوم : الأول علم معرفة الله ذكر أنه حكيم . الثانية أنه خبير . الثالثة أنه قدير . الرابعة أنه ذكر شيئا من تفصيل العلم فى قوله (ألا إنهم يثنون صدورهم) الآية . الخامسة ذكر شيئا من تفاصيل القدرة فى قوله (ومامن دابة) الآية . السادسة (خلق السموات والأرض فى ستة أيام) . السابعة كون عرشه على الماء . الثامنة ذكر شيئا من تفصيل الحكمة فى قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) . التاسعة كونه وكيلا على كل شئ . الثانى الإيمان باليوم الآخر ذكر أنه إليه المرجع . الثانى (ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت). الثالث ذكر الجنة والنار. الرابع ذكر العرض عليه . الخامس كلام الأشهاد . السادس ضل عنهم افتراؤهم . السابع كونهم هم الأخسرون فى الآخرة . الثالث تقرير الرسالة : ذكر أولا المسألة الكبرى . الثانية أنه نذير من الله وبشير لنا . الثالثة تقرير صحة رسالته باعتراضهم بقولهم إنها سحر مبين مع موافقتها للعقل . الرابعة تقريرها بقولهم (لولا أنزل عليه كنز) . الخامسة تقريرها بمعرفة العلماء بها . السادسة تقريرها بالتحدى . السابعة تقريرها بأنها الحق من الله . الرابع ذكر الوعد والوعيد : ذكر المتاع الحسن لمن قبله . الثانية ذكر عذاب اليوم الكبير لمن أبى . الثالثة (يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم). الرابعة وعيد من أراد الدنيا . الخامسة وعيد من افترى عليه . السادسة وعد المؤمنين المخبتين . السابعة وعيد من كفر . الثامنة (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) بالقرآن . الخامس ذكر الأمر والنهى : فذكر النهى عن الشرك والأمر بالإخلاص. الثانية الأمر بالاستغفار والتوبة. الثالثة الأمر بالمضى على أمر الله بالتحدى . الرابعة نهيه عن المرية فيه . السادس أمور مدحها لنفعلها منها الصبر . الثانية عمل الصالحات . الثالثة مدح العلم الصادر عن اليقين . الرابعة مدح معرفة القرآن . الخامسة ذكر نتيجة الأمرين. السادسة الإيمان. السابعة الإخبات إلى الله . السابع أمور كرهها ذكرها لتترك : منها التولى . الثانية ثنى الصدر. الثالثة الاعتراض على الحق الصريح. الرابعة استبطاء وعيد الله . الخامسة كون الإنسان يئوسا عند الضراء . السادسة كونه كفورا عندها . الثامنة كونه فرحا عند النعماء فخورا عندها ولو كانت بعد ضراء والتى قبلها ولو كانت بعد سراء . التاسعة

نتيجة معرفة الإيمان . العاشرة فائدة النتيجة . الحادية عشرة كونه يريد الدنيا. الثانية عشرة كونه يفترى على الله الكذب. الثالثة عشرة الصد عن سبيل الله . الرابعة عشرة بغى العوج لها. الثامن النشور ذكر أن الأكثر لا يؤمنون به. الثانية ذكر مثل المؤمنين. الثالثة ذكر مثل الكافرين . الرابعة التنبيه على التذكير بالحالين . الخامسة كونهم ما يستطيعون السمع . السادسة الفرق بين العالم والجاهل .

وقوله عز وجل لما ذكر قصة نوح (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين) إذا تأمل الإنسان حاله أول ماتعلم من العلوم من أهله ثم تفكر فى هذه القصة هل علم منها زيادة على ماعنده ولاعرف مسائل: الأولى عظمة الشرك ولوقصد مافيه صاحبه التقرب إلى الله وذلك مافعل الله بأهل الأرض لما عبدوا ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا . الثانية شدة بطشه وعقوبته حيث أرسل الطوفان فأهلك الطيور والدواب وغير ذلك . الثالثة معرفة آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما قصه مع كونهم يعلمون أنه لم يأخذ ممن يعلم ما عند أهل الكتاب فلم يستطيعوا أن يردوا عليه مع شدة العداوة . الرابعة التحقيق بكون المخلوق ليس له من الأمر شىء ولو كان نبياً مرسلا لسبب مافيها من قصة ابن نوح . الخامسة تبيين الله سبحانه الحجج الباطلة والتحذير منها مع أنها عندنا أولى وعند أكثر الناس حجج صحيحة . السادسة تبرؤ الرسل من دعوى أن عندهم خزائن الله أو علم الغيب مع أن الطواغيت فى زمننا ادعوا ذلك وصدّقوا وعبدوا لأجل ذلك . السابعة التحذير من استحقار الفقراء والضعفاء لقوله (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذا لمن الظالمين) مع أنه سائغ ممن يدعى العلم ويستحسنه الناس منهم . الثامنة وهى من أعظم الفوائد التحذير من الشبهة التى أدخلت أكثر الناس النار وهى السواد الأعظم والنفرة من القليل لقوله (وما آمن معه إلا قليل) . التاسعة معرفة شىء من عظمة الله فى تأديبه الرسل لما قال لنوح (إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) . العاشرة وهى من أهمها أن فيها شاهدا لقول الحسن نضحك ولعل الله اطلع على بعض أعمالنا وقال لا أغفر لكم وذلك من قوله (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) مع سخريتهم منه . الحادية عشرة التحذير من اتباع رؤساء الدنيا وقبول حججهم لقوله (قال الملأ) وهم الأشراف والرؤساء

الثانية عشرة بيان الله تعالى لتلك الحجج ، فقوله (ما نراك إلا بشرا مثلنا) فيه القياس الفاسد وقولهم (ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) احتجاج بما ليس حجة ، وقولهم (وما نرى لكم علينا من فضل) احتجاج برؤيتهم وهو من أفسد الحجج وقولهم (بل نظنكم كاذبين) احتجاج بالظن . الثالثة عشرة أنهم لم يصرحوا بأن هذا الذى عليه نوح وأتباعه أمر الله ثم جاهروا بعصيانه بل قالوا (نظنكم كاذبين) وقالوا (لوشاء الله لأنزل ملائكة) وغير ذلك ، وأنت ترى الذين يكونون من أهل العلم والعبادة كيف يقرون ويجادلون بالكفر (ويحسبون أنهم مهتدون). وقال رضى الله عنه فى الكلام على قوله تعالى حكاية عن يوسف (ياصاحبى السجن ءأرباب متفرقون) دعاهم يوسف عليه السلام إلى التوحيد بأنواع من الأدلة : أحدها أنه ذكر أن هذا العلم الذى تميز به عليهما وعلى غيرهما أنه من تعليم ربه إياه ، فالذى يعطى ويمنع هو الذى يستحق العبادة . الثانية أنه حكيم يضع الأشياء فى مواضعها فشرفنى بسببين ترك الشرك وفعل التوحيد . الثالثة أن ذلك الفعل والترك هو ملة الأنبياء . الرابعة أن الشرك لم يرخص فيه لأحد من الأنبياء كما قد يرخص فى غيره . الخامسة أنه منفى عما سوى الله فليس يصح منه شىء لغيره ولو علت درجته . السادسة أن الهداية إلى ذلك مجرد منة الله على العبد وهو أفضل النعم . السابعة أن الله إذا يسر لك العلم لذلك فهو من فضله عليك . الثامنة أن الإسلام واتباع ملة الأنبياء هو العلم بذلك والعمل به لا مجرد العلم . التاسعة أنه ذكر لهم ما يحرضهم على القبول ، وهو أن الداعى من أهل ذلك البيت . العاشرة أن مع هذا البيان الواضح أكثر الناس لا يشكر. ثم قرره بالأدلة العقلية وذلك من وجوه : الأول أن الله خير من المخلوقين . والثانى أنه واحد وأولئك أرباب متفرقون . الثالث أنه قهار وهم عاجزون. الرابع العجب العجاب من إعراضكم عنه بإقبالكم على أسماء لا حقيقة لها . الخامس أن تلك الأسماء أنتم ابتدعتموها. السادس نفى الأدلة عنها وهى إنزال الله الحجة بذلك . السابع تقرير القاعدة الكلية أن أمر التشريع من الله لا غيره . الثامن أن الذى له الحكم حكم بهذا أوألزم به واختص به عن جميع ما سواه. التاسع أن هذا هو الدين الصحيح فقط . العاشر أن مع وضوحه بالنقل والعقل وإجماع الأئمة وغير ذلك لا يعلمه إلا قليل . ومن قصة أول سورة الكهف: ذكر ابن عباس أن سبب نزولها أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط

إلى أحبار يهود فقالوا سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته فإنهم أهل الكتاب الأول ، ففعلوا فقالوا سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فهو متقول : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول فإن لهم حديثاً عجيباً ، وسلوه عن طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح فأقبلا فقالا جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد . فسألوه عن الثلاث؟ فقال : سأخبركم ولم يستثن فمكث خمس عشرة ليلة لا يأتيه جبريل فشق ذلك عليه حتى جاء بالسورة فيها المعاتبة على حزنه عليهم وخبر مسائلهم . ففى الآية مسائل : الأولى حمده نفسه على إنزاله الكتاب الذى هو أكره شىء أتاهم فى أنفسهم مع كونه أجلّ ماأعطاهم من النعم . الثانية أن الإنزال على عبده فيه إبطال مذهب النصارى والمشركين ، وفيه نعمة عليهم حيث أنزل على رجل منهم . الثالثة أنزله معتدلا لاعوج فيه ، ففيه معنى قوله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض) . الرابعة أن الأعداء والمشبهين لايجدون فيه مغمزا بل ليس فيه إلا مايكسرهم. وقوله (لينذر بأسا شديداً من لدنه) ذكر الفائدة فى إنزاله فذكر فوائد : الأولى لينذر عذاب الله فيصير سبباً للسلامة منه . الثانية بشارة من انقاد إليه بالحظ المذكور. الثالثة الإنذار عن الكلمة العظمى التى تفوّه بها من تفوه تقربا إليه بتعظيم الصالحين . الرابعة الدليل على أن كلامهم لم يصدر عن علم لامنهم ولا ممن قبلهم . الخامسة تعظيم الكلمة كما قال تعالى (تكاد السموات يتفطرن منه) . السادسة أن الكذب يسمى كذبا ويسمى صاحبه كاذبا ولو ظن أنه صادق ، ويصير من أكبر الكذابين المفترين . وقوله (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) أى قاتلها أسفاً على هلكتهم ، ففيه ماعليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشفقة عليهم وتسلية الله سبحانه له. وقوله (إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها) فيه مسائل : الأولى التسلية للمؤمن عمن أدبر عنه . الثانية أن حكمة الله التزيين ليبين الأحسن عملا من غيره . الثالثة أن جميعها يصير صعيداً جرزا أى لانبات ينبت فيه. قوله (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يعنى أن قصتهم مع كونها عجيبة فيها مسائل جليلة أعظمها الدلالة على التوحيد وبطلان الشرك والدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ،ومن قبله الدلالة على اليوم الآخر . ففى الآيات المشاهدة من خلق السموات والأرض وغير ذلك ماهو أعجب وأدل على المراد من قصتهم مع إعراضهم عن ذلك . وأما دلالتها على التوحيد

وبطلان الشرك فواضح . وأما دلالتها على النبوات فكذلك كما جعلها أحبار يهود آية لنبوته. وأما دلالتها على اليوم الآخر فمن طول مكثهم لم يتغيروا كما قال تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها) . وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف) الآية، فيه مسائل : الأولى كونهم فعلوا ذلك عند الفتنة ، وهذا هو الصواب عند وقوع الفتن الفرار منها . الثانية قولهم (ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى من عندك لانحصلها بأعمالنا ولا بحيلتنا . الثالثة قولهم (وهيء لنا من أمرنا رشدا) طلبوا من الله أن يجعل لهم من ذلك العمل رشدا مع كونه عملا صالحا فما أكثر مايقصر الإنسان فيه أو يرجع على عقبه أو يثمر له العجب والكبر، وفى الحديث « وماقضيت من قضاء فاجعل عاقبته رشدا ». وقوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) إلى قوله (من أمركم مرفقا) فيه مسائل: الأولى من آيات النبوة وإليه الإشارة بقوله (الحق). الثانية (إنهم فتية) وهم الشبان وهم أقبل للحق من الشيوخ عكس مايظن الأكثر. الثالثة قوله (إنهم آمنوا بربهم) فلم يسبقوا إلا بالإيمان بالله. الرابعة مافى الإضافة إلى ربهم من تقرير التوحيد . الخامسة فى قوله (وزدناهم هدى) أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، و« من عمل بما يعلم أورثه الله تعالى علم مالايعلم » . السادسة أن المؤمن أحوج إلى أن يربط الله على قلبه ولولا ذلك الربط لافتتنوا. السابعة قولهم (ربنا رب السموات والأرض) فهذه الربوبية هى الألوهية. الثامنة المسألة الكبرى أن من ذبح لغير الله ودعا غيره فقد كذب بقول: لا إله إلا الله ، وقد دعا إلهين اثنين واتخذ ربين . التاسعة المسألة العظيمة المشكلة على أكثر الناس مع أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمنا حقا كارها لموافقتهم فقد كذب فى قوله لاإله إلا الله واتخذ إلهين اثنين وما أكثر الجهل بهذه والتى قبلها . العاشرة أن ذلك لو يصدر منهم أعنى موافقة الحاكم فيما أراد من ظاهرهم مع كراهتهم لذلك فى قوله (شططا) والشطط الكفر. الحادية عشرة قوله (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) فهذه المسألة مفتاح العلم، وما أكبر فائدتها لمن فهمها . الثانية عشرة قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) ففيه أن مثل هذا من افتراء الكذب على الله وأنه أعظم أنواع الظلم ولو كان صاحبه لايدرى بل قصد رضاء الله. الثالثة عشرة قوله (وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) فيه اعتزال أهل الشرك واعتزال معبوديهم وأن ذلك لايحرك إلى ترك مامعهم من

الحق كما قال تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا) . الرابعة عشرة قوله تعالى (فأووا إلى الكهف فيه شدة صلابتهم فى دينهم حيث عزموا على ترك الرياسة العظيمة والنعمة العظيمة واستبدلوا بها كهفا فى رأس جبل . الخامسة عشرة حسن ظنهم بالله ومعرفتهم ثمرة الطاعة ، ولو كان مباديها ذهاب الدنيا حيث قال : (ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) . السادسة عشرة الدليل على الكلام المشهور أن التعب يثمر الراحة والراحة تثمر التعب. السابعة عشرة عدم الاغترار بصورة العمل الصالح فرب عمل صالح فى الظاهر لا يثمر خيرا أو عمل صالح يهيئ لصاحبه مرفقا . العشرون قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) فيه مسائل : الأولى كما أماتهم سبحانه لحكمة بعثهم لحكمة . الثانية أن الصواب فى المسائل المشكلة عدم الجزم بشىء بل قول الله أعلم . فالجهل بها هو العلم . الثالثة التورع فى المأكل . الرابعة كتمان السر . الخامسة المسألة العظيمة وهى قولهم (إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا) عرفوا أنه لابد من أمرين إما الرجم وإما الإعادة فى الملة، فإن وافقوا على الثانية لم يفلحوا أبدا ولو كان فى قلوبهم محبة الدين وبغض الكفر. وقوله تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم) فيه مسائل : الأولى أن الإعثار عليهم لحكمة . الثانية معرفة المؤمن إذا أعثر عليه (أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) كما رد سبحانه موسى إلى أمه (لتعلم أن وعد الله حق). فتأمل هذا العلم ما هو . الثالثة أن الساعة آتية لا ريب فيها لما وقع بينهم من النزاع ، وذلك أن بعض الناس يزعم أن البعث للأرواح خاصة فأعثر عليهم ليكون دليلا على بعث الأجساد . الرابعة أن الذين غلبوا على أمرهم قالوا لنتخذن عليهم مسجدا . فإذا تأملت ما قالوا وأن الذى حملهم عليه محبة الصالحين ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم « أولئك إذا مات الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة» عرفت حقيقة الأمر. قوله (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) الآية. فيه مسائل: الأولى الإخبار بالغيب. الثانية بيان الجهل والباطل بالتناقض . الثالثة الإنكار على المتكلم بلا علم . الرابعة إسناد الأمر فى هذه المسائل إلى علم الله سبحانه . الخامسة الرد على أهل الباطل بالإسناد إليه . السادسة أن من العلماء من يعرف عدتهم لكنهم قليل . السابعة النهى عن المراء فى شأنهم . الثامنة الاستثناء . التاسعة النهى عن استفتائنا أحدا من هؤلاء فيهم.

العاشرة (ولا تقولن لشئ إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) فيه مسائل : الأولى النهى عن مثل هـذا الكلام . الثانية الرخصة مع الاستثناء . الثالثة الأمر بذكر الله عندالنسيان . الرابعة الاستثناء يقع فى مثل هذا. الخامسة الدعاء بهذا الدعاء عندالنسيان إن صح التفسير بذلك . وقوله (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين) إلى آخر الكلام، فيه مسائل : الأولى النص على مدة لبثهم. الثانية الرد على المخالف بقوله (الله أعلم بما لبثوا). الثالثة الرد عليه بقوله (له غيب السموات والأرض) . الرابعة الرد عليه بقوله (أبصر به وأسمع) . الخامسة قولهم (مالهم من دونه من ولى) . السادسة كونه لايشرك فى حكمه أحدا . السابعة النهى عن إشراك مخلوق فى حكم الله على قراءة الجزم . الثامنة الحث على تلاوة الوحى وإن عارضه شبهة أو شهوة . التاسعة تقريره ذلك بقوله (لامبدل لكلماته) . العاشرة تقرير ذلك بقوله (ولن تجد من دونه ملتحدا) . الحادية عشرة الكبيرة وهى أمره نبيه أن يصبر نفسه مع من ذكر . الثانية عشرة لايضر المؤمن كراهة نفسه لذلك إذا جاهدها. الثالثة عشرة أن بلوغهم هذه الرتبة بسبب فعلهم ماذكر. الرابعة عشرة أن صلاة البردين بإخلاص توصل إلى المراتب العالية. الخامسة عشرة فيه قوله «رب أشعث أغبر ذى طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره» السادسة عشرة النهى عن طلوع العين عنهم إرادة لمجالسة الأجلاء. السابعة عشرة المسألة الكبرى وهى اختلاف أمر الدنيا والآخرة عند الله. الثامنة عشرة أنه لما ذكر المحثوث على مجالستهم ذكر ضدهم . التاسعة عشرة نهيه عن طاعة الضد . العشرون سبب ذلك . الحادية والعشرون ذكر الخصال الثلاث: إغفال القلب عن ذكر الله . واتباع الهوى، وانفراط الأمر . الثانية والعشرون إثبات القدر ، وهو الإغفال . الثالثة والعشرون لايخرجه من الذم أن قلبه يفهم غير ذلك فهما جيدا . الرابعة والعشرون قوله (وقل الحق من ربكم) الآية .

وأما قصة موسى والخضر عليهما السلام ففيها مسائل : الأولى مايتعلق بجلال الله وعظمته، وفيه مسائل: الأولى سعة العلم بقوله «مانقص علمى وعلمك»، وهذا من أعظم ماسمعنا من عظمة الله . الثانية الأدب مع الله لقوله فعتب الله عليه . الثالثة الأدب معه أيضاً فى قوله (فأردت أن أعيبها) وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) . الرابعة معرفة أنواع سعة جود الله تعالى ومن ذلك العلم اللدنى . الخامسة الأدب معه تعالى

بمعرفة أن له أسرارا فى خلقه تخفى على الأنبياء فلا ينبغى الغفلة عن هـذه المهمة . السادسة الأدب معه فى تعليق الوعد بمشيئة الله مع العزم . السابعة معرفة شىء من عظيم قدرة الله من إحياء الموتى وجعله سبيل الحوت فى الماء طريقاوغير ذلك، ومعرفة هذا مع الأولى هما اللتان خلق العالم العلوى والسفلى لأجل معرفتنابهما. الثانية مايتعلق بأحوال الأنبياء، وفيه مسائل : الأولى أن النبى يجوز عليه الخطأ . الثانية أنه يجوز عليه النسيان . الثالثة فضل نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة لقوله موسى بنى إسرائيل . الرابعة ماجبل عليه موسى عليه السلام من الشدة فى أمر الله . الخامسة أنه لاينكر إصابة الشيطان للأنبياء بمالايقدح فى النبوة لقوله (نسيا حوتهما) مع قوله (وما أنسانيه إلاالشيطان) . السادسة ماعليه الإنسان من البشرية ولو كان نبيا وذلك من أدلة التوحيد وذلك من وجوه: منهاقوله (فاستطعما أهلها). الثالث مسائل الأصول وفيه مسائل أعظمها التوحيد ، ولـكن سبق آنفا فنقول : الأولى الدليل على اليوم الآخر لأن من أعظم الدلالة إحياء الموتى فى دار الدنيا . الثانية إثبات كرامات الأولياء على القول بعدم نبوة الخضر . الثالثة أنه قد يكون عند غير النبى صلى الله عليه وسلم ماليس عند النبى . الرابعة إذا احتمل اللفظ معانى فأظهرها أولاها كما قال الشافعى. الخامسة إثبات الصفات كما هومذهب السلف . الرابعة مافيها من التفسير: الأولى أن المذكور هو الخضر لا كما قال الحر بن قيس . الثانية موسى هو المشهور عليه السلام خلافا لنوف . الثالثة أن النبى صلى الله عليه وسلم فسر لهم ألفاظ القرآن كلها كما بلغها. الرابعة قوله (ألم أقل). الخامسة أن قوله (يأخذ كل سفينة غصبا) المراد سفينة سالمة من العيب . السادسة أن غداءهما هو الحوت . السابعة أن قوله (عجباً) أى لموسى وفتاه . الثامنة لا يجوز تفسير القرآن بما يؤخذ من الإسرائيليات وإن وقع فيه من وقع . التاسعة أن السلف يشددون فى ذلك تشديدا عظيما لقوله «كذب عدو الله» . العاشرة أن الوعد على العمل الصالح ليس مختصا بالآخرة بل يدخل فيه أمور الدنيا حتى فى الذرية بعد موت العامل. الخامس أدب العالم مع المتعلم ففيه مسائل: الأولى تسمية التلميذ الخادم فتى . الثانية أن تلك الخدمة مما يرفع الله بها كما رفع يوشع. الثالثة تعلم العالم ممن دونه . الرابعة اتخاذ ذلك نعمة يبادر إليها لانعمة يبغضها . الخامسة التعلم بعد الرياسة . السادسة الرحلة فى طلب العلم . السابعة رحلة الفاضل إلى المفضول . الثامنة

ركوب البحر لطالب العلم. التاسعة اشتراط الشيخ على المتعلم. العاشرة الشروط والتزام المتعلم الشروط. الحادية عشرة الاعتذار بالنسيان. الثانية عشرة قبول الاعتذار. الثالثة عشرة قبول المتعلم لقوله (هل أتبعك) إلى آخره. الرابعة عشرة قبول نصيحة الشيخ لعلمه منك ما لا تعلمه من نفسك وإن كنت أفضل منه. الخامسة عشرة أن من المسائل ما لا يجوز السؤال عنه. السادسة عشرة أن من المسائل ما لا ينبغى للمسئول أن يجيب عنه. السابعة عشرة إعفاء المتعلم مما يكره. الثامنة عشرة مفارقة المتعلم إذا خالف الشرط. التاسعة عشرة احتمال المشاقّ فى طلب العلم لقوله (لقد لقينا من سفرنا هـذا نصبا). السادس مافيها من مسائل الفقه: فالأولى عمل الإنسان فى مال الغير بغير إذنه إذا خاف عليه الهلاك. الثانية من شرط الجواز خوف الهلاك بل قد يجوز للإصلاح لقصة الجدار. الثالثة أنه ليس من شرط المسكين فى الزكاة أنه لا مال له. الرابعة أنه استدل بها على أنه أحسن حالا من الفقير. الخامسة أنه لا بأس بالسؤال فى بعض الأحوال لقوله (استطعما أهلها). السادسة أنه من لم يعط يتعزّ بهذه القصة، وكم ممن هان على الناس وهو جليل عند الله، وقد قيل:

فإن رددت فما فى الرد منقصة   عليك قد رد موسى قبل والخضر

السابعة أن الإجارة تجوز بغير بعض الشروط التى شرطها بعض الفقهاء. الثامنة أنه يجوز أخذ الأجرة على العمل الذى لا يكلف خلاف ما توهمه بعضهم. التاسعة الترحم على الأنبياء، وأنه لا ينقص من قدرهم بل هو من السنة. العاشرة أن تمنى العلم ليس من التمنى المذموم. الحادية عشرة أن السلام ليس من خصائص هذه الأمة. الثانية عشرة كيف الجواب إذا سئل أىّ الناس أعلم. الثالثة عشرة خطأ من قال تخلو الأرض من مجتهد. الرابعة عشرة التعزى باختيار الله وحسن الظن فيما تكره النفوس. الخامسة عشرة الخوف من مكر الله عند النعم. السادسة عشرة قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) لا يعد من الشكوى. السابعة عشرة الفرق من المسألة المأمور بها والمنهى عنها وإن كان معذورا بل مأجورا. الثامنة عشرة سفر الاثنين من غير ثالث للحاجة. التاسعة عشرة أن الخضر معروف فى ذلك الزمان لقوله «لما عرفوه حملوه بلا نول». العشرون أن احتمال المنة فى مثل هـذا لا بأس به. الحادية والعشرون شكره نعمة الخلق. السابع المنثور الجامع: الأول القصة بجملتها من أعجب ما سمع ولا يعرف فى نوعها مثلها.

الثانية عين الحياة وما لله من الأسرار فى بعض المخلوقات . الثالثة ما ابتلى به موسى عليه السلام مما لايحتمله وعده الصبر وتعليقه بالمشيئة . الرابعة نسيان الفتى الحوت فى ذلك اليوم وتلك الليلة ونصف اليوم الثانى ، مع أنه لم يكلف إلا ذلك ومع أنه زادهما يحمل على الظهر . الخامسة الأمر العظيم فى الماء صار طاقا حتى قيل إن هذا لم يقع إلا له منذ خلقت الدنيا . السادسة أن الشيطان يتسلط تسلطا لايعرف لكونه تسلط على يوشع بالنسيان العجيب. السابعة الفرق بين العبودية الخاصة والعبودية العامة الثامنة الرد على منكرى الأسباب ، لأنه سبحانه قادر على إنجاء السفينة وتثبيت أبوى الغلام وإخراج الكنز له بدون ماجرى . التاسعة الرد على من قال إن موسى لايجوز له السكوت عنه لأنه اعتذر من النسيان ولأنه لايعد من نفسه ترك واجب . العاشرة الحكم بالظاهر لقوله عليه السلام (نفسا زكية) الحادية عشرة تسمية المدينة قرية. الثانية عشرة أن التأويل فى كلام الله وكلام العرب غيرمايريد المتأخرون . الثالثة عشرة أن المال قد يكون رحمة وإن كان مكنوزا. الرابعة عشرة فائدة طلب العلم للرشد . الخامسة عشرة نصيحة العالم المتعلم إذا أراد السؤال عما لا يحتمله . السادسة عشرة أن ذلك الممنوع قد يكون أفضل ممن يعرف ذلك . السابعة عشرة أن الكلام يقتصر على المتبوع لقوله (فانطلقا) كاقيل (اهبطوا منها جميعا) . وقوله عز وجل (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فيها خمس مسائل : الأولى كون الله فرض على نبيه أن يخبرنا عن نفسه الخبر الذى تصديقه (ليس لك من الأمر شىء) بتوحيد الألوهية وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه . الثالثة تعظيمه بقوله (فمن كان يرجو لقاء ربه) كما تقول لمن خالفك كلامى مع من يدعى أنه من أمة محمد. الرابعة أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن لايشرك بعبادة ربه أحدا ؛ ففيه التصريح بأن الشرك فى العبادة ليس فى الربوبية ، وفيه الرد على من قال أولئك يستشفعون بالأصنام ونحن نستشفع بالصالحين لأنه قال (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فليس بعد هذا بيان ، وافتتح الآية بذكره براءة النبى صلى الله عليه وسلم الذى هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة وختمها بقوله «أحدا». اعلم رحمك الله أنه لايعرف هذه الآية المعرفة التى تنفعه إلا من يميز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية تمييزا

تاما ، وأيضاً يعرف ماعليه غالب الناس : إما طواغيت ينازعون لله فى توحيد الربوبية الذى لم يصل شرك المشركين إليـه ، وإما مصدق لهم تابع لهم ، وإما رجل شاك لايدرى ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بين دين الرسول ودين النصارى والله أعلم .

وقوله عز وجل (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) الآيتين، فيه مسائل : الأولى أن الله أمر الرسل بهذا مع اختلاف أزمنتهم وأمكنتهم فيدل على أنه من عظيم الأمور . الثانية أن الرسل إذا أمروا بذلك فغيرهم أولى بالحاجة إلى ذلك . فأفاد أن هذا يحتاج إليه أعلم الناس حاجة شديدة . الثالثة إذا فرض هذا على الرسل مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة نبيها واحد وكتابها واحد . الرابعة أن خطاب الرسل عام للأمم بدليل قوله (فتقطعوا أمرهم) . الخامسة الأمر بالأكل من الطيبات ففيه رد على الغلاة الذين يمتنعون عنها، وفيه رد على الجفاة الذين لايقتصرون عليها . السادسة الأمر بالإصلاح والعمل مع الأكل من الطيبات، ففيه رد على ثلاث طوائف : أولها الآكلون الطيبات بلا شكر والشكر هو العمل المرضى . وثانيها من يعمل العمل غير الخالص مثل المرائى وقاصد الدنيا . وثالثها الذى يعمل مخلصا لكنه على غير الأمر . السابعة المسألة العظيمة التى سبق الكلام لأجلها وهى فرض الاجتماع فى المذهب وتحريم الافتراق ، فإذا فرضه على الأنبياء مع اختلاف الأزمنة والأمكنة فكيف بأمة واحدة ونبيها واحد وكتابها واحد ودينها واحد . الثامنة ذكره سبحانه فعلهم الذى صدر منهم بعد ماعرفوا الوصية العظيمة بالاجتماع والنهى عن الافتراق وأنهم تقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ، فذكر أنهم قابلوا الوصية بعد ماسمعوها بما يضادها غاية المضادة وهو أنهم تركوا الاجتماع وتفرقوا ثم بعد ذلك كل فرقة صنفت لها كتبا غير كتب الآخرين ، ثم قال : كل فرقة فرحت بما تركت من الهدى وفرحت بما ابتدعته من الضلال كما قيل :

حلفت لنا ألا تخون عهودها فـكأنـهـا حلفت أن لاتفى

بسم الله الرحمن الرحيم

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون) فيه مسائل : الأولى التنبيه على جلالة القرآن وعظمته . الثانية التنبيه على وضوحه، وقوله «بالحق» فيه علامة النبوة . الثالثة أن العلم بين يعرفه أهل القرآن

والإيمان وإن جهله غيرهم. قوله (إن فرعون علا فى الأرض) إلى آخره، فيه ذم العلوّ فى الأرض . الثانية ذم جعل الرعية شيعا . الثالثة التنبيه على كبر هذا الظلم . الرابعة التسجيل عليه أنه من هذه الطائفة ، فمن أراد من الرؤساء أن يكون منهم مثله فهذا فعله ومن أراد اتباع الخلفاء الراشدين فقد بان فعلهم. وقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض) إلى آخره هذه الإرادة القدرية بخلاف قوله (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) وأمثالها فهى إرادة شرعية . الثانية أن ابتلاءهم بالاستضعاف سبب المنة عليهم وكونهم أئمة وكونهم الوارثين والتمكين لهم فى الأرض وتعريف عدوهم بما يحذره فهذه خمس فوائد نتيجة تلك البلوى . الثالثة تبيين قدرته العظيمة لعباده . الرابعة أن الحذر لايغنى من القدر . وقوله (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) إلى آخره هذا وحى إلهام؛ ففيه إثبات كرامات الأولياء . الثانية أنها أمرت بإلقائه فى اليم وبشرت بأربع. وقوله (فالتقطه آل فرعون) فيه حكمة هذا الالتقاط . الثانية أنّ اللام لام العاقبة . الثالثة أن الإنسان قد يختار مايكون هلاكه فيه . الرابعة أن ذلك القدر بسبب خطيئات سابقة . وقوله (وقالت امرأة فرعون) الخ ، فيه أن المرأة الصالحة قد يتزوجها رجل سوء . الثانية قولها (قرة عين لى ولك) فيه محبة الفأل . الثالثة ذكر الترجى . الرابعة عدم الشعور ، وقوله (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) الآية . فيه ما ابتليت به . الثانية لولا منة الله عليها بالربط . الثالثة (لتكون من المؤمنين) . الرابعة أن الإيمان يزيد وينقص ، وقوله (وقالت لأخته قصيه) الآية ، فيه أن التوكل واليقين لاينافى السبب . الثانية تسبب الأخت أيضاً . الثالثة عدم شعورهم مع ذكائهم وظهور العلامات ، وقوله (وحرمنا عليه المراضع) الآية، هذا التحريم قدرى؛ وأما قوله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) وأمثالها فتحريم شرعى . الثانية أن هـذه العلامة الظاهرة فى كلامها ولم يفهموه مع فطنتهم ، وقوله (فرددناه إلى أمه) إلى آخره ، فيه أن الرد لثلاث فوائد . الثانية تفاوت مراتب العلم لقوله (ولتعلم) . الثالثة أن بعض المعرفة لايسمى علما يصح نفيه من وجه وإثباته من وجه . الرابعة المسألة العظيمة الكبيرة تسجيل الله تبارك وتعالى على الأكثر أنهم لايعلمون أن وعده حق، وقوله (ولما بلغ أشده واستوى) فيه أن ذلك الإيتاء بعد بلوغ الأشد والاستواء . الثانية الفرق بين العلم والحكم . الثالثة ذكره أنه يفعل ذلك بالمحسنين كما فعل ضده مع الذين كانوا خاطئين . الرابعة ترغيب

عباده فى الإحسان . الخامسة أن من جزاء الحسنة الحسنة بعدها . السادسة فيه أسرار القدر. وقوله (ودخل المدينة) إلى آخره ، فيه أن الرجل الصالح قد يسخر له الفاجر وينشأ فى حجره . الثانية قد ييسر الكمال العظيم بسبب أعظم المكروهات. الثالثة أن قتل الرجل صار ذنباً . الرابعة نسبة ذلك إلى عمل الشيطان . الخامسة قوله (إنه عدوّ مضل مبين) . السادسة ذكر توبته عليه السلام . السابعة ذكر مغفرة الله له . الثامنة ذكر سبب المغفرة . التاسعة شكر نعمة الخلق . العاشرة كون شكرها عدم مظاهرة المجرمين . وقوله (فأصبح فى المدينة) إلى آخره، فيه أن هذا الخوف غير المذموم فى قوله (ولا يخشون أحدا إلا الله) . الثانية أن ذلك الترقب لايذم . الثالثة ماجبل عليه صلى الله عليه وسلم من الشدة . الرابعة قوله لذلك الرجل (إنك لغوى مبين) أن مثل ذلك لايذم . الخامسة العمل بالقرائن. السادسة الفرق بين الصلاح بالقوة وبين إرادته الفساد فى الأرض بالتجبر. وقوله (وجاء رجل) إلى آخره فيه قوة ملكهم . الثانية ماعليه الرجل من محبة الحق وأهله . الثالثة تأكيده عليه بالأمر بالخروج وذكره أنه له من الناصحين بعد النذارة. وقوله (فخرج منها خائفا يترقب) فيه أن ذلك الخوف والترقب لايذم . الثانية استغاثته بالله مع فعله السبب . الثالثة أن كراهة الموت لاتذم . الرابعة أن الظالم يوصف بالظلم وإن كان فى تلك القضية غير ظالم. وقوله (ولما توجه) إلى آخره : فيه أنه توجه من غير سبب . الثانية سؤاله الله أن يدخله الطرق . الثالثة أن « عسى » فى هذا الموضع سؤال .

وقوله (ولما ورد ماء مدين) إلى آخره: فيه ما أعطى عليه السلام من القوة. الثانية إحسانه إليهما فى هذا الحال . الثالثة مخاطبة النساء لمثله . الرابعة ظهور النساء فى خدمة أموالهن للحاجة . الخامسة قائدها فى عدم مزاحمة الرجال. السادسة ذكرها له السبب. السابعة أن المانع له عدم القوة لا الترف . الثامنة سؤاله ربه. التاسعة تأدبه فى السؤال بذكر حاله للاستعطاف. العاشرة أن الشكوى لاتذم. وقوله (فجاءته إحداهما) إلى آخره فيه التنبيه على الحياء . الثانية الثناء على المرأة . الثالثة إرسالها إلى الرجل المجهول للحاجة . الرابعة عدم إنكاره للأجرة على العمل الصالح. الخامسة قوله (لاتخف) لأنهم ليس لهم سلطان عليهم . السادسة كونهم معروفين بالظلم عندهم. وقوله (قالت إحداهما) إلى آخره، فيه أن المرأة قد تصيب وجه الرأى . الثانية ما أعطيت من الذكاء . الثالثة

أن طاعتها فى مثل هذا لاتذم . الرابعة الولاية لها ركنان القوة والأمانة فالأمانة ترجع إلى خشية الله والقوة ترجع إلى تنفيذ الحق. الخامسة أن الاحتياط للمال لايذم. وقوله (قال إنى أريد) إلى آخره، فيه أن هذه الإجارة صحيحة بخلاف قول كثير من الفقهاء من منعهم الإجارة بالطعام والكسوة للجهالة . الثانية أن المنفعة يصح جعلها مهرا للمرأة خلافا لمن منع ذلك . الثالثة أن هذه المهنة لانقص فيها ، كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم » . الرابعة أنها صفة كمال لا يكمل إلا بها . الخامسة أن ذكر مثل هذا فى الإجارة وهى قوله (أيما الأجلين قضيت) لايبطل الإجارة . السادسة المسألة الكبيرة الدقيقة وهى قوله صلى الله عليه وسلم «قضى أطيب الأجلين» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل . السابعة تأكيد العقد بقوله (والله على مانقول وكيل) . وقوله (ولما قضى موسى الأجل وسار بأهله) فيه أنه قام هذه المدة أجرته فيها طعام بطنه وعفة فرجه . الثانية تسمية ذلك النور ناراً . الثالثة هذا الفرج بعد الشدة الذى أفرد بالتضييق ولم يذكروا لهذه نظيرا ولامايقاربها. الرابعة أنهم مع هذه الشدة بالبرد ولا نار معهم . الخامسة أنهم ضلوا الطريق . السادسة جواز مثل هذا السفر للحاجة . السابعة ذكر الموضع الذى ناداه منه . الثامنة إثبات الصفات . التاسعة الرد الواضح على الجهمية فى قولهم هذه عبارة . العاشرة تقريبه نجيا ، فذكر النداء والمناجاة لاختصاص موسى بهذه المرتبة ، ولذلك ذكرها إبراهيم عليه السلام إذ طلبت منه الشفاعة . الحادية عشرة كونه أمر بإلقاء العصا فصارت آية . الثانية عشرة كونه أمر بإدخال اليد آية أخرى . الثالثة عشرة كونه ولى مدبرا ولم يعقب . الرابعة عشرة قوله (أقبل ولاتخف) . الخامسة عشرة تبشيره أنه من الآمنين . السادسة عشرة كونه أمر بضم جناحه من الرهب . السابعة عشرة تسميتها برهانا . الثامنة عشرة كونه من ربك . التاسعة عشرة كونها إلى فرعون وملئه . العشرون التعليل بأنهم قوم ظالمون . الحادية والعشرون هذه المطية العظيمة فى هذه الشدة العظيمة . الثانية والعشرون اعتذاره بقتل النفس والخوف منهم . الثالثة والعشرون برثاثة لسانه . الرابعة والعشرون طلبه الاعتضاد بأخيه . الخامسة والعشرون طلبه الرسالة . السادسة والعشرون تعليله بخوف تكذيبهم . السابعة والعشرون إجابة الله إياه . الثامنة والعشرون تبشيره أنه يجعل لهما سلطانا فلا

يصلون إليهما. التاسعة والعشرون تبشيره بغلبته وغلبة أتباعه وقوله (فلما جاءهم موسى بآياتنا) إلى آخره ، فيه أنه أتاهم بآيات منسوبة إلى الله وأنها بينات . الثانية أنهم قابلوها بما ذكر . الثالثة أنهم احتجوا بقولهم فيها بعدم سماعهم لهذا فى آبائهم . الرابعة جواب موسى عليه السلام. وقوله (وقال فرعون يا أيها الملأ) إلى آخره هذا الإنكار الذى هو غاية الكفر. الثانية قوله لهامان (أوقد لى) كيف اجترأ على الله فى قول العاصين. الثالثة استدل بها الأئمة على الجهمية. وقوله (واستكبر هو وجنوده فى الأرض) وصفهم بأن فيهم المهلك وأنهم عدموا المنجى ولذلك أخذهم بما ذكر . الثانية أمر المؤمن بالنظر فى عاقبتهم . الثالثة أنه أتى بلفظ الظالمين ليبين أن ذلك مختص بهم. وقوله (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار) هذا الجعل القدرى، وأما قوله (ماجعل الله من بحيرة) ومثاله فهذا الجعل الشرعى . الثانية أن معرفة هذا يوجب الحرص على النظر فى الأئمة إذا كان منهم من جعله الله يدعو إلى النار ومنهم من قال فيه (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) . الثالثة ذكر مالهم فى القيامة . الرابعة ما ألقى على ألسنة الناس فى الدنيا . الخامسة (مالهم فى الآخرة) وأما الزيادة التى فى سورة طه ، فالأولى استفهام التقرير الدال على عظمة القصة والتحريض على إفهامها . الثانية (أوأجد على النار هدى) دليل على أنه ضل الطريق . الثالثة أمر بخلع النعلين . الرابعة إخباره أنه بذلك الوادى . الخامسة الإخبار بأنه مطهر. السادسة تبشيره بأن الله اختاره . السابعة أمره بالاستماع الثامنة أن أول ذلك المسائل على الإطلاق التوحيد وهو إفراده بالعبادة . التاسعة أمره بإقامة الصلاة . العاشرة تعليل ذلك . الحادية عشرة وقت الإقامة . الثانية عشرة قوله (إن الساعة آتية) إلى آخره ، لما ذكر الإيمان بالله ذكر الإيمان باليوم الآخر . الرابعة عشرة أن علته الإيمان . الخامسة عشرة مبالغته سبحانه فى إخفائها . السادسة عشرة الحكمة فى إقامتها . السابعة عشرة تحذيره من صاحب السوء. وقوله (وما تلك بيمينك ياموسى) إلى آخره فيه سؤاله عنها وهو أعلم . الثانية جوابه عليه السلام . الثالثة أمره بأخذها ولا يخاف فإنه سيعيدها . الرابعة أن ذلك من الآيات الكبرى الخامسة تعليله الذهاب إلى فرعون بطغيانه . السادسة سؤاله عليه السلام . السابعة أنه لم يسأل حل لسانه بل عقدة منه . الثامنة أن مراده ليفقهوا كلامه . التاسعة أنه علمه ماسأله لأجل أن يسبحاه ويذكراه كثيرا . العاشرة تعليله بقوله (إنك كنت بنا بصيرا)

الحادية عشرة إجابة سؤاله . الثانية عشرة ذكر منته عليه من قبل ثمانية أمور . الثالثة عشرة نهيهما أن لا ينيا فى ذكره . الرابعة عشرة رفقه سبحانه ومحبته للرفق . الخامسة عشرة شكواهما إلى الله تعالى الرفق . السادسة عشرة الفرق بين التذكر والخشية . السابعة عشرة شكواهما. وقوله (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) إلى آخره فيه من الرفق والتلطف أمور: أحدها (إنا رسولا ربك) فإن أطعت ما أطعت إلا هو . الثانية (فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم) فالمطلوب أن يرسل جيرانه ورعيته ولا يعذبهم . الثالثة (قد جئناك بآية من ربك) فربك قد قطع عذرك . الرابعة إضافته إلى الله . الخامسة (والسلام على من اتبع الهدى) أى هذا هو الذى فيه السلامة التى هى مطلوبة لكل أحد خصوصا الملوك . السادسة (إنا قد أوحى إلينا أن العذاب) أى كما دللناك على أمور السلامة دللناك على طريق الهلاك . السابعة لم يقولا إن العذاب لك إذا توليت بل كلام عام . الثامنة ذكر سبب العذاب . التاسعة الفرق بين التكذيب والتولى . وقوله (قال فمن ربكما ياموسى) إلى آخره هذا جواب اللعين بهذا الكلام اللين . الثانية جواب موسى عليه السلام الجواب الباهر . الثالثة التفكر فى الخلق والهداية . الرابعة جواب اللعين عن هذه . الخامسة جواب موسى عليه السلام عن شبهته ، وهى أن العلم أجلّ الفوائد عند المناظرة . السادسة ذكر العلم والكتاب ، ولأن ذلك الكتاب ليس لخوف نسيان أو خطأ . الثامنة الاستدلال بالآيات الأرضية والسماوية . التاسعة ذكر إسباغ نعمته . العاشرة ذكر أن فى ذلك لآيات لكن لهذه الطائفة . الحادية عشرة لما ذكر الأرض ذكر ما جرى لنا وما يجرى لنا فيها. وقوله (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) فيه الفرق بين التكذيب والإباء . الثانية ما أكثر الله له ولقومه من الآيات . الثالثة مكابرته فى تسمية ذلك سحرا . الرابعة رميه موسى بنية طلب الملك . الخامسة معارضة آيات الله بالسحر. السادسة اهتمامه بذلك الموعد . السابعة دعاء الإنصاف بقوله سوى . الثامنة إجابة موسى إياه . التاسعة ذكر جميع كيده قبل إتيانه . العاشرة وعظه إياهم . الحادية عشرة كونه يقول (لاتفتروا على الله كذبا) . الثانية عشرة قوله (وقد خاب من افترى) كلمة جامعة . الثالثة عشرة سرهم بينهم بما ظنوه فى موسى وأخيه . الرابعة عشرة اغترارهم بطريقتهم . الخامسة عشرة ذكرهم الاجتماع والإتيان صفا .

السادسة عشرة قوله (وقد أفلح اليوم من استعلى) . السابعة عشرة دعواهم الإنصاف في الخصومة . الثامنة عشرة احتضار إلقائهم أولا . التاسعة عشرة هذا السحر العظيم . العشرون إيجاس الخيفة في مثل هذا غير مذموم . الحادية والعشرون بشارة الله إياه الثانية والعشرون أمره له بإلقاء العصا . الثالثة والعشرون ما فعلت العصا . الرابعة والعشرون القاعدة الكلية فما فعلوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى . الخامسة والعشرون مافعل السحرة من سرعة انقيادهم لما عرفوه من فعلهم وقولهم . السادسة والعشرون كون الإيمان برب هارون وموسى . السابعة والعشرون قولهم وما ذكر أنه يفعل بهم . الثامنة والعشرون جوابهم لهذا الطاغي الغادر وهي سبع جمل كل جملة مستقلة .

وفي سورة الأعراف من الزيادة قوله عليه السلام (حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق) . الثانية استعظام الله سحرهم . الثالثة قوله (فوقع الحق) الآيتين . الرابعة قوله لهم (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة) لهذا . الخامسة قولهم (إنا إلى ربنا منقلبون) . السادسة قولهم (وما تنقم منا) إلى آخره . السابعة سؤالهم الله هذه المسألة . الثامنة كلام الملأ . التاسعة جوابه لهم . العاشرة إخبار الله أنه أخذهم بالسنين ونقص من الثمرات . الحادية عشرة ذكر الحكمة في ذلك . الثانية عشرة أنهم لم يفهموا مراد الله بالحسنة والسيئة التي تأتيهم بل عكسوا الأمر . الثالثة عشرة قوله (ألا إنما طائرهم عند الله) . الرابعة عشرة كون الأكثر لايعلمون هذه المسألة . الخامسة عشرة شدة عنادهم . السادسة عشرة ذكره إرسال الآيات عليهم . السابعة عشرة كونهم مع ذلك استكبروا . الثامنة عشرة (وكانوا قوما مجرمين) . التاسعة عشرة كلامهم لموسى لما وقع عليهم الرجز . العشرون نكثهم ما قالوا . الحادية والعشرون قوله (فانتقمنا منهم) بالفاء . الثانية والعشرون ذكره السبب . الثالثة والعشرون ذكره فضله على الضعفاء . الرابعة والعشرون أن ذلك سبب صبرهم . الخامسة والعشرون تدمير ما استعملوا وما كانوا يعرشون .

وأما ما في سورة الشعراء من الزيادة . فقوله (ألم نربك فينا وليدا) . الثانية جواب موسى عليه السلام . الثالثة قوله (وما رب العالمين) الرابعة جواب موسى عليه السلام . الخامسة قوله (لمن حوله) . السادسة جواب موسى عليه السلام . السابعة قوله (إن رسولكم) إلى آخره . الثامنة جواب موسى عليه السلام . التاسعة كونه فزع

إلى القدرة لما بهرته الحجة. العاشرة جواب موسى عليه السلام . الحادية عشرة أتته الآيات . الثانية عشرة قوله (هل أنتم مجتمعون) . الثالثة عشرة توسلهم بعزة فرعون . الرابعة عشرة قولهم (لاضير) . الخامسة عشرة قولهم (إنا نطمع) الآية . السادسة عشرة كونه أمره أن يسرى بهم . السابعة عشرة كونه ذكر لهم أنهم متبعون . الثامنة عشرة إرساله فى المدائن حاشرين . التاسعة عشرة ذكره لرعيته لما حشرهم . العشرون إتباعهم إياهم مشرقين . الحادية والعشرون ذكره المقام والنعيم والكنوز والجنات التى سلبوها. الثانية والعشرون كونه أورث الجميع بنى إسرائيل . الثالثة والعشرون كون اتباعهم مشرقين . الرابعة والعشرون قوله (لما تراءى الجمعان) الخامسة والعشرون جواب موسى عليه السلام لهم . السادسة والعشرون ذكره أنه أمره أن يضربه بعصاه فكان ماكان . السابعة والعشرون ذكره نجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء . الثامنة والعشرون تنبيه العباد على فائدة القصة . التاسعة والعشرون هذا العجب العجاب عدم إيمان الأكثر مع ذلك . الثلاثون أنه هو العزيز الرحيم .

وأما مافى سورة النمل من الزيادة فقوله (أن بورك من فى النار ومن حولها) .الثانية تسبيحه فى هذا المقام . الثالثة قوله (إنى لايخاف لدىّ المرسلون). الرابعة الاستثناء . الخامسة ذكره أن اليد فى جملة تسع آيات . السادسة جحدهم الآيات مع اليقين . السابعة أن سببه الظلم والعلو .

وأما مافى سورة يونس من الزيادة فقول موسى (أتقولون للحق لما جاءكم) إلى آخره . الثانيــة قوله (أتلفتنا عما وجدنا عليــه آباءنا) . الثالثة (وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) . الرابعة قوله (ماجئتم به السحر) . الخامسة القاعدة الكلية (إن الله لايصلح عمل المفسدين) . السادسة كونه يحق الحق بكلماته.السابعة (ولو كره المجرمون) . الثامنة ما آمن لموسى إلا من ذكر . التاسعة أنه على خوف من فرعون وملئه . العاشرة وصف فرعون بالعلو والإسراف . الحادية عشرة نصيحة موسى . الثانية عشرة التوكل من لوازم الإسلام والإيمان . الثالثة عشرة جوابهم وقبولهم النصح الرابعة عشرة دعاؤهم ومافيه من الفوائد . الخامسة عشرة قوله(أن تبوآ لقومكما) إلى آخره . السادسة عشرة كون المؤمن داع . السابعة عشرة قوله فى هذا المقام (فاستقيما) إلى آخره . الثامنة عشرة كلام فرعون عند الغرق . التاسعة عشرة ما أجيب به . العشرون ذكر غفلة الجميع عن آياته .

وفى سورة هود قوله (وما أمر فرعون برشيد) . الثانيـة كونه يوم القيامة يقدمهم ويوردهم النار .

وفى سورة الإسراء ذكر أن التسع آيات كلها بينات . الثانية أمره نبيه عليه الصلاة والسلام بسؤال بنى إسرائيل . الثالثة قول فرعون له . الرابعة جوابه . الخامسة أنه عوقب بنقيض قصده . السادسة قوله (وقلنا من بعده لبنى إسرائيل) إلى آخره .

وفى سورة الحج (وكذب موسى فأمليت للكافرين) إلى آخره .

وفى سورة الصافات كون فعل فرعون معهم كرب عظيم . وفى سورة المؤمن قوله (بآياتنا وسلطان مبين) . الثانية إلى الثلاثة . الثالثة جوابهم له . الرابعة ماقالوه لما جاءهم الحق من عند الله . الخامسة أن ذلك الكيد فى ضلال مبين . السادسة قوله (ذرونى أقتل موسى) الآية . السابعة قول موسى . الثامنة كلام المؤمن وما فيه من الفوائد . التاسعة جواب فرعون . العاشرة قول المؤمن الثانى وما فيه من الأصول ووصف القيامة وتذكيرهم برسالة يوسف ومافعلوا . الحادية عشرة قوله (لعلى أبلغ الأسباب) إلى آخره . الثانية عشرة كون كيد فرعون فى تباب . الثالثة عشرة قول المؤمن الثالث وما فيه من المعارف . الرابعة عشرة وقاية الله له مكرهم . الخامسة عشرة كونهم يعرضون على النار . السادسة عشرة استدلال العلماء على عذاب القبر .

وفى سورة الزخرف مقابلتهم آيات الله بالضحك منها . الثانية قوله (وما نريهم من آية) إلى آخره . الثالثة قوله (لعلهم يرجعون) . الرابعة خطبة فرعون وما فيها من استدلاله على النفى والإثبات . الخامسة قوله (فاستخف قومه) إلى آخره . السادسة قوله (فجعلناهم سلفا) إلى آخره .

وفى سورة الدخان قوله (أن أدوا إلىّ عباد الله) . الثانية وصفه نفسه بالأمانة . الثالثة نهيه إياهم عن العلو على الله . الرابعة قوله (وإنى عذت بربى وربكم) إلى آخره . الخامسة قوله (واترك البحر رهوا) . السابعة (فما بكت عليهم السماء والأرض) . الثامنة عدم الإنظار . التاسعة أن فعله لهم عذاب مهين ، وفى سورة المؤمنين كونهم كلهم قوما عالين . الثانية حجتهم على عدم الإيمان لهما . الثالثة التنبيه على أنهم من جملة من أهلك وليس مختصا بهم .

وفى سورة الذاريات (فتولى بركنه) الثانية قوله (ساحر أو مجنون) .

وفى سورة القمر تكذيبهم بالآيات كلها . الثانية تكذيبهم بالنذير . الثالثة ذكر

العبرة لهذه الأمة فيهم . وفى سورة المزمل المسألة الكبيرة لهذه الأمة . وفى النازعات قوله (إلى أن تزكى) إلى آخره . الثانية قوله (ثم أدبر يسعى فحشر فنادى) . الثالثة الكلمة العظيمة . الرابعة الجمع بين الآخرة والأولى . الخامسة (إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى) .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) إلى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) فيه مسائل : الأولى الجواب عن قول المشركين هذا فى الأصنام . وأما الصالحون فلا . قوله (قل أفغير الله) عام فيه ماسوى الله . الثانية أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه فى الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الإيمان فإنهم لم يريدوا من النبى صلى الله عليه وسلم تغيير عقيدته ، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام فى إظهار الموافقة المشركين خوفا منهم ويظن أنه لايكفر إذا كان قلبه كارها . الثانية أن الجهل وسخافة العقل موافقتهم فى الظاهر ، وأن العقل والفهم الذى هو التصريح بمخالفتهم ولو ذهب مالك خلافا لما عليه أهل الجهل من اعتقاد أن بذل دينك لأجل مالك هو العقل وذلك فى آخر الآية (أيها الجاهلون) وأما الآية الثانية ففيها مسائل : الأولى شدة الحاجة إلى تعلم التوحيد . فإذا كان الأنبياء يحتاجون إلى ذلك ويحرصون عليه فكيف بغيرهم ، ففيها رد على الجهال الذين يعتقدون أنهم عرفوه فلا يحتاجون إلى تعلمه . الثانية المسألة الكبرى وهى كشف الشبهة لعلماء المشركين الذين يقولون هـذا شرك ولـكن لايكفر من فعله لـكونه يؤدى الأركان الخمسة ، فإذا كان الأنبياء لو يفعلونه كفروا فـكيف بغيرهم . الثالثة أن الذى يكفر المسلم ليس عقيدة القلب خاصة ، فإن هذا الذى ذكرهم الله لم يريدوا منه صلى الله عليه وسلم تغيير العقيدة كما تقدم بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم فهذا كافر إلا من أكره . وأما الآية الثالثة ففى الصحيح « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها على المنبر وقال إن الله يقبض يوم القيامة الأرضين وتكون السموات بيمينه ثم ذكر تمجيد الرب تبارك وتعالى نفسه وأنه يقول أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك العزيز أنا الكريم . قال ابن عمر

فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قلنا ليخرّن به » وفيها ثلاث مسائل أيضاً :
الأولى التنبيه على سبب الشرك وهو أن المشرك بان له شئ من جلالة الأنبياء والصالحين ولم يعرف الله سبحانه وتعالى وإلا لو عرفه لكفاه وشفاه من المخلوق وهـذا معنى قوله (وما قدروا الله حق قدره) الآية . المسألة الثانية ماذكر الله تبارك وتعالى من عظمته وجلاله أنه يوم القيامة يفعل هذا ، وهذا قدر ماتحتمله العقول وإلا فعظمة الله وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل كما قال : « ما السموات السبع والأرضون السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى كف أحدكم » فمن هذا بعض عظمته وجلاله كيف يجعل فى رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . هذا هو أظلم الظلم وأقبح الجهل كما قال العبد الصالح لابنه (يابنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) . الثالثة أن آخر الآية وهو قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) ينبهك على الحكمة على أنه سبحانه يغفر الكبار ولا يغفر الشرك وتزرع بغض الشرك وأهله ومعاداتهم فى قلبك وذلك أن أكبر مسبة بعض الصحابة مثل أبى بكر وعمر ولم يجعل فى منزلته بعض ملوك زماننا مثل سليمان أو غيره مع كون الكل منهم آدمى ، والكل ينتسب إلى دين محمد والكل يأتى بالشهادتين والكل يصوم رمضان ويصلى . فإذا كان من أقبح المسبة فى زماننا لأبى بكر أن يسوى بينه وبين بعض الملوك فى زماننا فكيف يجعل المخلوق من الماء المهين ولو كان نبيا بعض حقوق من هذا بعض عظمته وجلاله من كونه يدعى كما يدعى ويخاف كما يخاف ويعتمد عليه كما يعتمد عليه . هذا أعظم الظلم وأقبح المسبة لرب العالمين وذلك معنى قوله فى آخر الآية (سبحانه وتعالى عما يشركون) ولكن رحم الله من تنبه للكلام وهو المعنى الذى نزلت فيه هذه الآيات من كون المسلم يوافقهم فى شئ من دينهم الظاهر مع كون القلب بخلاف ذلك فإن هذا هو الذى أرادوا من النبى صلى الله عليه وسلم فافهمه فهما حسنا لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام الذى بادر أباه وقومه بالعداوة عنده والله أعلم . وهذه مسائل مستنبطة من قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال الشيخ رحمه الله فيها عشر درجات . الدرجة الأولى تصديق القلب أن دعوة غيره باطل ، وقد خالف فيها من خالف آخر ما وجدت .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه مسائل مستنبطة من سورة اقرأ : الأولى الأمر بالقراءة . الثانية الجمع بين التوكل والسبب خلافا لغلاة المتفقهة وغلاة المتصوفة . الثالثة السر الذى فى الإضافة

فى قوله (باسم ربك) المقتضى للتوكل . الرابعة وصفه سبحانه بالخلق الذى هو أظهر آياته . الخامسة ذكر خلقه الإنسان خاصة . السادسة كونه من علق . السابعة تكرير الأمر بالقراءة . الثامنة الوصف بأنه الأكرم . التاسعة ذكر التعليم بالقلم الذى هو فى المرتبة الرابعة . العاشرة تعليم الإنسان خاصة مالم يعلم . الحادية عشرة أن الذكر بالقلب واللسان أفضل من الذكر بالقلب وحده . الثانية عشرة الحث على التواضع لقوله (من علق) . الثانية عشرة معنى اعرف نفسك تعرف ربك . الرابعة عشرة معنى أن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما إلى يوم القيامة . الخامسة عشرة الجمع بين الخلق والتعليم . السادسة عشرة الدلالة على النبوة . الثامنة عشرة الرد على الجهمية . التاسعة عشرة أن الاستحالة تطهر . العشرون الرد على القدرية . الحادية والعشرون الرد على الجبرية . الثانية والعشرون أن العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية . الثالثة والعشرون ذكر شرف العلم . وأما آخرها ففيه مسائل :

الأولى أن الغنى من أسباب الطغيان . الثانية أنه ينشأ عن رؤية الغنى لا عن الغنى . الثالثة التنبيه على الفرق بين طلب العلم وطلب المال . الرابعة أن هذا وصف الإنسان فإن خرج عن طبعه فبفضل الله وبرحمته . الخامسة الإيمان باليوم الآخر . السادسة الوعظ بذلك اليوم عن الطغيان . السابعة تسلية المطغى عليه بذلك . الثامنة كونه إلى رب محمد ففيه الجزاء على الأعمال . التاسعة تقرير الشرع بالعقل لقوله (أرأيت). العاشرة كون ذلك النهى عن آثار الطغيان . الحادية عشرة تقرير ذلك بتصوير الحادثة أنه نهى عبداً صلى لربه . الثانية عشرة التوقف عن مالا يعلم وإلا فلا يلوم إلا نفسه . الثالثة عشرة أن ذلك عام فيمن تنكر عليه فيما يفعله وفيما يأمر به غيره . الرابعة عشرة الاستدلال على الناهى واستجهاله بقوله (ألم يعلم بأن الله يرى) . الخامسة عشرة الاستدلال بالقاعدة الكلية على المسائل الجزئية . السادسة عشرة أن العلم بذلك ليس هو الإقرار . السابعة عشرة أن العلم بالأسماء والصفات أجل العلوم . الثامنة عشرة الدلالة على التوحيد . التاسعة عشرة الدلالة على النبوة . العشرون أن السورة فيها ذكر الإيمان بالأصول الخمسة . الحادية والعشرون كون العقوبة قد تعجل فى الدنيا . الثانية والعشرون مايرجى للحق من نصر الله للضعفاء على الأقوياء . الثالثة والعشرون أن المال والقوة قد يكونان سببا لشر الدنيا والآخرة . الرابعة والعشرون أن بعض أعداء الله قد يكشف له فيرى بعينه من الآيات مالا يراه المؤمن كالسامرى .

الخامسة والعشرون الجمع بين قوله (كاذبة خاطئة) فوصفه بفساد القول والعمل . السادسة والعشرون أنه لو دعا ناديه أو دنا من النبي صلى الله عليه وسلم لعوجل ولكن رفع عنه ذلك لكونه ترك مافي نفسه . السابعة والعشرون النهى عن طاعة مثل هذا . الثامنة والعشرون أنه ختمها بالسجود الذى هو أشرف أفعال الصلاة وافتتحها بالقراءة التى هى أشرف أقوالها . التاسعة والعشرون الأمر بالاقتراب من الله ، ففيه معنى « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » . الثلاثون تسلية المحق إذا سلط عليه مثل هذا وأمره بالصلاة .

وأما قوله تعالى (ياأيها المدثر) الآيات ، ففيه مسائل : الأولى الدعوة إلى الله لايقتصر على نفسه . الثانية خطابه بالمدثر . الثالثة أن الداعى يبدأ بنفسه فيصلح عيوبها . الرابعة تعظيم الله سبحانه علما وعملا . الخامسة هجران الرجز . السادسة قوله (ولا تمنن تستكثر) . السابعة قوله (ولربك فاصبر) فأمره بالطريق إلى القوة على ماتقدم فهو الصبر خالص ؛ ففيها آداب الداعى لأن الخلل يدخل على رؤساء الدين من ترك هذه الوصايا أو بعضها ، فمنها الحرص على الدنيا فنهى عنه بقوله (ولا تمنن تستكثر) ومنها عدم الجد فنبه عليه بقوله (ياأيها المدثر) ومنها رؤية الناس فيه العيوب المنفرة لهم عن الدين كما هو الواقع ، ومنها التقصير فى تعظيم العلم الذى هو من التقصير فى تعظيم الله ، ومنها عدم الصبر على مشاق الدعوة ، ومنها عدم الإخلاص ، ومنها عدم هجران الرجز والتقصير فى ذلك وهو من أضرها على الإنسان وهو من تطهير الثياب لكن إفراده بالذكر كنظائره . فأول اقرأ فيه الأمر بالعمل به . الثانية أول اقرأ فيه معرفة الله ، وأول المدثر فيه الأدب مع الله . الثالثة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه الصبر . الرابعة أول اقرأ فيه الإخلاص والاستعانة وأول المدثر فيه إخلاص الصبر . الخامسة أول اقرأ فيه الاستعانة وأول المدثر فيه العبادات . السادسة أول اقرأ فيه فضله عليك وأول المدثر فيه حقه عليك . السابعة أول اقرأ فيه أدب المتعلم وأول المدثر فيه أدب العالم . الثامنة أول اقرأ فيه معرفة الله ومعرفة النفس وأول المدثر فيه الأمر والنهى . التاسعة أول اقرأ فيه معرفتك بنفسك وبربك وأول المدثر فيه العمل المختص والمتعدى . العاشرة أول اقرأ فيه أصل الأسماء والصفات وهما العلم والقدرة وأول المدثر فيه أصل الأمر والنهى وهو الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك الحادية عشرة فى أول اقرأ ذكر العلم الذى لايستقيم العمل إلا به وأول المدثر فيه ذكر الصبر الذى لايستقيم العمل إلا به . الثانية عشرة فى أول اقرأ ذكر التوكل وأنه

يفتح المغلق وأول المدثر فيه الصبر الذى يفتحه . الثالثة عشرة فى أول اقرأ العمل المختص وأول المدثر فيه العمل المتعدى . الرابعة عشرة فى اقرأ ست مسائل من الخبر وأول المدثر ست مسائل من الإنشاء . الخامسة عشرة فى أول اقرأ ذكر بدء الخلق وأول المدثر ذكر الحكمة فيه . السادسة عشرة فى أول اقرأ ذكر أصل الإنسان وأول المدثر فيه كماله . السابعة عشرة فى أول اقرأ الربوبية العامة وأول المدثر الربوبية الخاصة . الثامنة عشرة فى أول اقرأ شاهد لقوله «اعقلها وتوكل» وفى أول المدثر الصبر الذى هو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد . التاسعة عشرة فى أول اقرأ ابتدأ النبوة وأول المدثر ابتدأ الرسالة . العشرون فى السورتين شاهد لقوله العلم قبل القول والعمل .

ومن اقرأ إلى آخره أن قريشا صريح آل إبراهيم وأيضا ولاة البيت الحرام وأيضا خصوا بنعم مثل الرحلتين ودفع الفيل . وأما أهل الكتاب فأهل العلم وذرية الأنبياء وجرى من الكل على رسالة الله ماجرى . الثانية أن هذا من الرئيسين أبى لهب وأبى جهل ذكر عنهما ماذكر . الثالثة أن أهل الكتاب لم يتفرقوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم . الرابعة أنهم لم يؤمروا إلا بما تعرفه العقول وبما ينبغى للعاقل أن يلتزمه ولا يبغى به بدلا لحسنه وسهولته . الخامسة أن الذى استدلوا به من أشق الأشياء وأكثرها عذابا وينبغى للعاقل البعد عنه لقبحه وصعوبته . السادسة أن مع سهولة الذى تركوا وحسنه وقبح الذى انتقلوا إليه ومشقته أشربوه فى قلوبهم فلم ينتقلوا عنه إلا بعد كذا وكذا . السابعة أنه سبحانه توعد بالنار الذين كفروا من أهل الكتاب ومن العامة وقدم أهل الكتاب فى الذكر . الثامنة أن العامة أشربوا حب دينهم وصبروا على المشقة فيه مع أنهم لا يعرفون جنة ولا نارا وهذا من العجائب . التاسعة التنبيه على كبر النعمة بإنزال الكتاب بذكر الليلة التى أنزل فيها . العاشرة أن له سبحانه خصائص من الأزمنة كما له من الأمكنة . الحادية عشرة أن الأعمال تتضاعف وإن تساوت فى الظاهر بما يجل عنه الوصف . الثانية عشرة عطف الروح على الملائكة . الثالثة عشرة أن خشية الله جامعة للدين كله . الرابعة عشرة النص على العبادة بالإخلاص . الخامسة عشرة ذكر الحنفاء . السادسة عشرة عطف العبادتين على ذلك . السابعة عشرة نصه أنه دين القيمة . الثامنة عشرة بأن أن من ساء عمله شر من الجعلان ولو علم . التاسعة عشرة كون الضد خير البرية .

العشرون الآية الجامعة الفاذة . الحادية والعشرون ذكر شيء من تفاصيل القيمة من شهادة الأرض وغير ذلك . الثانية والعشرون معاملة الإنسان ربه لقوله (لكنود) . الثالثة والعشرون كونه شاهدا لذلك . الرابعة والعشرون نعته بشدة حب المال . الخامسة والعشرون مافيها من ذكر الحساب والحوض والميزان ورؤية النار في الموقف. السادسة والعشرون إخلاص الصلاة . السابعة والعشرون إخلاص النحر . الثامنة والعشرون الأمر بختم العمل بالتسبيح والاستغفار . التاسعة والعشرون الأمر بالتصريح للكفار بالبراءة من معبوديهم . الثلاثون التصريح لهم ببراءتهم من عبادة الله . الحادية والثلاثون التصريح لهم بالبراءة من معبوديهم . الثانية والثلاثون التصريح لهم بالرضا بالله وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا . الثالثة والثلاثون بيان العقيدة السلفية . الرابعة والثلاثون البراءة من عقيدة المتكلمين . الخامسة والثلاثون الأمر بالاستعاذة مما ذكر في سورة الفلق . السادسة والثلاثون الأمر بالاستعاذة من الشيطان . السابعة والثلاثون التنبيه على شدة الحاجة إلى ذلك لكونه أفرد له سورة وختم بها المصحف . الثامنة والثلاثون النهى عن الهمز واللمز . التاسعة والثلاثون النهى عن الاغترار بالمال . الأربعون النهى عن دع اليتيم . الحادية والأربعون النهى عن عدم الحض على طعام المسكين . الثانية والأربعون النهى عن السهو عن الصلاة . الثالثة والأربعون النهى عن الرياء . الرابعة والأربعون النهى عن البخل . الخامسة والأربعون النهى عن شنآنه صلى الله عليه وسلم . السادسة والأربعون الاعتبار بأبي لهب في كون المال والولد وشرف البيت والسيادة يعطاه من هو من أكفر الناس. السابعة والأربعون النهى عن حمل الحطب. الثامنة والأربعون النهى عن النميمة. التاسعة والأربعون النهى عن الحسد . الخمسون النهى عن النفث في العقد . الحادية والخمسون النهى عن الوسوسة في صدور الناس . الثانية والخمسون الإخبار برؤية الجحيم ثم رؤيتها . الثالثة والخمسون السؤال عن النعيم . الرابعة والخمسون خسران الإنسان إلا المستثنى وفيها ذكر النار ذات اللهب وصليها واطلاعها على الأفئدة وكونها مؤصدة، وفيها من الأعمال الممدوحة الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والحث على الشكر بذكر الرحلتين؛ وفيها أن النعم إذا كانت خاصة فلها شكر خاص، والحث على الاعتبار بأيام الله بقصة الفيل، وفيها من القصص قصة الفيل والرحلتين وقصة أبي لهب وقصة سحر اليهود،

وفيها من الوعظ العجب العجاب . وأما أدلة التوحيد ففى مواضع ، وأما أدلة النبوات ففى مواضع . وقال رحمه الله ورضى عنه قصة سبب نزول تبت إلى آخرها ففيها مسائل : الأولى ما فيها من دلائل الإلهية . الثانية ما فيها من دلائل النبوة . الثالثة ما فيها من فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله الحق الذى لايقدر غيره يقوله . الرابعة أن هذا هو العقل والصواب أعنى صعود الجبل والصياح فى هذه المسألة ولو عدّه أكثر الناس سفها بل جنونا . الخامسة شدة الخطر العظيم فيمن عدل من فعل ذلك . السادسة لعل الكلمة التى لايلقى لها بالا يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه ولعله يعتقدها نصيحة أو صلة رحم . السابعة مراقبة العواقب فى إعطاء الله نعم الدنيا من المال والولد والبيت الرفيع والرياسة . الثامنة تعظيم أمر النميمة . التاسعة أن الولد من الكسب ، ففيه دليل على أن أطيب ما أكلتم من كسبكم وأن أولادكم من كسبكم . العاشرة أن الله سبحانه لم ينزل هذا إلا مصلحة للأمة إلى يوم القيامة ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على محمد وآله وصحبه . قال رحمه الله فى تفسير سورة الإخلاص عن عبد الله بن حبيب قال : « خرجنا فى ليلة مطر مظلمة فطلبت النبى صلى الله عليه وسلم ليصلى لنا فأدركناه فقال : قل فلم أقل شيئاً ، قال : قلت يارسول الله ماأقول؟ قال قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفك من كل شىء » قال الترمذى حديث حسن صحيح والأحد الذى لانظير له ، والصمد الذى تصمد الخلائق كلها إليه فى جميع الحاجات ، وهو الكامل فى صفات السودد؛ فقوله أحد نفى للنظير والأمثال ، وقوله الصمد إثبات صفات الكمال ؛ وقوله (لم يلد ولم يولد) نفى للصاحبة والعيال (ولم يكن له كفوا أحد) نفى للشركاء لذى الجلال .

تفسير سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

(قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد) فمعنى أعوذ أعتصم وألتجىء وأتحرز ، وتضمنت هذه الكلمة مستعاذا به ومستعاذا منه ومستعيذا به . فأما المستعاذ به فهو الله وحده رب الفلق الذى لايستعاذ إلا به ، وقد أخبر الله عمن استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقا ، وهو الطغيان فقال : (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) والفلق هو بياض الصبح إذا انفلق من الليل وهو

من أعظم آيات الله الدالة على وحدانيته . وأما المستعيذ فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه إلى يوم القيامة . وأما المستعاذ منه فهو أربعة أنواع : الأول قوله (من شر ماخلق) وهذا يعم شرور الأولى والآخرة وشرور الدين والدنيا . والثانى قوله (ومن شر غاسق إذا وقب) والغاسق الليل «إذا وقب» أى أظلم ودخل فى كل شئ وهو محل تسلط الأرواح الخبيثة . الثالث (شر النفاثات فى العقد) وهذا من شر السحر ، فإن النفاثات السواحر التى يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد مايريد من السحر ، والنفاثات مؤنث أى الأرواح والأنفس لأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة . الرابع شر الحاسد إذا حسد وهذا يعم إبليس وذريته لأنهم أعظم الحساد لبنى آدم أيضاً ، وقوله (إذا حسد) لأن الحاسد إذا أخفى الحسد ولم يعامل أخاه إلا بما يحبه الله لم يضره ولم يضر المحسود .

تفسير سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

وأما قوله (قل أعوذ برب الناس) فقد تضمنت أيضا ذكر ثلاثة أمور : الأول الاستعاذة وقد تقدمت . الثانى المستعاذ به . والثالث المستعاذ منه . فأما المستعاذ به فهو الله وحده لاشريك له رب الناس الذى خلقهم ويرزقهم ودبرهم وأوصل إليهم مصالحهم ومنع عنهم مضارهم (ملك الناس) أى المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه المدبر لهم كما يشاء الذى له القدرة والسلطان عليهم ، فليس لهم ملك يهربون إليه إذا دهمهم أمر سواه يخفض ويرفع ويصل ويقطع ويعطى ويمنع (إله الناس) أى معبودهم الذى لامعبود لهم غيره فلا يدعى ولا يرجى ولا يخلق إلا هو ، فخلقهم وصورهم وأنعم عليهم وحماهم مما يضرهم بربوبيته وقهرهم وأمرهم ونهاهم وصرفهم كما يشاء بملكه واستعبدهم بإلهيته الجامعة لصفات الكمال كلها . وأما المستعاذ منه فهو الوسواس وهو الخفى الالقاء فى النفس إما بصوت خفى لايسمعه إلا من ألقى إليه ، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد . وأما الخناس فهو الذى يخنس ويتأخر ويختفى ، وأصل الخنوس الرجوع إلى وراء ، وهذان وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان ، وذلك أن العبد إذا غفل جثم على قلبه وبذر فيه الوساوس التى هى أصل الشر . فإذا ذكر العبد ربه واستعاذ به خنس . قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب . فإذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب

عنيه ويحدثه ، فإذا ذكر الله خنس وجاء بناؤه على الفعل الذى يتكرر منه فإنه كلما ذكر الله انخنس ، وإذا غفل عاد ، وقوله (من الجنة والناس) يعنى أن الوسواس نوعان إنس وجن ، فإن الوسوسة الإلقاء الخفى ، لكن إلقاء الإنس بواسطة الأذن ، والجنى لايحتاج إليها ونظير اشتراكهما فى الوسوسة اشتراكهما فى الوحى الشيطانى فى قوله (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون) والله أعلم .

* * *

هذا آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه عنه وكرمه آمين .

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

تم الجزء الأول ، ويليه : الجزء الثانى

وأوله : كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية

فهرس

الجزء الأول من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة	الموضــــوع

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مسهل الصعاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والأصحاب

وبعـــد : فإنى لما رأيت تواريخ نجد قليلة الوجود ، عزمت بحول الله تعالى على أن أنشرها لأبناء وطنى راجيا من الله المعونة والتوفيق .

وقد اخترت أن تطبع فى :

« شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر »

لعلمى بعنايتهم بالتصحيح والإتقان آخذين بقوله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله امرأ صنع صنعة فأتقنها » .

ولا يفوتنى أن أذكر جملة من مطبوعاتنا التى طبعت فى السنوات ١٣٦٥ — ١٣٦٨ ، وهى : —

١ — إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد .

٢ — القول السديد فى مقاصد التوحيد .

٣ — الأصول الثلاثة وأدلتها ، وشروط الصلاة ، والأربع قواعد .

٤ — الدين وشروط الصلاة .

٥ — دعاء ختم القرآن العظيم .

٦ — استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس .

٧ — التطفلات الأدبية .

٨ — رسالة الأدعية التى تقال فى الطواف والسعى ... الخ

٩ — تحفة الناسك فى أحكام المناسك .

١٠ — حاشية على الأربعين النووية ، ومعها المتن المذكور ، وقد ألحقت بثمانية أحاديث من شرح ابن رجب .

والمصاحف بأنواعها ، والكتب الدينية ، والأدبية ، والتاريخية ، والدواوين الشعرية وغير ذلك .

شعارنا الصدق والأمانة والتضحية فى سبيل نهوض الوطن . نربح قليلا لنكسب كثيرا .

الناشر

عبد المحسن بن عثمان أبا بطين

صاحب المكتبة الأهلية

الرياض — نجد